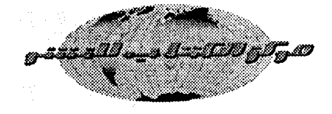
قضايا البيئة
من منظور إسلامي

أستاذ دكتور
أحمد عبدالرحيم السايح

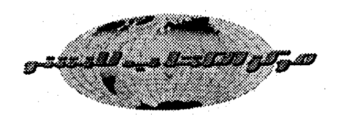
أستاذ دكتور
أحمد عبده عوض

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



رقـم الايـداع :
٢٠٠٣ / ١٤٣٤٣
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 282 - 8

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



مصـر الجديـدة: ٢١ شـارع الخليفـة المأمـون - القاهـرة
تليفـون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكـس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨
http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net


بسم الله الرحمن الرحيم
إنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن
مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ
الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ
لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
[البقرة : ١٦٤]
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وكماله وسلطانه وعونه وإحسانه، فاطر السماوات ، وموجد المخلوقات، ومهيىء البيئات ، ومسير الموجودات.

وصلاة وسلاماً على خير من نطق بالضاد، وألهمه الله الحكمة وفصل الخطاب، وأنزل الله عليه الكتاب، وهداه إلى الصواب ﷺ وعلى الآل والأصحاب، وبعد، ،

فهذه دراسة عن **قضايا البيئة من منظور إسلامى،** استهدفت بحوله تعالى تبصير المسلم برأى الإسلام فى كثير من القضايا البيئية المعاصرة، مع استناد إلى خلفية نظرية يجدر بنا التطويف بها فى البداية.

فالناظر إلى **مفهوم البيئة فى الإسلام** يجد الشمولية فى التكامل، والنظرة المتكاملة التى تجمع بين الجانبين : المادى والمعنوى. بخلاف الفكر الوضعى الذى يقصر مفهومها على الجانب المادى.

فالناحيتان المادية والمعنوية اللتان عنى بهما الإسلام فى نظرته إلى البيئة متحققتان فى كل مجال للنشاط الفكرى، والسلوك العملى المادى.

فالنشاط الفكرى صورة للبيئة المعنوية، والجانب المادى متحقق فى البعد المادى للبيئة، والأمور المحسة من زروع ، وحيوانات ، وطيور، وأرض، وسماء، وجبال، وصحارى .

والدقة فى نظرة الإسلام إلى البيئة تتجاوز ذلك كله إلى استحضار البيئات التاريخية عقلياً وعملياً لما فى ذلك من العبر المفيدة للاسترشاد بها فى توجيه سعى الإنسان للاستفادة من الآثار التاريخية الإيجابية والسلبية.

قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) ﴾[الروم].

وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) ﴾[غافر].

كذلك القصص القرآنى مورد معنوى فكرى؛ تؤخذ منه العبرة من أجل خدمة المصالح الإنسانية، يقول تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ .. (١١١) ﴾[يوسف].

على أن الفكر الوضعى فى تعامله مع البيئة يقلل من شأن الإنسان، ويعده أحد عناصر البيئة ، حيث اعتبر البيئة هى كل ما يحيط بالإنسان، فى حين أن الإنسان هو أهم هذه العناصر، وهو محور كل التكليفات، وسخر الله له كل المخلوقات بما فى ذلك السماوات والأرض.

يقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا... (١٣) ﴾ [الجاثية]

والإنسان من قبل ومن بعد مطالب أن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة؛ يجب المحافظة عليها حتى يأتى أمر الله ، يقول تعالى: ﴿ ....وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾[الأعراف].

وعدم الإفساد فى الأرض هو جوهر المحافظة على البيئة، وحمايتها من كل ما يضرها ويضر الإنسان نفسه.

فضلاً عن كونه مطالباً بإدراك حقيقة مهمة مؤداها : أن ما فى البيئة من ثروات ومتاع محدود ومعرض للنفاذ، ولما كانت ثروات البيئة معرضة للنفاذ فإن

الإنسان مطالب بعدم الإسراف فى استنزاف هذه الثروات، يقـــول تعالى: ﴿ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف].

وإذا كان قد ألمحنا إلى **ثمة جوانب ثلاثة للبيئة** هى : المكانى، والزمانى، والإحيائى، فإن الإنسان يؤثر ويتأثر فى كل هذه الجوانب.

فالجانب المكانى الذى يشمل سطح الأرض، والهواء والماء لا ينفصل عنه الإنسان.

والجانب الزمانى الخاص يتناول تاريخ البيئات القديمة، وتبيان العبر التى ينبغى استخلاصها من تاريخهم ووقائعهم لا ينفصم عنه الإنسان.

أما الجانب الإحيائى بدراسة ما على كوكب الأرض من إحياء ومعرفة ما يحدث لها من ظواهر ، وما بينهما من تأثيرات، وعلاقتها بالبيئات المكانية والمخاطر التى تكتنفها وأسبابها، كل ذلك منوط بالإنسان دراسته وتأمله وحسن التصرف بعد ذلك.

وليس خافياً أن قضية حماية هذه العناصر البيئية المشار إليها آنفاً هى قضية إنسانية، والإنسان هو موضوعها بل هو غايتها ووسيلتها فى الوقت ذاته.

وإذا كانت المشكلة فيما مضى هى حماية الإنسان من البيئة الطبيعية وعناصرها فقد أصبحت اليوم حماية البيئة وعناصرها الحيوية من الإنسان، ولكن من أجل الإنسان نفسه، فالتقدم التقنى رغم ميزاته المتعددة مثلاً فله أثره على صحة الإنسان وسعادته بل وبقائه.

والنظرة التكاملية فى الإسلام **للإنسان والبيئة** نفهم منها حرمة البيئة فى الإسلام، كما تشير النصوص الشرعية، وندرك منها كذلك أن أمن البيئة يستمد قوته وتأثيره من قاعدة التحليل والتحريم التى تقتضى من المسلم الامتثال للأحكام الشرعية التى نهت عن وجوه الجور والعبث والفساد.

ونفهم منها كذلك ارتباط الإنسان بالبيئة، وضرورة صيانة المسلم لها، والتحذير من إهدارها أو إتلافها عبثاً، ومن ثم فقد شرع الإسلام الجزاء الأخروى والدنيوى الذى يحمى البيئة، ويصونها من التدمير والعبث.

على أن المتأمل لأمور البيئة على إطلاقها ينبغى أن يستقر فى خلده أن شمولية الإسلام وتعاليمه وتكامل نظمه تنسحب على كل ما يتصل بالبيئة، التى عنُى الإسلام بتهيئتها ونقائها وصفائها، وجعل الأخلاق بقوانينها مدعاة لظهور الفساد.

يقول تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿٤١﴾ ﴾[الروم].

ولن تجد ديناً ولا تشريعاً ولا فكراً اتسم بتكامل النظرة إلى البيئة مثل الدين الإسلامى القويم، الذى ما أن يهمنا نظرنا تجاه أى قضية من قضاياه إلا ووجدنا تشريعات وقائية، وأساليب علاج قوية لكل ما ينشأ من مخاطر تهدد البيئة، والإسلام من قبل يقضى على ظهورها فى مهدها فى حالة الأخذ بتعاليمه، بدل أن نبحث عن العلاج بعد استفحال الداء، فالإسلام يقدم بتعاليمه أنماطاً من التوجيهات الرشيدة تقى البيئة من كل ما يهدد استقرارها، وحلولاً واقعية وفق منهج الله ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام].

وبين أساليب الوقاية وأنماط العلاج يتضح منهج الإسلام فى التعامل مع قضايا البيئة المعاصرة التى تحاول هذه الدراسة تأصيلها وبحثها بشىء من التدقيق والتركيز والتكامل.

وتأتى هذه الدراسة استجابة لتقديم رؤية إسلامية متكاملة حول قضايا البيئة ولتحقيق هذا الهدف فقد عولجت مادة هذه الدراسة فى أربعة فصول: عرض من خلالها لأكثر من **عشرين قضية بيئية معاصرة**؛ اكتنزت فى داخلها، ودار فى فلك معالجتها عشرات القضايا الفرعية الأخرى.

وحرص على تقديم مادة علمية موثقة؛ استعين فى سبكها بالمخزون الخبرى للباحثين؛ فضلاً عن **خمسة وثمانين مصدراً ومرجعا** استخرج الباحثان من كنوزها ما أثرى مادة بحثهما؛ التى وإن جاءت كبيرة فى حجمها؛ فهذا ما اقضته طبيعة المقام لا الزيادة فى المقال.

والسمة الرئيسية لهذه **الفصول الأربعة** كونها سعى من خلالها إلى إحداث التكامل والربط فى المعالجة؛ فقد يرد الموضوع الواحد فى عدة مباحث بمعالجات مختلفة، وبإشارات اقتضتها منهجية العرض؛ الذى سعى الباحثان من خلاله إلى اتباع المنهج العلمى فى الكتابة البحثية، وفى رصد القضايا البيئية، مما سنفصل بيانه فيما يلى:

فقد استهلت المعالجة فى الفصل الأول؛ الذى جعل عنوانه **(مدخل لدراسة البيئة فى المفهوم الإسلامى)** بيان مفهوم البيئة بصورة عامة؛ بتناول دلالتها اللغوية، ثم إيراد المعانى المتعددة لها، مع الخلوص إلى المفهوم الحديث للبيئة، وبيان الاستخدامات الشائعة للبيئة فى ثمانية أنواع للبيئات ، هذا ما تناوله المبحث الأول؛ الذى جاء توطئة للمبحث الثانى ، الذى حدد المفهوم الإسلامى للبيئة الذى اتسم كما أشير بالتفرد والتكامل والشمول.

ولتقديم رؤية أشمل لمكونات النظام البيئى من مجموعاته الأربع كان المبحث الثالث؛الذى جاء توطئة للمبحث الرابع الذى يجيب عن سؤال مؤداه: كيف يتعامل الإنسان مع هذه العناصر؟ وهل يتميز المسلم فى تعامله مع البيئة؟ هذا ما أوضحه هذا المبحث الذى تناول علاقة الإنسان بالبيئة من خلال محاور ثلاثة فرعية هى: التسخير والمسخرات، والاستخلاف، وأسس التعامل مع البيئة.

ولأن علاقة الإنسان بالبيئة تقوم على الاتزان البيئى، فقد خصص المبحث الخامس لتناول قضية الاتزان البيئى من منظور إسلامى، وكى يحافظ الإنسان على هذا الاتزان البيئى يأتى دور التربية البيئية التى عولجت فى المبحث السادس

الذى أوضح بداية مفهوم التربية البيئية، ثم التعريف بالتربية البيئية فى ضوء الاتجاهات العالمية؛ كى يكون ذلك مدخلاً لبيان أهداف التربية البيئية فى الإسلام، ثم مفهوم التربية البيئية فى الإسلام.

وهكذا عالج **الفصل الأول** ست قضايا مهمة، ورغم غلبة الطابع النظرى عليها، فهذا لكونها قضايا تمهيدية تأصيلية.

ولذا جاء **الفصل الثانى** خادماً للفكرة ذاتها، وهذا ما يكشف عنه عنوانه **البيئة فى الإسلام بين الفكر النظرى والتطبيق والعملى**، وقد وقع هذا الفصل فى أربعة مباحث رئيسية؛ فقد أبان المبحث الأول منها (قضية نظرة الإسلام إلى الكون والطبيعة) التى حصرت فى ست نقاط مهمة.

وحفاظاً على معطيات هذا الكون ونعم الخالق وعناصر الطبيعة جاء المبحث الثانى فى الإطار ذاته؛ حيث تناول قضية حفاظ الإنسان على البيئة بمفهومها العام أولاً؛ ثم الحفاظ على البيئة فى التصور الإسلامى، مع إجمال علاقة الإنسان بالبيئة فى ست نقاط كذلك لتحديد المشكلة البيئية، وبيان كيفية مواجهتها والتغلب عليها من خلال رؤية إسلامية تتغلب على **سبع مشكلات**؛ أشير لها فى هذا البحث.

وسعياً لتحديد كيفية حماية البيئة فى الإسلام كان المبحث الرابع الذى عولج فى ست نقاط مهمة؛ شملت الحماية المادية والمعنوية للبيئة، والقواعد التشريعية الإسلامية لحماية البيئة.

هذه القضايا الأربع التى شملها **الفصل الثانى**، والتى جمعت بين الفكر النظرى والتطبيق العملى؛ مهدت **للفصل الثالث** الأكثر تنوعاً، والذى تناول قضايا بيئية معاصرة فى ضوء الإسلام بين التشخيص والعلاج؛ مما استوجب التدقيق فى اختيار قضايا يغلب عليها طابع المعاصرة، ولذا ضمن هذا الفصل الثالث: عشر قضايا، وهى قضية التلوث، وقضية تغير المناخ، وقضية استنزاف الموارد الطبيعية، ومشكلة التصحر، ومشكلة انقراض العديد من الأنواع

الحيوانية والنباتية، وقضية طبقة الأوزون بين إفساد البشر وتوازن الكون، وقضية سوء استخدام التقنية الحديثة، وقضية نقصان الموارد، وقضية صحة المجتمع، وقضية نظافة البيئة فى الإسلام.

ورغم أن هذه القضايا جميعها فى غاية الأهمية، فإن ثمة قضايا منها؛ نالت حظاً أكبر من المعالجة، وذلك لخطورتها، مثل قضية التلوث التى بحثت بتعريف التلوث أولاً، ثم بيان صوره الخمس، ثم تحديد أسباب التلوث من خلال محاور ثلاثة هى: تلوث الغنى، وتلوث الفقر، أسباب تلوث الهواء، وأسباب تلوث الماء، ثم بيان علاج التلوث وفق الشريعة الإسلامية، ولذلك جاءت قضية التلوث فى صدر هذا الفصل الثالث تأكيدا لأهميتها، وختم الفصل كذلك بقضية مهمة هى **نظافة البيئة فى الشريعة الإسلامية**، ونالت هى الأخرى قسطاً وافراً من المعالجة التى جاءت فى أربعة محاور من شأنها تحقيق نظافة البيئة، وهى تجنب تلويث مجارى المياه، وتطهير الأفنية والمساجد، وإماطة الأذى عن الطريق والأسواق وغيرها، وأخيراً تجنب المعاصى ولم يغب ويخف عن الباحثين عرض هذه القضية ببيانان وذلك كيفية المحافظة على الصحة، وبيان أن الوقاية خير من العلاج،وبيان دعائم الطب الوقائى فى الإسلام من خلال أربعة أمور هى : الرياضة البدنية والروحية، وتناول الطيبات وتحريم الخبائث، والصيام،ثم تحريم الزنا واللواط.

ولم يكن **الفصل الرابع** أقل أهمية من الفصول الثلاثة السابقة فقد عرض لقضيتين ذاتى صبغة اجتماعية وفردية، جاء عنوانه دالاً على ذلك **(قضايا قيمية فى التعامل مع البيئة من منظور إسلامى)** ، فقد تناول المبحث الأول قضية أمن البيئة فى الإسلام والنهى عن الفساد والإفساد؛ فأبان تحريم الشريعة الإسلامية للإفساد فى الأرض، وتحريم الإسلام للإسراف، ومصدر حرمة البيئة فى الإسلام، وحماية حقوق الإنسان وحياته، وحماية الزمن باعتباره من عناصر البيئة.

أما المبحث الثانى من هذا الفصل فقد تناول قضية الاعتدال باعتبارها من القيم البيئية فى الإسلام، ثم أردف ببيان موقف الإسلام من التبذير ، ونهى الإسلام عن الترف، وبيان أسبابه وصوره، وكيف عالجه الإسلام.

وهكذا ختمت الدراسة بدعوة **الإسلام إلى الاعتدال** الذى هو سلوك بيئى إسلامى مرغوب فيه كما أنه مدعاة لاستدامة النعم، والذى هو سمة الفرد المسلم، والأمة الإسلامية ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة].

وبعد،،

فالحمد لله على تمام نعمائه، وكريم عونه وفضله، وعظيم إحسانه.

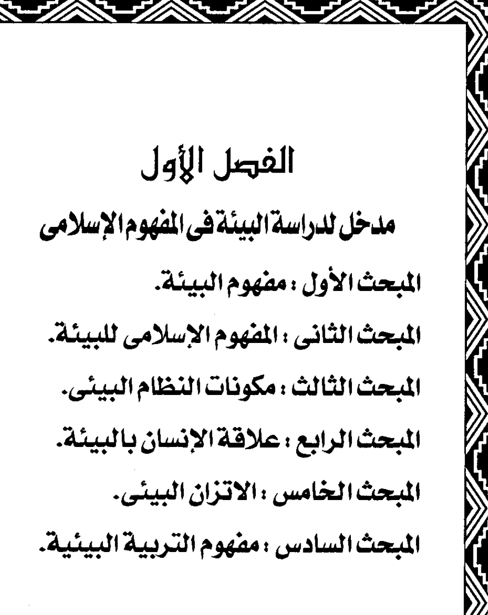
وصدقاً مع النفس، وسعياً للإجادة والتمييز، لم يدخر الباحثان وقتاً ولاجهداً ولا فكراً ولا نفقة فى سبيل إنجاز عملهما، فلم تسترح لهما فكرة، ولم تخمد لهما خاطرة، ولم يستقر لهما مضجع، أثناء إعدادهما هذا البحث.

فاللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت إذا شئت تجعل الصعب سهلاً، فاللهم سهل أمرنا، ويسر مهمتنا، وافتح لنا فتحاً من عندك، وألهمنا الرشاد والسداد والصواب فى القول والعمل، أنك نعم المولى ونعم النصير.

اللهم اجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم، واغفر به ذنوبنا، وارفع به درجاتنا، وأثقل به موازيننا.

اللهم سدد خطواتنا، وأقل عثراتنا، وصوب زلاتنا، وأصلح يا أكرم الأكرمين فساد قلوبنا وكتاباتنا، وافتح اللهم لنا الدروب، واشرح لنا الصدور، ﴿ ...رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[البقرة].

الباحثان



الفصل الأول

مدخل لدراسة البيئة فى المفهوم الإسلامى

المبحث الأول : مفهوم البيئة.

المبحث الثانى : المفهوم الإسلامى للبيئة.

المبحث الثالث : مكونات النظام البيئى.

المبحث الرابع : علاقة الإنسان بالبيئة.

المبحث الخامس : الاتزان البيئى.

المبحث السادس : مفهوم التربية البيئية.

المبحث الأول

مفهوم البيئة :

البيئة : لفظة شاع استخدامها فى السنوات الأخيرة؛ حيث أصبحت تجرى على ألسنة العامة والخاصة، وقد أفرط الكثيرون فى استعمالها.

فنحن نسمع من يقول: البيئة الاجتماعية أو البيئة الحضرية، أو البيئة الثقافية، أو البيئة المشيدة، وغير ذلك حتى يخيل للمرء أن هذه الكلمة باتت ترتبط بجميع مجالات الحياة. ورغم ذلك، فإن المفهوم الدقيق لكلمة البيئة مايزال غامضاً للكثيرين ، لاسيما وأنه ليس هناك تعريف واحد محدد، يبين ماهية البيئة ، ويحدد مجالاتها المتعددة.

البيئة فى اللغة :

يعود الأصل اللغوى لكلمة البيئة فى العربية بوأ ، الذى أخذ من الفعل الماضى (باء) قال ابن منظور فى معجمه الشهير (لسان العرب) باء إلى الشىء يبوء بوءاً ، أى رجع وبوأ بتضعيف الواو أى سدد، ومنه قولهم بوأ الرمح نحوه، أى سدده نحوه وقابله به وتبوأ : نزل وأقام.

تقول : تبوأ فلان بيتا، أى اتخذ منزلاً، وذلك إذا نظر إلى أسهل ما يراه وأكثره استواء وأفضله لمبيته فاتخذه منزلاً.

وفى القرآن الكريم : ﴿ .. أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا .. ﴿٨٧﴾ ﴾[يونس] ، أى اتخذا، ويقال: أباءه منزلا ، أى هيأه له وأنزله فيه.

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ .. ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف]

والاسم : البيئة ، والمباءة، بمعنى المنزل، ويقال: إنه لحسن البيئة أى هيئة استقصاء مكان النزول وموضعه. وقد ذكر ابن منظور لكلمة تبوأ معنيين قريبين من بعضهما:

المعنى الأول : بمعنى إصلاح المكان، وتهيئته للمبيت فيه. قيل: تبوأه أصله وهيأه، وجعله ملائماً لمبيته، ثم اتخذه محلاً له.

والمعنى الآخر : بمعنى النزول والإقامة، كأن تقول: تبوأ المكان أى حله، ونزل فيه، وأقام به.

وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ... ﴿٩﴾**﴾[الحشر]، أى الذين سكنوا المدينة من الأنصار، واستقرت قلوبهم على الإيمان بالله ورسوله.

قال ابن منظور : جعل الإيمان محلاً لهم على المثل، وقد يكون أراد: وتبوءوا مكان الإيمان وبلد الإيمان، فحذف.

وقال الفراء فى قوله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ....﴿٥٨﴾**﴾[**العنكبوت**] ، يقال: بوأته منزلاً، وأثويته منزلاً ثواه: أنزلته، وبوأته منزلاً أى : جعلته ذا منزل.

وفى الحديث الشريف الذى رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال:

« إن كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، قوله: **«فليتبوأ مقعده»** معناه: لينزل من النار.

والباءة : النكاح، وسمى كذلك لأن الرجل يتبوأ من أهله، أى يستمكن من أهله كما يتبوأ من داره، وفى حديث النبى ﷺ :

«من استطاع منكم الباءة فليتزوج» أراد بالباءة : النكاح والتزويج. والأصل فى الباءة المنزل، ثم قيل لعقد التزويج باءة لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً. وباء بإثمه وبذنبه : احتمله، وصار المذنب مأوى الذنب.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ .. ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة] قال ثعلب: معناه إن عزمت قتلى كان الإثم بك لا بى، و(يستباء) أى اتخذ امرأته أهلاً، قال زهير بن أبى سلمى:

فلم أر معشرا أسروا هديا ولم أر جـار سـوء يستباء

* **والمباءة :** معطن القوم للإبل حيث تناخ، ومباءة الغنم: منزلها الذى تأوى إليه، والمباءة من الرحم: المكان الذى يكون فيه الجنين.

ومن هذا العرض اللغوى يتضح لنا أن البيئة هى: النزول، والحلول فى المكان، ويمكن أن تطلق مجازاً على المكان الذى يتخذه الإنسان مستقراً لنزوله وحلوله أى على:

١ - المنزل.

٢ - الموطن.

٣ - الموضع الذى يرجع إليه الإنسان فيتخذ فيه منزله وعيشه.

وقد استخدم علماء المسلمين كلمة : البيئة استخداماً اصطلاحياً منذ القرن الثالث الهجرى.

وربما كان ابن عبد ربه - صاحب العقد الفريد - هو أقدم من نجد عنده المعنى الاصطلاحى للكلمة فى كتاب الجمانة، أى للإشارة إلى الوسط الطبيعى الجغرافى والمكانى والإحيائى الذى يعيش فيه الكائن الحى، بما فى ذلك الإنسان، وللإشارة إلى المناخ الاجتماعى (السياسى والأخلاقى والفكرى) المحيط بالإنسان.

وقد يراد بالبيئة مجازياً، أولئك البشر الذى يسكنون فيها أو يقيمون. وأيضاً، يمكن أن تعنى البيئة مجازياً كافة المخلوقات والموجودات التى تحل معنا، وتستوطن المواضع التى تعيش فيها كالحيوانات والنباتات والأشجار والمياه والهواء والصخور أما البيئة فى المعاجم الإنجليزية (Envinment) فهى تعنى

مجموعة الظروف والمؤثرات الخارجية التى لها تأثير فى حياة الكائنات (بما فيها الإنسان).

المفهوم الحديث للبيئة :

يعرف علم البيئة الحديث الإيكولوچيا (Ecology) البيئة بأنها : الوسط أو المجال المكانى الذى يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها وبعبارة أخرى: البيئة هى كل ما تخبرنا به حاسة السمع والبصر والشم والتذوق واللمس، سواء أكان هذا من خلق الله سبحانه وتعالى: الظاهرات الطبيعية، أم من صنع الإنسان: الظاهرات البشرية[1].

وقد أوجز إعلان مؤتمر البيئة البشرية الذى عقد فى استوكهولم ١٩٧٢م مفهوم البيئة بأنها : (كل شىء يحيط بالإنسان)، ويتفق هذا المفهوم مع ذلك التعريف الذى ينص على أن البيئة هى: (كل ما هو خارج جلد الإنسان).

وفى الواقع، فإن لفظة (البيئة) بمعناها الحالى ومدلولاتها العصرية تتسع لتشمل كل ذلك وأكثر، وهى من وجهة نظرنا تشمل ما هو خارج جلد الإنسان، وما هو داخله ومن هذا المنطلق، يمكننا القول أن البيئة تتكون من شقين رئيسيين:

الأول : البيئة الخارجية ، وهى المحيط الذى يعيش فيه الكائن الحى بمحرضاته وفواعله.

الثانى : البيئة الداخلية، وهى فى الحيوانات تتمثل فى مجموع السوائل المختلفة الموجودة داخل أجسامها، وهى فى النباتات تتمثل فى مجموع الموائع Fluids (السوائل والغازات) الموجودة فى الأوعية والأنسجة.

---

(١) محمد عبدالقادر الفقى : البيئة ومشاكلها وقضاياها رؤية إسلامية - القاهرة - مكتبة ابن سيناء - ١٩٩٣م- ص ١٠.

وإذا نظرنا إلى تعريف البيئة أنها : (مجموعة الظروف والمؤثرات الخارجية) فسوف نجد أن الظروف والمؤثرات المقصودة تشمل فى الحقيقة أغلب العلوم التى اكتشفها الإنسان، وحدد معالمها فى تطوره الحضارى والصناعى.

فالبيئة المحيطة بأى كائن تشمل الظروف المناخية والجيولوجية والطبيعية والكيميائية بل الصحراوية والبحرية والهوائية والنباتية والحيوانية، هذه الظروف والمؤثرات البيئية مترابطة بعضها ببعض، بمعنى أنه لوحدث تغيير مثلاً فى أى واحد منها فسيتبعه تغيير فى بعض النظم الأخرى على شكل تفاعلات تسلسلية حسب القوانين والعلاقات التى تربط هذه النظم بعضها ببعض.

والإنسان هو الذى قسم العلوم التى تشرح هذه النظم إلى علوم كيميائية ومناخية وطبيعية وچيولوچية ونووية وبيولوچية، وذلك لكى يتسنى له التخصص والتعمق فى كل مجال من هذه المجالات، ولكن البيئة فى الحقيقة وحدة متكاملة أو كائن تتجمع فيه كل هذه العلوم فى تناسق رائع وترابط وثيق حسب قوانين ونظم سنها الخالق - عز وجل - لكى ينعم الإنسان بموارد هذه البيئة، ويتجنب أخطارها وأضرارها.

تعريفات أخرى للبيئة :

حدد (شلبى ١٩٨٤م) مفهوم البيئة بأنها:

الإطار الذى يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بنى البشر[1].

وحدد (صبارينى ١٩٨٦م) مفهوم البيئة بأنها:

الوسط البيئى الطبيعى بعناصره المختلفة التى تحيط بالإنسان، ويتأثر بها، ويؤثر فيها من خلال إنجازاته الحضارية، فيستجيب لها أو يقاومها أو يتفاعل

(١) أحمد إبراهيم شلبى : البيئة والمناهج المدرسية - الرياض - مؤسسة الخليج العربى ، ١٩٨٤م، ص١٦.

ويتوافق ويتكيف معها، وفق شروط معينة، ويتفاوت هذا الأثر المتبادل بين مجتمع بشرى وآخر مع الوسط البيئى الذى يعيش فيه تبعاً لمقدرته أو مستواه التقنى والاقتصادى، وكذلك تبعاً لمكونات شخصيته وثقافاته واختلاف قدراته وقيمه واتجاهاته وخبراته ومعاييره السلوكية ومعتقداته[١].

وأوضح (العدوان ١٩٨٨م) أن مفهوم البيئة يتمثل فى :

المحيط أو المكان الذى تعيش فيه الكائنات الحية، والذى يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التى تؤثر على أفراد وجماعات الكائنات الحية، وتحدد شكلها وعلاقاتها وبقاءها[٢].

وحُدد مفهوم البيئة فى بعض الكتابات بأنها :

الوسط الذى يولد فيه الإنسان وينشأ، ويعيش فيه حتى نهاية عمره، وتشمل البيئة جميع العوامل الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وكل ما يؤثر على الإنسان بطريق مباشر أو غير مباشر.

فمن التعاريف السابقة يظهر أن مفهوم البيئة يتحدد فى كونها الوسط الذى يعيش فيه الإنسان يتأثر به ويؤثر فيه من خلال التفاعل بينهما، فما يحيط بالإنسان من ظاهرات حية وغير حية يتأثر بها الإنسان، وفى نفس الوقت يمكن للإنسان أن يؤثر فى مكونات البيئة فيطوعها ويستغلها كيفما يشاء.

فالبيئة هى الإطار الذى يمارس فيه الإنسان حياته، وفيها العناصر المادية التى يحصل منها على متطلبات حياته، فهى المحيط الذى يشمل الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات، وكل ما يحيط به من هواء وماء وتربة، وما يحتويه من مواد صلبة وسائله وغير ذلك.

---

(١) محمد سعيد صبارينى وآخرون : التربية البيئية طبيعتها وأهدافها - ندوة الإنسان والبيئة - مكتب التربية العربى لدول الخليج - ١٤١١هـ ، ص١٥.

(٢) سلطان أبو عرابى العدوان : البيئة المدرسية والتلوث - الأردن - مركز البحث والتطوير التربوى - ١٩٨٨ - ص ٥، ٦.

استخدامات أخرى شائعة للبيئة :

سبق أن ذكرنا أن لفظة البيئة بمدلولاتها العصرية تعنى كل ما هو خارج جلد الإنسان من موجودات، وكل ما هو داخل من سوائل وموائع، إلا أننا قد درجنا فى أحاديثنا على استخدامات أخرى شائعة للفظة البيئة، من قبيل: البيئة الوراثية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية والبيئة الريفية والبيئة الحضرية وغيرهما، ولعله من المفيد أن نتوقف قليلاً عند المعانى التى تحملها هذه الاستخدامات لجلائها ، وبيان المقصود منها:

١ - البيئة الوراثية :

تشمل البيئة الوراثية ما يوفره الزوجان من مورثات (جينات) للأبناء، والمورثات هى عبارة عن تجمعات المواد الكيميائية التى تحتوى على شفيرة الصفات الوراثية التى تقرر هذه الصفات، فالمولود يخرج من رحم أمه وهو يحمل فى ثناياه (شيفرة) وراثية مطبوعة فى كل خلية من خلايا جسمه تحدد صفاته مثل لون العيون ولون الجلد والطول وفصيلة الدم ونسبة الذكاء، كما يمكن أن يرث أيضاً عيوباً وراثية من قبيل الاستعداد لإصابته بمرض البول السكرى، والتبلد العقلى، والصرع، وانفصام الشخصية.

ويتوفر للإنسان الفرد فى اللحظات الأولى لخلقه ثروة من المورثات (الجينات) تمثل البيئة الوراثية له، حيث تحدد صفاته وفق ما يغترف منها؛ لذا فإن العناية فى اختيار الزوج لزوجه تعطى ضماناً للزوجين لإنجاب أطفال خالين من العيوب الوراثية، كما أن هناك إمكانية لتحسين الحصيلة الوراثية بإدخال صفات حسنة إلى العائلة وتؤكد الشريعة الإسلامية هذا الاختيار، وتحث عليه **«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»** ، وجاء فى الأثر **«تغربوا ولا تضووا»**[1] .

---

(١) محمد سعيد صبارينى - البيئة : إطارها ومعناها - سلسلة قضايا بيئية - جمعية حماية البيئة الكويتية - الكويت - ١٩٨٣ - ص ١٦.

٢ - البيئة الاجتماعية :

تتحدد الصفات الوراثية للفرد عند لحظة اندماج الحيوان المنوى للذكر ببويضة الأنثى إلا أن التركيب الفسيولوچى لجسم الإنسان لا تتحكم فيه الصفات الوراثية وحدها، فهناك عوامل أخرى ذات أهمية كبيرة فى ذلك التركيب. فالجنين - وهو فى رحم الأم - يتعرض لمؤثرات البيئة أو الوسط الذى تعيش فيه الأم، حيث يتأثر بنقص غذاء الأم، كما أن نيكوتين السجائر - التى تدخنها الأم إن كانت مدخنة - تؤثر فيه، وكذلك فإن إصابة الأم ببعض الأمراض تؤثر فى الجنين فالحوامل اللاتى يصبن بالحصبة الألمانية يلد أكثرهن أطفالا مشوهين. . وعندما يغادر الوليد الرحم يبدأ بالتفاعل مع الوسط الذى ينشأ فيه، والذى يحدد شخصيته ومسلكه واتجاهاته، والقيم التى يؤمن بها.

فالبيئة الاجتماعية التى ينشأ فيها الإنسان لها أثرها الكبير فى تشكيل شخصيته فإن كانت بيئة طيبة خرج الإنسان منها طيباً.

ولذلك فإن اختيار الزوج لزوجته لابد أن يراعى فيه البيئة الاجتماعية التى نشأت فيها الزوجة وهذا ما يؤكده الحديث الشريف.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[رواه مسلم] ، ويؤكده أيضاً الحديث الذى رواه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[رواه مسلم].

٣ - البيئة الثقافية :

تعنى البيئة الثقافية ذلك الجانب من البيئة الكلية التى يحيا فيها الإنسان، وهى تشمل: المعرفة والعقائد، والفن، والقانون، والأخلاق، والعرف، وكل العادات التى يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو فى مجتمع. . وتتأثر الثقافة بعوامل البيئة الطبيعية، وكذلك بما ينتجه العقل البشرى عن طريق استخدام منجزات العلم والتكنولوچيا.

وقد فطن علماء المسلمين القدامى إلى تأثير عوامل البيئة الطبيعية (كالمناخ) فى المستوى الثقافى. فصاعد الأندلسى (المتوفى سنة ٤٦٢هـ - ١٠٧٠م) يذكر فى كتابه (طبقات الأمم) تأثير البيئة الطبيعية فى الأمم، وفى قدرة سكانها على تحصيل المعرفة واكتساب العلم.

ويرد (صاعد) سبب التفوق العلمى والتقدم الفكرى إلى عوامل بيئية، كما يرجع سبب عدم اهتمام الأمم الموجودة فى بلاد الشام - كالروس - بالعلوم فى عصره إلى تأثيرات بيئية أيضاً.

٤ - البيئة الريفية :

الريف نقيض الحضر، وعلى الرغم من جميع الفضائل المتوافرة فى الحياة الحضرية فإن البيئة الريفية يبقى فيها ما يتغنى به الشعراء والأدباء، ومن هدوء وهواء عليل وخضرة ونضارة وأغاريد الطيور وثغاء الخراف.

وفوق ذلك فإن العلاقات بين الإنسان والإنسان فى البيئة الريفية أكثر متانة ووداً هذا إلى جانب الطمأنينة وراحة البال، ولوحات الجمال التى يرسمها الشعراء للبيئة الريفية تريح النفس وتمتعها، ولعل اندفاع سكان المدن نحو الريف للترويح أصدق دليل على فضائل الحياة الريفية.

٥ - البيئة الحضرية :

المدينة بمعناها الواسع تعنى - فيما تعنى - المقر الواسع وقد سميت يثرب: مدينة الرسول ﷺ حتى غلبت عليها هذه التسمية، ويقال: مدن ، أى أتى المدينة، وتمدن : أى عاش عيشة أهل المدن، وأخذ بأسباب الحضارة، وتمدن المدائن: بناها، وتمدين: عاش عيشة أهل المدن، وتنعم وأخذ بأسباب الحضارة.

والمدنية بذلك تعنى الحضارة واتساع العمران، ويظهر معنى المدنية ومدلولها فيما كتبه ابن خلدون فى مقدمته حيث قال: إن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التى يدعو لها الترف والدعة، فالمدن والأمصار ذات هياكل

وأجرام عظيمة وبناء كبير، وهى موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيدى وكثرة التعاون(1).

٦ - البيئة المناخية :

يقصد بالبيئة المناخية ظروف الطقس والمناخ التى يتأثر بها الإنسان، وتتأثر بها الكائنات الحية الأخرى التى تشاركه الحياة على كوكب الأرض، والطقس فى الحقيقة ما هو إلا حالة الجو من يوم إلى آخر أو من ساعة إلى أخرى، فى حين أن المناخ هو حصيلة الطقس فى كل يوم من الأيام على مدى سنوات طويلة، والإنسان وجد على ظهر كوكب الأرض وهو يعيش تحت تأثير ظروف الطقس والمناخ.

بل إن الإنسان فى حياته اليومية يكاد يخضع خضوعاً تاماً لتقلبات الطقس فصحة الإنسان تتأثر تأثراً كبيراً بالمناخ وتستجيب الوظائف الفسيولوچية للأعضاء لتقلبات الطقس، كما أن الحالة العقلية والعاطفية التى يكون عليها الإنسان تتأثر بالطقس والمناخ.

ومع هذا فإن الإنسان - بسبب التقدم العلمى والتكنولوچى - يبقى أكثر الكائنات الحية قدرة على التكيف مع تغير عناصر الطقس المختلفة. ويسهم المناخ بدور كبير فى قدرة الإنسان على الحركة والعمل.

والعناصر المناخية التى تؤثر فى جسم الإنسان هى :

١ - الحرارة. ٢- الرطوبة.

٣ - الرياح. ٤ - الإشعاع الشمسى.

وعلى أية حال، فإن العناصر المناخية مجتمعة هى التى تكون البيئة المناخية التى تؤثر تأثيراً مباشراً فى الإنسان وفى مختلف أنشطته، فهى التى تحدد الحياة

---

(١) عبدالرحمن بن خلدون - المقدمة - كتاب التحرير - القاهرة - ١٩٦٦ - ص ٢٩٥.

النباتية والحيوانية، كما أنها تؤثر فى مختلف الأنشطة البشرية كالصناعة ووسائط النقل وتخطيط المدن[1]. ولعل النص الذى أوردناه لصاعد الأندلسى - أثناء حديثنا عن البيئة الثقافية - يوضح لنا مدى اهتمام علماء المسلمين بدراسة البيئة المناخية. فمن استقراء ذلك النص يمكن استنتاج بعض الملاحظات البيئية المهمة نجملها فيما يلى:

١ - سبب برودة الهواء فى المناطق الشمالية من المعمورة (سكان روسيا وسيبيريا) يعود إلى عوامل مناخية تتصل أساساً بالموقع الجغرافى الذى يتأثر فى برودته أو سخونته، أو اعتدال هوائه بمدى ابتعاده أو قربه من خط الاستواء والمدارات.

٢ - ينعكس تأثير البيئة على فسيولوچيا الإنسان ، ففى روسيا وسيبيريا حيث الجليد والبرودة القاسية التى تصل إلى ما تحت الصفر المئوى بدرجات، يواجه الإنسان البرد القارس باكتناز الشحوم تحت الجلد، حيث تعمل الشحوم بمثابة عازل حرارى لجسم الإنسان.

وقد أشار إلى ذلك (صاعد) بتعبير لطيف وقصير حين قال: فعظمت أبدانهم. فى النص الذى أوردنا سلفاً، وهو يعنى بذلك أن أجسامهم قد صارت ضخمة بسبب الشحوم التى تراكمت فيها، ومن ناحية أخرى فإن لون البشرة الذى يتأثر إلى درجة كبيرة بأشعة الشمس ومدى قوتها يختلف فى المناطق الشمالية من الأرض عنه فى مناطق السودان والزنج والحبشة، ولذلك يرى (صاعد) أن ذلك هو السبب فى أن سكان المناطق الشمالية قد (ابيضت ألوانهم) على النقيض من أهل السودان الذين (أسودت ألوانهم).

وقد درس (ابن خلدون) العلاقة بين العوامل المناخية وبين تفكك التربة فذكر أن شدة الحرارة تؤدى إلى تفكك التربة، وإلى رمال يسهل على الرياح

(١) محمود عزو صفر - الكويت - البيئة المناخية - سلسلة قضايا بيئية - جمعية حماية البيئة الكويتية - الكويت - أغسطس ١٩٨٥ - ص٩.

جرفها، وأوضح العلاقة بين ذلك وبين أنماط الاستيطان البشرى. يقول ابن خلدون أثناء حديثه عن جزر البحرين: مفرطة الحر منهالة الكثبان يغلب الرمل عليهم فى منازلهم[1].

٧ - البيئة البحرية :

تختص البيئة البحرية بدراسة الحياة البحرية والشواطئ والطيور البحرية وحركات الأمواج والمد والجزر، وغير ذلك من العوامل المؤثرة على مياه المحيطات والبحار، وعلى حياة الكائنات التى تعيش فيها، وقد عنى علماء المسلمين بدراسة البيئة البحرية، ومن مؤلفاتهم فى هذا المجال:

(كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد) لأحمد بن ماجد، ففى هذا الكتاب يتناول ابن ماجد بالدراسة والشرح علامات الطرق البحرية من الحشائش والطيور والأسماك وحالات المطر والرياح والمد والجزر.

ولابن ماجد أرجوزة شعرية تعرف باسم (حاوية الاختصار فى أصول علم البحار) تناول فيها البيئة البحرية أيضاً فهو مثلاً يذكر علامات اقتراب الساحل مثل القاع الطينى والحشائش والأسماك والطيور يقول:

والطين والحيات والأطيار والحوت والحشيش خذ أخبارى.

ويتحدث ابن ماجد عن النور المنبعث من النباتات والحيوانات الفسفورية التى تعيش فى البحر . كما يحذر من الثعابين البحرية (الحيات)، وذلك فى قوله:

تغير الأمواه فى الحالات ... يحصل من طل ومن حيات

حتى يصير الماء مثل النور ... مذ ذاك يخفى على التحرير

وإن رأيت الماء قد تغير ... مارجة الشباب فمنه الحذار[2]

(١) ابن خلدون - العبر وديوان المبتدأ والخبر - الجزء الرابع - بيروت - ١٩٤١ - ص ١٩٧.
(١) محمد عبدالقادر الفقى - أدب البيئة البحرية - مجلة البيئة - الكويت - أبريل ١٩٨٨ - ص١٦.

ومن أعظم علماء المسلمين الذين درسوا العلاقة بين البيئة البحرية والبيئة المناخية : المسعودى فى كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ومن بين المباحث التى تناولها فى كتابه : أثر المناخ فى حركة المد والجزر والأمواج والتيارات البحرية فى الخليج العربى.

ومن آرائه فى ذلك : المد والجزر فى بحر فارس يكونان على مطالع الفجر، والأغلب من الأوقات أن المد والجزر لا يكون فى معظم البحر إلامرتين فى السنة، مرة يمد فى شهور الصيف.

فإذا كان ذلك طفا الماء فى مشارق البحر، وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وأن الشمس إذا كانت فى الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار فى جهة الجنوب فى الصيف لهبوب الشمال طامية عالية، وتقلل المياه فى جهة البحار الشمالية.

وكذلك إذا كانت الشمس فى الجنوب، وسال الهواء من الجنوب فى جهة الشمال، سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية فقلت المياه فى الجهة الجنوبية منه، وينتقل ماء البحر فى هذين الميلين، أعنى فى جهتى الشمال والجنوب فيسمى جزراً ومداً شتوياً، وذلك أن الجنوب جزره الشمال، ومد الشمال جزره الجنوب، فإن وافق القمر بعض الكواكب السيارة فى أحد الميلين زائدا، قوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء، فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر[1].

وقد تكلم شمس الدين محمد بن أبى طالب الدمشقى الصوفى (المتوفى عام ٧٢٧هـ) فى كتابه (نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر) عن بعض الظواهر التى تحدث فى البيئة البحرية، ومن الظواهر التى تكلم عنها هذا العلامة: ظاهرة المد والجزر، وقد لاحظ أن فترة الجزر تزيد قليلاً عن ست ساعات، وأن ميعاد المد يتأخر كل يوم عن سابقه بنحو ساعة، وفى ذلك يقول: ويدور المد

(١) المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجوهر - القاهرة - الجزء الأول - ١٩٧٠.

والجزر فى الأيام مثل ما يكون أول يوم فى أول ساعة، وثانى يوم ثانى ساعة، أو دونها، كذلك يجزر وهذه الملاحظة التى أوردها الدمشقى دقيقة للغاية، وتعليلها العلمى يرجع لتأخر ظهور القمر على نفس المكان كل يوم وليلة، أى كل ٢٤ ساعة بنحو ٥٤ دقيقة[١].

ويعد أبو حامد الغرناطى - مؤلف كتاب (تحفة الألباب) أول من تكلم عن ظاهرة تلون ماء البحر فمن المعروف أن ماء البحر، يتلون فى بعض المناطق - على مدى مساحات شاسعة باللون الأحمر القانى كالدم، وتعزى هذه الظاهرة فى أغلب الأحوال إلى وجود كائنات دقيقة معينة من الأنواع التى يطلق عليها اسم (العوالق) Pianktons وهذه العوالق (البلانكتونات) تتكاثر بسرعة مذهلة وبأعداد مهولة فى الطبقات السطحية للمياه تحت ظروف بيئية خاصة، وهى تضفى على الماء فى أول الأمر اللون الأصفر، ولا يلبث أن يتحول إلى اللون الأحمر القانى، وهذه الألوان ترجع إلى أصباغ حمراء تكونها خلايا هذه الكائنات[٢].

والأرجح أن البحر الأحمر قد اكتسب اسمه نتيجة لظهور هذه الكائنات البحرية بغزارة من وقت إلى آخر فى أجزاء متفرقة.

يقول أبو حامد الغرناطى مشيراً إلى هذه الظاهرة فى كتابه الذى سبق أن أشرنا إليه: وكذلك فى بحر الهند خليج أحمر كالدم، وخليج أصفر كالذهب، وخليج أبيض كاللبن، وخليج أزرق كالنيل. والله يعلم من أى شىء تغير هذه الألوان فى هذه المواضع.

---

(١) شمس الدين محمد بن أبى طالب الدمشقى - نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر - دار النهضة - مصر - ب.ت - ص ٢١٥.

(٢) أبو حامد الغرناطى - تحفة الألباب - القاهرة - مطبعة محمد على صبيح وأولاده ب.ت - ص١١٢.

كما انتبه المسعودى إلى ظاهرة تغير حدود البحار على مر السنين، وكيف تطغى اليابسة على البحار والعكس، يقول المسعودى فى كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر): إن البحار تنتقل على مرور السنين وطول الدهور حتى تصير فى مواضع مختلفة، وأن جملة البحار متحركة، إلا أن تلك الحركة إذا أضيفت إلى جملة مياهها وسعة سطوحها وبُعد قعورها صارت كأنها ساكنة وليست مواضع الأرض الرطبة أبداً رطبة ولا مواضع الأرض اليابسة أبداً يابسة لكنها تتغير وتستحيل ، بصب الأنهار فيها وانقطاعها عنها.

ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر، فليس موضع البر أبداً براً ولا موضع البحر أبداً بحراً، بل قد يكون براً حيث كان مرة بحراً، ويكون بحراً حيث كان مرة براً وعلة ذلك الأنهار وجريها فإن لمواضع الأنهار شباباً وهرماً وحياة موتاً ونشوراً، كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات[1].

غير أن الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزءاً بعد جزءاً ، لكنها تشب وتكبر أجزاؤها (كلها) معاً وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد، وقد بحث علماء المسلمين أيضاً فى الأعاصير والعواصف الحلزونية التى تحدث فى البيئات البحرية.

وفى كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) لزكريا بن محمد القزوينى أوصاف ممتعة للعواصف الحلزونية التى تهب فى المحيطات، وهو يسميها (التنين) ويقول: إنها تحدث من تلاقى ريحين يهبان من جهتين متضادتين، وهو تعليل مقبول وقد عرف علماء المسلمين أن الضغط داخل هذه الرياح الحلزونية يخف كثرا أو يتخلخل، فعلى حد تعبير القزوينى نجد أن هذه الرياح «تمتص ما على الأرض من حيوان، ويغلى لها ماء البحر كما يغلى الماء فى القدر، فإذا أدركت الزوبعة المركب ابتلعته»[2].

---

(١) المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجوهر - القاهرة - دار المعارف - ب.ت - ص٤٥.
(٢) زكريا محمد القزوينى - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - بيروت - دار العلم - ب.ت- ص١٧٩.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن القرآن الكريم قد أشار إلى بعض الظواهر البحرية التى لم يكتشفها العلم الحديث إلا فى القرن الحالى، فقد تحدث القرآن الكريم عن الأمواج الداخلية التى تحدث عند تقابل طبقات المحيطات مختلفة الكثافة ، أو تلك التى تحدث فى الأعماق السحيقة التى قد تصل إلى مئات الأمتار بسبب التيارات المحيطية العميقة كما تحدث عن الظلمة الشديدة التى توجد فى الأعماق السحيقة للمحيطات حيث توجد الأمواج والتيارات المحيطية العميقة.

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ... (٤٠) ﴾[النور].

٨ - البيئة البشرية :

عرفت البيئة فى مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذى انعقد فى استوكهولم عام ١٩٧٢ بأنها (رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة فى وقت ما وفى مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته)[١].

وقد عرفها البعض الآخر بأنها هى:(الإطار الذى يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بنى البشر)[٢].

وبذلك فإن حديثنا عن البيئة إنما يعنى البيئة البشرية وفقاً للتعريفين السابقين، ونجب أن نؤكد هنا على أن البيئة البشرية ليست فقط مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته، وإنما تشمل أيضاً علاقة الإنسان بالإنسان التى تنظمها الأديان السماوية، أو المؤسسات الاجتماعية، أو القوانين

---

(١) اليونسكو - المشكلات البيئية الرئيسية فى المجتمع المعاصر - الوثيقة رقم (٨) من وثائق المؤتمر الدولى الحكومى للتربية البيئية الذى عقد فى مدينة تلبيسى بالاتحاد السوفيتى (سابقا) - أكتوبر ١٩٧٧م - ص٤ .

(٢) رشيد الحمد ، محمد سعيد صبارينى - البيئة ومشكلاتها - عالم المعرفة - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٧٩ - ص٢٦ .

الوضعية أو العادات أو الأخلاق.. أو القيم السائدة فى المجتمع أو العرف المتوارث بين الشعوب، أو كل ذلك معاً.

ويذهب البعض إلى أن البيئة البشرية انطلاقاً من التعريفين السابقين، تتكون من قسمين :

الأول : هو البيئة الطبيعية التى تتكون من الماء والهواء والتربة والمعادن ومصادر الطاقة والأحياء بكافة صورها، وهذه جميعها تمثل الموارد التى أتاحها الله للإنسان ليحصل منها على مقومات حياته.

الآخر : هو البيئة المشيدة التى تتكون من البنية الأساسية المادية التى شيدها الإنسان ومن النظم الاجتماعية والمؤسسات التى أقامها.

وتشمل البيئة المشيدة استعمالات الأراضى للزراعة، والمناطق السكنية، والتنقيب فيها عن الثروات الطبيعية، وكذلك المناطق الصناعية والمراكز التجارية والمدارس والمعاهد والطرق والموانئ، وما إلى ذلك.

ومن ثم يمكننا القول أن البيئة البشرية تشمل كوكب الأرض الذى نعيش عليه، وكافة مكونات الكون الفسيح التى تؤثر فى حياة الموجودات والمخلوقات التى تقاسمنا المعيشة فى هذا الكوكب.

ولعلنا الآن فى حاجة لبيان مفهوم البيئة فى الإسلام، وهذا ما نوضحه فيما يلى.

المبحث الثانى

المفهوم الإسلامى للبيئة :

إن التعريفات المتاحة لمفهوم البيئة تتفق جميعها فى الإطار العام، ولكنها تختلف فى الجزئيات وفقاً لنوع الدراسة وواضعى التعريف، فهناك من ينظر للبيئة على أنها مستودع أو مخزن للموارد الطبيعية والبشرية . . كما ينظر البعض للبيئة نظرة جمالية على أساس أنها مورد للسلع الطبيعية والمنتزهات العامة والمناطق الترفيهية، وتقدر أهمية هذه الموارد بمدى إسهامها فى إضفاء الجمال على نوعية البيئة .

فى حين ينظر البعض إلى البيئة من حيث تأثيرها فى حياة ونمو الكائنات الحية وهناك من يهتم بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية للبيئة، من حيث كون البيئة مصدراً لعناصر الإنتاج ووسيلة لتلبية الرغبات البشرية .

ويتمتع الإسلام بنظرة أعمق، وأوسع للبيئة، حيث طالب الإنسان أن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود .

قال تعالى: ﴿ ... **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴿٨٥﴾ ﴾[**الأعراف**] .

ولم تقتصر نظرة الإسلام على البعد المكانى لها، بل شملت أيضاً البعد الزمانى: فقال تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ** .. ﴿٢٠﴾ ﴾[**العنكبوت**] .

وقد طالب الإسلام المسلم أن يستثمر عمره - باعتباره بعداً زمنياً مهماً - فى تعامله مع الأنظمة البيئية من منطلق أنها مسخرة للإنسان، ودعاه إلى النظر فى مكونات البيئة والتأمل فى مخلوقات الله، وجعل ذلك دليلاً على الإيمان .

قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس].

ويحفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات التى تؤكد على أن الله هو وحده خالق البيئة ومنظمها، وهو الذى وضع النواميس التى تكفل حفظ التوازن البيئى.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات].

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس].

وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [لقمان]

إن كل ما خلقه الله فى البيئة قد خلق بمقادير محددة، وصفات معينة بحيث تكفل لها هذه المقادير، وتلك الصفات القدرة على توفير سبل الحياة الملائمة للإنسان وغيره من الكائنات الحية الأخرى، التى تشاركه على الأرض، وما أجمل القرآن الكريم حينما يلخص حكمة الاتزان فى البيئة بقوله تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق].

وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان].

فكل شىء خلق بمقدار وفق علمه سبحانه وتعالى وهو وحده الذى يعلم أن هذا القدر هو الذى يكفل لأى مكون أو عنصر من عناصر البيئة أن يؤدى دوره المحدد والمرسوم له فى صنع الحياة فى توافقية انسجامية غاية فى الدقة.

ويخضع كل ما فى الكون لدورة حيوية رسمها الخالق العظيم تتسم بالدقة والاتزان، وتجرى الحياة فى هذا الكون بصفة مستمرة خلال سلسلة من عمليات التولد والموت والتحول.

فالحيوانات حين تموت، تتحلل أجسادها إلى التراب، وتقوم النباتات باستخلاص المواد الغذائية من التراب لتحولها إلى أوراق وثمار وبذور يعتمد عليها الإنسان والطير والحيوان فى غذائه، وتستمر عملية الموت والتحول والحياة، وفقاً لما قدره الخالق عز وجل.

يقول المرحوم سيد قطب فى كتابه (مقومات التصور الإسلامى) عن الكون الذى هو البيئة الكبرى للحياة: وهو كون مقدر مدبر، ومسخر مسير، إن كل شىء فيه مخلوق بمقدار وكل شىء مخلوق بحكمة ، ومخلوق لغاية وكل شىء

فيه محسوب بحساب ليؤدى وظيفته، ويحقق الغاية من خلقه كذلك كل حركة فيه محسوبة بحساب دقيق، وموزونة بميزان لا يخطئ والظواهر الكونية ولو أنها ناشئة من طبيعة تركيب هذا الكون إلا أنها هى الأخرى مدبرة مقدرة، ومسيرة مسخرة[1].

فالكون وظواهره والغايات التى يؤديها بوجوده وحركته، والتى تؤديها ظواهره عامة وخاصة، كلها تقدر معاً بعلم الله الذى لا يتجزأ، وفى تقديره الذى لا يتجزأ كذلك، إن حجم الأرض وكتلتها وميلها على محورها وموقعها من الشمس ومن القمر، وانتظار دورتها حول نفسها وحول الشمس، ودورة القمر حولها.

إن هذا كله محسوب حساباً دقيقاً لصلاحيتها للحياة، وتداول الليل والنهار، وتداول الفصول بالقدر المطلوب للحياة عليها، وتوازن الحرارة والبرودة فيها بالقدر المطلوب. إن مساحة المحيطات الملحة، ومساحة الأرض اليابسة، محسوبة بدقة لحفظ جو الأرض غير آسن وغير جاف، بحيث تصلح للحياة وتظل صالحة لها.

إن توزيع عناصر الجو النتيروچين (الأزوت) بمقدار ٧٨٪ والأكسچين بمقدار ٢١٪، والغازات الأخرى الصغيرة، وثبات حجم الأكسچين، على الرغم من استهلاك الأحياء له، وله وذلك عن طريق النبات الذى يفضل الأكسچين عن الكون من ثانى أوكسيد الكربون الناشىء من الاحتراق فى الأحياء، فيتغذى بالكربون ويطرد الأكسچين، إن هذا كله محسوب حساباً دقيقاً لا يخطىء فهذه النسبة من الأكسچين هى اللازمة بالضبط لحفظ هذا النوع من الحياة، إن احتواء جو الأرض على الأزوت هو الذى يكفل للنبات غذاءه ،

(١) سيد قطب - مقومات التصور الإسلامى - القاهرة - دار الشروق - ١٩٨٠م - ص٢٠.

ويكفل بالتالى للأحياء على الأرض قوتهم حيث يذوب جزء منه بالبرق، وينزل مع المطر، فيغذى التربة.

إن أقوات الأحياء مكفولة ﴿ .. وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا .. ﴿١٠﴾ ﴾[فصلت] وحينما تنبأ (مالتوس) بعجز الأرض عن كفالة الأحياء المتزايدة ، وهداه تفكيره البشرى العاجز إلى ضرورة الحد من النسل البشرى، وقتل الشيوخ والعجزة والمرضى، قدر الله أن يكشف للإنسان الطرق الصناعية لاستنزال النيتروچين من الجو، وصناعة السماد لزيادة غلات الأرض وتم هذا الكشف فى نفس التاريخ الذى تنبأ فيه (مالتوس) بعدم كفاية الأقوات، وبالمجاعة وبقتل ملايين الأبرياء.

لو كانت الشمس أكبر حجماً مما هى، أو أشد حرارة، أو أقرب إلى الأرض لاحترق كل من على وجه الأرض، ولتعذرت الحياة عليها، وكذلك لو كانت أصغر، أو أقل حرارة، أو أبعد مما هى، لبردت الأرض، وتعذرت الحياة أيضاً.

لو كانت دورة الأرض حول نفسها، أو حول الشمس، أسرع أو أبطأ، لحدث هذا أو ذلك كذلك أو لو كان القمر أقرب إلى الأرض، أو أكبر حجماً مما هو، لارتفع المد الذى يحدثه فى مياه المحيط، بحيث يغمر اليابسة كل يوم مرتين، وليس أدل على دقة الخلق، والتقدير المحكم لكل مكون من مكونات البيئة التى نعيش فيها، من أنه إذا ما حدث تغير واضح فى أى عنصر من عناصر البيئة، سواء فى خصائصه الكمية أو النوعية ، فإن هذا الأمر يخلق لنا الكثير من المشكلات.

فثانى أكسيد الكربون، على سبيل المثال، لو كانت نسبته أقل كثيراً عن النسبة المقدرة من قبل الخالق لانخفضت درجة الحرارة جداً بحيث تنعدم الحياة على الأرض، ولو زادت نسبته لارتفعت درجة حرارة الغلاف الجوى إلى الحد الذى قد يؤدى إلى انعدام الحياة أيضاً[1].

---

(١) سعيد حوى - الأصول الثلاثة (الله جل جلاله) - الجزء الأول - القاهرة - دار الآفاق - د.ت-.

المبحث الثالث

مكونات النظام البيئى :

ويتكون أى نظام بيئى من أربع مجموعات من العناصر، أو المكونات هى:

١ - مجموعة العناصر غير الحية :

وتشمل الماء والهواء بغازاته المختلفة ، وحرارة الشمس، وضوءها، والتربة والصخور والمعادن المختلفة، ويطلق عليها مجموعة الثوابت أو مجموعة الأساس لأنها مقومات الحياة الأساسية.

٢ - مجموعة العناصر الحية المنتجة :

وتتمثل فى الكائنات الحية النباتية ، ويطلق عليها مجموعة المنتجين Producers، لأنها تصنع أو تنتج غذاءها بنفسها من عناصر المجموعة الأولى.

٣ - مجموعة العناصر الحية المستهلكة :

وهى تتضمن الكائنات الحية الحيوانية التى تعتمد فى غذائها على غيرها، ومن ثم يطلق عليها مجموعة المستهلكين Consumers وتشمل هذه المجموعة كلاً من الحيوانات العشبية Herbivors والحيوانات اللاحمة Carnviors ، إضافة إلى الإنسان الذى يعد عنصراً مهماً داخل هذه المجموعة لما يتمتع به من قدرات تأثيرية هائلة فى عناصر النظام الأخرى، تأثيرات تتباين بين الهدم والبناء[1].

٤ - مجموعة العناصر الحية المحللة :

وتتضمن كائنات مجهرية تتمثل فى الفطريات والبكتريا، وتقوم هذه المجموعة بعملية تكسير أو تحليل المواد العضوية (نباتية وحيوانية) ولهذا يطلق

---

(١) محمد عبدالقادر الفقى - مرجع سابق - ص ٢٢ ، ٢٣ .

على هذا المجموعة اسم : المحلات Decomposers ولما كانت هذه العناصر تتفاعل مع بعضها وفق نظام دقيق، حيث تعتمد كل مجموعة على المجموعة الأخرى السابقة لها فى تكاملية توافقية رائعة بما يضمن حفظ توازن النظام، فإن حدوث أى خلل فى العناصر أو مكونات أى مجموعة يؤثر فى طبيعة التفاعل، ومن ثم يبدأ النظام فى الخلل والاضطراب فيفقد توازنه وقدراته العادية فى صنع الحياة، ويحدث ما نسميه : (الخلل البيئى) ، وما يصاحب هذا من ظهور المشاكل البيئية العَديدة التى باتت تهدد حياة الإنسان فى العصر الحاضر[1]، مثل التلوث، وانقراض الكائنات الحية، وثقب الأوزون ، والتغيرات المناخية، والتصحر.

ويمكن إيجاز مكونات النظام البيئى فى أربعة عناصر هى: المحيط المائى، والمحيط الجوى، والمحيط اليابس، ثم المكونات الحية كالإنسان وغيره، ويأتى التفاعل بين المكونات الحية وغير الحية تأكيداً للتفاعل البيئى.

وإذا كانت هذه عناصر النظام البيئى، فكيف يتعامل الإنسان معها؟ وهل يتميز المسلم فى التعامل مع البيئة؟ هذا ما سنوضحه فى المبحث التالى.

---

(١) محمد عبدالسلام عراقى وآخرون - تلوث البيئة - الهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب - الكويت ١٩٨٤/ ١٩٨٥ - ص ١٣ : ١٤ .

المبحث الرابع

الإنسان والبيئة :

سخر الله ما فى الكون للإنسان، وهذا التسخير ليس هدفا فى ذاته، فلقد سخر الله الكون للإنسان لكى يعينه على أداء وظيفته الاستخلافية فى الأرض بإعمارها، وذلك يكون بالالتزام الكامل بمنهج الله وشريعته، فى كافة مجالات النشاط الإنسانى.

أى فى تعامل الإنسان مع ذاته، وفى تعامله مع بيئته الاجتماعية، وتعامله مع البيئة الطبيعية. فإذا لم يلتزم بمنهج الله وشريعته انقلب تسخير الكون له إلى تسخير عليه.

فتتولد المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والبيئية التى تجعل حياة الإنسان جحيماً لا يطاق.

هذا الإطار، نبحث من خلاله علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية فى محاور ثلاثة :

(أ) التسخير والمسخرات.

(ب) التسخير والاستخلاف.

(جـ) أسس التعامل مع البيئة.

(أ) التسخير والمسخرات :

التسخير معناه : التكليف بأداء عمل بلا أجر. ولقد سخر الله - جلت قدرته - الكون بكل ما فيه من أشياء وظواهر للإنسان، يقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[الجاثية :١٣].

فالكون بكل ما فيه من مجرات ومجموعات نجمية ونجوم وكواكب، والشمس والقمر والأرض بكل ما فيها وما عليها من جماد ونبات وحيوان -كل ذلك مسخر - بأمر الله - للإنسان.

يقول جل شأنه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[النحل].

إن الأصل فى الأشياء والظواهر أنها مسخرة للإنسان أى لنفع الإنسان. يقول عز وجل:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .. ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٧]

ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة].

وقد يقع التسخير على الشىء نفسه، وقد يقع على خدماته. أى أن الإنسان قد ينتفع بالشىء ذاته، وقد ينتفع بما يقوم به من عمل. يقول تعالى: ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[النحل].

فالإنسان ينتفع بالأنعام ذاتها فى غذائه وينتفع بخدماتها أيضاً. ومن خدمات الأنعام، أنها قد تستخدم كوسيلة للنقل، يقول جل شأنه:

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[غافر].

ومن المسخرات ما ينتفع بخدماتها فقط. يقول تعالى:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ... ﴿٨﴾ ﴾[النحل]. وقد ينتج

الشيء خدماته للإنسان بهيأته التى خلق عليها. يقول جل شأنه ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً .... (٢٢)** ﴾[البقرة].

وقد تتولد خدمات الشيء من حركته. يقول تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا .. (٦٧)** ﴾[يونس] **وتعاقب الليل والنهار ناتج عن** حركة دوران الأرض حول محورها فى مواجهة **الشمس:**

إن للتفرقة بين انتفاع الإنسان بالشيء المسخر ذاته **وانتفاعه بخدماته أهمية** خاصة فى دراسة التلوث الذى يصيب **الموارد الطبيعية.**

وعلى سبيل المثال: إذا تلوثت مياه الأنهار **والبحيرات العذبة بما يلقى فيها** من نفايات المصانع ومخلفاتها، **فذلك يؤدى إلى حرمان الإنسان من الانتفاع** بالماء ذاته فى الشراب.

ولكنه قد لا يمنع من الانتفاع **بخدمات المجارى المائية فى الملاحة كوسيلة** من وسائل النقل.. وإذا كان الإنسان **يصاب بأضرار بالغة فى جهازه التنفسى** عندما يستنشق الهواء الملوث بأكسيد الكبريت، **فإنه يستطيع - رغم ذلك -** إسالة الأوكسچين الموجود فى الهواء الجوى، **أى تحويله إلى سائل واستخدامه** فى الصناعة.

ونعود مرة أخرى إلى الآية الكريمة التى **أوردناها فى مطلع المبحث الحالى** لنستخلص منها أمورا على جانب كبير **من الأهمية فى دراسة التلوث.**

يقول تعالى:

﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ .. (١٣)** ﴾[**الجاثية**].

١ - تفيد الآية أن جميع ما فى السموات **وما فى الأرض مسخر للإنسان.** وهنا نبدى ملاحظة مهمة وهى أن الإنسان قد **لا ينتفع بالشيء المسخر، أو** بخدماته انتفاعاً مباشراً.

فهناك مسخرات تضر بالإنسان إذا حاول استخدامها مباشرة مثل بعض الطيور والحشرات التى تقاوم الآفات الزراعية. ومثل الذئاب. وهى من الحيوانات التى تؤذى الإنسان، ولكن - مع ذلك - سخرها الله له. . فالذئاب تفترس الحيوانات المريضة فى الحقول الزراعية، وبذلك تمنع انتشار الأمراض والأوبئة التى يتسبب عنها التلوث المادى للحاصلات الزراعية، أو التلوث العضوى (البيولوچى) للإنسان.

ولذلك عندما لجأ الأهالى فى بعض المناطق فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى قتل الذئاب انتشرت الأمراض، وأصيبت البيئة بالتلوث[1].

٢ - إن الأشياء والظواهر فى الكون - أى المسخرات - لا تكاد تقع تحت حصر، ولم يكتشف منها العلم البشرى إلا القليل، ومعنى ذلك أن هناك مسخرات تسهم فى نفع الإنسان، بينما يجهل الإنسان وجودها، أو قد يجهل وظيفتها التسخيرية، وهذا يمثل إحدى الصعوبات التى تواجه علماء البيئة فى الإحاطة بمصادر التلوث، وطرق الوقاية منه أو علاجه.

٣- تشير الآية الكريمة ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ إلى الوحدة الوظيفية للنظام الكونى.

إن كل ما فى الكون مسخر لنفع الإنسان، الأمر الذى يدل على وحدة الغاية لكافة مكونات النظام. وهذه الحقيقة ينبغى أن تؤخذ بعين الاعتبار عند بحث التدابير الضرورية للوقاية من التلوث أو علاجه.

بتعبير آخر : ينبغى أن تقوم هذه التدابير على نظرة شمولية تتجاوز النظام البيئى المحدود، كما تتجاوز المدى الزمنى القصير.

(١) التلوث وحماية البيئة - مرجع سابق - ص٢٥٢.

وسنرى فيما بعد أن التدابير الإسلامية تتوافر فيها هذه الشروط. وإذا كان الأصل فى الأشياء والظواهر : أنها مسخرة لنفع الإنسان، فإن الله - جلت قدرته وعظم سلطانه - قد يسخرها على الإنسان يقول تعالى:

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ... ﴿٧﴾ ﴾[الحاقة].

ويقول: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأحقاف].

فالأصل فى الرياح أنها مسخرة لنفع الإنسان بما لا يحصى من الفوائد، ولكنها هنا صيرها الله عقاباً هائلا لمن خالفوا سنن الله فى كونه، وأعرضوا عن المهمة التى خلقوا من أجلها.

فقد يسفر تسخير الشىء على الإنسان عن تلوث بيئته الطبيعية. ويكون ذلك إما انتقاماً ينزله الله على المارقين الجاحدين، وإما ابتلاء لعباده.

يقول سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[الأعراف].

تشير هذه الآيات الكريمة إلى تلوث بيئى واسع النطاق: تلوث فى التربة بسبب الطوفان، وانتشار للحشرات، وتلوث فى الماء الذى تحول إلى دماء حتى أنهم - أى فرعون وقومه- لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا دماً عبيطاً أى طرياً.

والطوفان من أسباب تلوث التربة. ذلك أن الماء إذا فاض على وجه الأرض ثم ركد، لم يعد بالإمكان حرث الأرض أو زراعتها.

ويرجع السبب فى ذلك إلى انجراف التربة وذوبان العناصر الغذائية التى تحتوى عليها والتى تساعد على إنبات الزرع.

وعندما ابتلى الله فرعون وقومه بالطوفان، طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو ربه ليكشف عنهم الرجز، فلما كشف عنهم لم يؤمنوا بموسى ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل، فأرسل الله عليهم الجراد، وتكرر وعدهم لموسى، ولم يفوا له بشيء، فأرسل الله عليهم القمل ثم الضفادع ثم الدم، آيات مفصلات.

كل ذلك كان تأديباً وتذكيراً لفرعون وقومه، وقد يكون تسخير الظواهر على الإنسان، وما يسفر عنه من تلوث، انتقاماً، لقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

وسبأ اسم لقوم سكنوا جنوب اليمن، ذات الخصوبة العالية، وقد بلغوا درجة عالية من التحضر؛ مكنتهم من التحكم فى مياه الأمطار الغزيرة التى كانت تنزل على المناطق الجنوبية والشرقية من اليمن، فأقاموا خزاناً طبيعياً يتألف جانباه من جبلين، وأنشأوا بينهما سداً ضخماً؛ وجعلوا به عيوناً تفتح وتغلق.

فكانوا يختزنون مياه الأمطار بكميات عظيمة وراء السد، ويتحكمون فيها، طبقاً لحاجاتهم، وهذا ما يعرف فى كتب التاريخ بسد مأرب.

وهذه الجنان عن اليمين والشمال تعبر عن الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل.

وذكرت سبأ بالنعمة وما يجب من شكر الله والاعتراف بفضله؛ إلا أنهم لم يذكروا ولم يشكروا، بل أعرضوا وكفروا.

ولذلك سلبهم الله هذه النعم، وانقلب تسخير الأمطار لهم إلى تسخير عليهم، فقد تحولت الأمطار إلى سيول عارمة جرفت معها الحجارة، وحطمت السد فانساحت المياه وطغت وأغرقت التربة، فلم تعد تنتج الثمار التى كانت تنتجها من قبل، لقد تحصرت الأرض وتناثرت الأشجار البرية الخشنة وتبدلت الثمار الناضجة اليانعة إلى ثمار عديمة القيمة والنفع. فالخمط هو كل شجر ذى شوك، والأثل شجر يشبه الطرفاء، والسدر هو شجر النبق[١].

إن ما حدث لسبأ هو تلوث فى التربة الزراعية؛ نجم عن السيول الجارفة التى جرفت التربة وغمرتها بالمياه التى أذابت ما تحتويه التربة من عناصر غذائية للنبات[٢].

وقد أدى ذلك إلى تغيرات كيفية فى خصائص الثمار التى تحولت إلى شىء لا يسمن ولا يغنى من جوع.

حدث كل ذلك بأمر الله، انتقاماً من سبأ لإعراضهم عن ذكر الله وكفرهم بنعمته - سبحانه - كما توضح الآيات الكريمة.

وقبل أن ننهى دراستنا لقضية التسخير، نبدى ملاحظة على جانب كبير من الأهمية، فقد قلنا فى مطلع هذا المبحث إن التسخير معناه : التكليف بأداء عمل معين .. ومعنى ذلك أن المسخر لديه القدرة على القيام بهذا العمل.

فالله - جلت قدرته - سخر ما فى السماوات وما فى الأرض لنفع الإنسان، وأودع فى كل شىء مما سخره من القوى والقدرات ما يجعله قادراً على القيام بالمهمة التى سخر لها.

---

(١) سيد قطب - فى ظلال القرآن - تفسير سورة سبأ - جـ٥ - ص ٩٠٠.

(٢) محمد عاطف كشك - المشاكل البيئية المصاحبة لمشروعات وخطط التنمية الزراعية مع إشارة خاصة لمشكلة التصخم - من أوراق المؤتمر العلمى السنوى الخامس للاقتصاديين المصريين إشراف الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع - القاهرة الفترة من ٢٧ إلى ٢٩ مارس - ١٩٨٠م - ص ٢٥.

فإذا قلنا مثلاً إن للطبيعة قدرة على استيعاب قدر معين من التلوث، فإن معنى ذلك أن الله أودع فيها تلك القدرة لأنه ليس للطبيعة، ولا لأى شىء من المسخرات قدرات ذاتية.

إن لهذه الملاحظة أهمية بالغة لأن الفكر الوضعى - وقد طغت عليه الفلسفات المادية - يزعم أن الطبيعة فاعلة بذاتها.

وذهب هذا الفكر أيضاً إلى أن حركة الجسميات داخل الذرة، حركة ذاتية، وأن القلب ينبض ذاتياً، وأن الأرض والأفلاك تتحرك ذاتياً. وكل ذلك بلا أى دليل علمى يقينى.

قدرات الكون وما فيه :

كل شىء فى الكون من المسخرات يعمل بإرادة الله القادر فى كل لحظة على أن يعطل قدرات الكون وما فيه كلياً أو جزئياً ، أو يحولها إلى تسخير على الإنسان.

(ب) التسخير والاستخلاف :

سخر الله كل ما فى الكون للإنسان لكى يعينه على تحقيق الغاية التى خلق من أجلها، وهى عبادته سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات].

فالكون - بما فيه من مسخرات - يزود الإنسان - بأمر الله وسننه - بمقومات الحياة وعوامل البقاء، والعبادة - بمعناها الواسع - تعنى الالتزام بكافة الفروض التعبدية، والتقيد بالقيم الإسلامية والقواعد والأحكام الشرعية فى كل مجالات النشاط الإنسانى.

والهدف المتوخى من ذلك هو إعمار الأرض، وإقامة مجتمع الإيمان والتقوى الذى يحقق لأفراده الخير والفلاح فى الدنيا والآخرة.

سخر الله الكون للإنسان لكى يعينه على أداء مهمته الاستخلافية بإعمار الأرض، يقول جل شأنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة:٣٠].

يقول تعالى: ﴿ .. هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا .. ﴿٦١﴾ ﴾[هود].

والواقع أن العمل الذى يقوم به الكون - بما فيه من مسخرات - عمل عظيم الشأن فى حياة الإنسان، إذ لا يقتصر على تيسير مهمة الإنسان الاستخلافية فى عمارة الأرض فحسب، وإنما لأن وجود الإنسان ذاته رهن بما تقوم به المسخرات من توفير مقومات الحياة وعوامل البقاء.

فالإنسان لا يستطيع أن يظل على قيد الحياة.. إلا إذا توافر له الضغط الجوى الملائم لاستمرار الحياة، وتوافر له الضوء والحرارة، واستوفى حاجاته الضرورية من الهواء والماء والغذاء والمأوى.

ولهذه الأهمية البالغة للعمل الذى تقوم به المسخرات فى النظـــام البيئى، أو بتعبير أعم النظام الكونى، عدة نتائج نذكرها فيما يلى:

١ - من الأمور البديهية أن الموارد التى توفرها البيئة الطبيعية للإنسان، هى موارد نظيفة غير ملوثة.

فالإنسان يحتاج إلى هواء نقى، وإلى ماء عذب، وإلى تربة غير ملوثة، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة يقول تعالى: ﴿ ... وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الفرقان].

والطهور لغة : الخالى من الدنس والنجاسة. والمرأة طاهر من الحيض وطاهرة من النجاسة ومن العيوب.

وفى شرح الآية الكريمة يقول المفسرون : ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ أى مطهراً، ووصف الماء بالطهارة فيه إشعار بالنعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده، لأن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته.

وصيغته طهور بناء مبالغة فى طاهر فاقتضى أن يكون طاهراً مطهراً[1]. الماء الطهور - إذاً - ماء نظيف غير ملوث فيؤدى مهمته التسخيرية على أتم وجه.

ويدل على هذا المعنى قوله تعالى - بعد الآية الكريمة مباشرة - ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الفرقان]. فالماء الذى أنزله الله من السماء ماء صالح للشرب وللنبات والزرع فى أرض لا زرع فيها ولا نبات.. ويقول سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾[المرسلات].

أما فى عالمنا المعاصر، وفى بعض بقاع الأرض حيث تختلط مياه الأمطار بالغبار الذرى وتحمل معها مواد سامة غازية وصلبة؛ مما تطلقه المصانع فى الهواء الجوى، فإن المحاصيل الزراعية تتلوث وتحدث أضراراً بالغة بالإنسان فضلا عن أن الماء النازل من السماء لا يكون صالحاً للشرب، لاختلاطه بأحماض الكبريت والنترينيك والهيدروليك[2].

ويقول تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾[لقمان]. أى نافع ومفيد، ويقول: ﴿ .. وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.. ﴿٥﴾ ﴾[الجاثية].

ورزق الله من الطيبات النافعة يقول جل شأنه: ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال]

ويقول تعالى: ﴿ .. كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ .. ﴿٥٧﴾ ﴾[البقرة] سخر الله موارد الطبيعة للإنسان، أى لنفع الإنسان. والنفع لا يتحقق (بالكم) فقط، وإنما يتحقق (بالكيف) أيضاً.

(١) القرطبى ١٣/ ٣٩.

(٢) التلوث وحماية البيئة - مرجع سابق - ص ١٦٠، ١٦١ - البيئة والإنسان - مرجع سابق - ص ١٣٧.

فقوله سبحانه:

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ..﴿١٤﴾ ﴾[النحل] . ينطوى على معنى أن مياه البحر نظيفة غير ملوثة بالنفط، أو بالإشعاعات الذرية، أو بغير ذلك من ملوثات المياه.

إذ لو كان الماء ملوثاً لهلكت الثروة السمكية، أو على الأقل تتلوث وتصبح غير صالحة لغذاء الإنسان.

وتفيد الآية ضمناً معنى آخر : وهو أن الأوكسچين الذائب فى مياه البحر بالقدر الذى تحتاج إليه الأحياء المائية: لأن نقص الأوكسچين عن هذا القدر يعنى إصابة المياه بالتلوث.

٢ - قلنا إن العمل الذى يقوم به الكون المسخر للإنسان عمل عظيم الشأن بالغ الأهمية لأنه يزود الإنسان بمقومات الحياة، وعوامل البقاء فييسر له القيام بواجبه الاستخلاقى بإعمار الأرض وتحقيق الغاية من خلقه وهى عبادة الله.

ومعنى ذلك أن المحافظة على الموارد الطبيعية وحمايتها من التلوث ترقى إلى مرتبة الواجب فى الإسلام عملاً بالقاعدة الفقهية التى تقرر أن :(ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

إن هذا الواجب يقع فى دائرة الأمانة التى تحملها الإنسان فهو موضوع الامتحان والاختبار فيما سخره الله من أشياء فى ذاته[1]. أو فى الكون من حوله. فهو مكلف بالمحافظة عليها واستخدامها فيما خلقت من أجله. وهو متابع بالمحاسبة والجزاء.

وعلى الإنسان أن يوجه المسخرات فى طاعة الله، وذلك بالتعامل معها وفق قواعد الأحكام الشرعية، وهو بذلك يؤدى واجب الشكر نحو خالقه على ما أولاه من نعم.

---

(١) سخر الله للإنسان أشياء فى ذاته كالعينين والأذنين واليدين. وقد أسلفنا أن الجانب العضوى فى الإنسان ينتمى إلى البيئة الطبيعية ، أى عالم اللاإرادة غير المكلف فهو إذن من المسخرات.

٣ - ينهى القرآن الكريم فى آيات عديدة منه عن الفساد.. والإفساد فى الأرض له صور ومظاهر متعددة من بينها - وبكل تأكيد - تبديد الموارد الطبيعية وتلويثها، ونذكر بعض الآيات القرآنية التى تنهى عن الفساد فى الأرض.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ... ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف].

وقوله: ﴿ .. فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأعراف].

وقوله:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص].

وقوله: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[البقرة].

إن الحرث هو محل نماء الزروع والثمار، أو هو موضع الزرع والإنبات والثمار. والنسل هو نتاج الحيوانات، أو هو امتداد الحياة بالأنسال[١].

إن الإنسان المعاصر، وتحت تأثير الفلسفات المادية، وقد اندفع نحو تحقيق الأرباح الطائلة من نشاطه الإنتاجى، ونحو إشباع أقصى ما يستطيع من رغباته، ودفعه ذلك إلى الإسراف فى استخدام الموارد الطبيعية وخاصة الطاقة. الأمر الذى أصاب البيئة بالتلوث.

وإن إطلاق المركبات الكيماوية مثل أكاسيد النيتروچين من سفن الفضاء والطائرات النفاثة، وما يترتب على ذلك من تقلص غاز الأوزون الذى يغلف الأجواء العليا للأرض، والذى جعله الله مانعاً وحاجزاً طبيعياً لمنع نفاذ الأشعة الكونية المهلكة للحرث والنسل على سطح الأرض، فذلك أيضاً إفساد فى الأرض.

---

(١) تفسير ابن كثير للآية - وأيضاً سيد قطب - فى ظلال القرآن.

٤ - ذكر القرافى فى فروقه القاعدة الفقهية الآتية : كلما عظم شرف الشيء عظم خطره ، وعبر عنها فى موضوع آخر بقوله: إن الشيء إذا عظم قدره، شدد فيه، وكثرت شروطه[(١)].

فالنكاح - مثلا - عظيم الخطر لأنه سبب بقاء النوع الإنسانى، وضبط الأنساب، والعفاف، والمودة والمواصلة ، والسكون وغير ذلك من المصالح، ولذلك شدد الشارع الحكيم فيه باشتراط الصداق والشهادة والكفاءة والولى.. إلخ[(٢)].

ولا شك أن لهذه القاعدة الفقهية المهمة تطبيقات فى تعامل الإنسان مع البيئة الطبيعية التى سخرها الله لنفع الإنسان.

يقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)** ﴾[المائدة].

وقد ورد فى هذا النص تفسيرات كثيرة منها : أنه خاص بالخارجين على إمام المسلمين الذى يحكم بشريعة الله، والتجمع على شكل عصابة خارجية على سلطان الإمام.

وهؤلاء لا يحاربون الله لأنه سبحانه لا يحارب ولا يغالب، وإنما هم يحاربون شريعته، وحرب الشريعة إفساد فى الأرض.

ويذهب البعض : إلى أن النص يطبق فى حالات الكفر، وقطع الطريق وإخافة السبيل.

---

(١) الفروق ٣/ ٢٦٢، ٣/ ١٤٤ مشار إليه فى القواعد الفقهية : مفهومها ، نشأتها ، تطورها دراسة مؤلفاتها ، أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها - على أحمد الندوى - دار القلم - دمشق - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - ص ٣٩٤.

(٢) المرجع السابق.

وقال البعض : إن الآية نزلت فى المشركين . . ورأى مالك فى الذى يغتال الرجل فيخدعه حتى يدخله بيته فيقتله ويأخذ ما معه، أن هذه محاربة، ودمه إلى السلطان لا إلى ولى المقتول.

ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل ذهبوا : إلى أن حكم المحاربة عام لقوله تعالى ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ واستناداً إلى هذا الرأى الأخير جرى القضاء الشرعى بالمملكة العربية السعودية على تطبيق حكم المحاربة على تهريب المخدرات والإتجار بها.

ولا شك أن هذا الفعل الشائن له نتائج مدمرة للإنسان عامة، وللفرد المسلم والمجتمع المسلم خاصة، إذ يترتب عليه تدمير الفرد صحياً وعقلياً لما يحدثه من تلوث عضوى وعقلى.

ويؤدى إلى إهدار للقوى والطاقات البشرية، وإلى تفسخ فى العلاقات الاجتماعية ولا ينبغى أن يفهم من ذلك الدعوة إلى تطبيق نص الحرابة بالمعنى العام لهذا المصطلح على من يتسبب فى تلويث الموارد الطبيعية، وإنما أردنا بهذا العرض أن نبين اهتمام الإسلام البالغ بذلك.

وأن نبين أن للإمام المسلم أن يضع من التدابير - الوقائية والعلاجية - وأن يفرد من الجزاءات الرادعة . . ما يكفل حماية البيئة بما فيها من مسخرات من التبديد والتلوث. لأن فى ذلك رعاية لمصلحة المسلمين، وتمكيناً لهم من أداء واجبهم الاستخلافى فى إعمار الأرض وللإمام أن يتشدد فيما يضعه من تدابير استناداً إلى القواعد التالية:

أولاً : أن تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة.

ثانياً : إن مصلحة الرعية فى حفظ مقاصد الشريعة، وعلى رأسها الضروريات الخمس وهى حفظ الدين والنفس، والنسل والمال، والعقل[1].

---

(١) الموافقات فى أصول الأحكام لأبى إسحاق إبراهيم بن موسى المعروف بالشاطبى - تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد - مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده - القاهرة - ب.ت - جـ٤ ، ٥.

وثالثاً : أن حماية البيئة شىء عظيم الخطر فى حياة الفرد والمجموع، ومن ثم فإن التشديد فى وضع التدابير الوقائية والعلاجية أمر ضرورى وواجب.

ونعود إلى نص الحرابة مرة أخرى، لننظر فى مدى تطبيقه على أصحاب شركات الأدوية الذين يروجون لبعض العقاقير ذات التأثيرات الجانبية الخطيرة على صحة الأفراد، وليست لهم غاية من وراء ذلك سوى تحقيق الربح المادى.

إن مثل هذا العمل ينطوى على اعتداء خطير على حياة الإنسان، ومن ثم قد يمكن القول - قياساً - بتطبيق نص الحرابة على هؤلاء وأمثالهم من المفسدين فى الأرض وبالقياس أيضاً، نرى تطبيق نص الحرابة على من تسول له نفسه - بهدف تحقيق الثروة المادية أو لغير ذلك من الدوافع - السماح بدفن النفايات والمواد المشعة فى الأرض الإسلامية، لما يحدثه ذلك من أمراض وإشعاعات ضارة بالمسلمين.

جـ- أسس التعامل مع البيئة :

يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى النظر والتأمل فى ملكوت السموات والأرض. يقول جل شأنه : ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** .. ﴿١٨٥﴾ ﴾[**الأعراف**].

ويقول سبحانه : ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴿٧٥﴾ ﴾[**الأنعام**].

ويقول عز وجل:

﴿ **فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴿٥٠﴾ ﴾[**الروم**].

ويدعو الإسلام أيضاً إلى النظر والتأمل فى النفس البشرية فيقول تعالى:

﴿ **وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ** ﴿٢٠﴾ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾

[**الذاريات**]

لماذا يدعو الإسلام إلى النظر والتأمل فى ملكوت السماوات والأرض وفى النفس البشرية؟

يدعو الإسلام إلى ذلك لتحقيق هدف مزدوج. فالنظر والتأمل طريق إلى معرفة الله والتيقن من وحدانيته، ومن هيمنته على خلقه.

أما الهدف الآخر من دعوة الإسلام إلى النظر والتأمل فى ملكوت السماوات والأرض وفى النفس البشرية، فهو الكشف عن القوانين والسنن الكونية التى تخضع لها الكائنات الحية وغير الحية فى تكوينها المتناسق وفى حركتها المتوافقة ، لكى تؤدى عملها التسخيرى للإنسان؛ فتهىء له عوامل البقاء وتزوده بمقومات الحياة.

وبإدماج الهدفين معاً يكون الهدف المحصلة من دعوة الإسلام إلى النظر والتأمل فى ملكوت السماوات والأرض وفى النفس البشرية، هو أن يتعامل الإنسان مع البيئة الطبيعية من منطلق إيمانى ، وفق القيم والقواعد والأحكام الإسلامية مستفيداً بما يكشفه من قوانين وسنن كونية.

على الإنسان أن يتعامل مع البيئة مدركاً أنها من خلق الله ، وقد سخرها لنفعه ، إذ توفر له مقومات الحياة وعوامل البقاء، وذلك من أجل أن يظل على قيد الحياة لأداء مهمته الاستخلافية فى إعمار الأرض، وتحقيق الغاية من خلقه، هذا الإدراك هو الوعى البيئى الذى يعمل الإسلام على تكوينه وترسيخ دعائمه فى نفس الفرد.

إن العلم بالقوانين الكونية التى تخضع لها الظواهر والأشياء لا يكفى لحماية النظام البيئى من الاختلال .. فقد يستخدم الإنسان علمه بالقوانين الكونية فى تدمير البيئة والإفساد فى الأرض، على نحو ما هو مشاهد فى عالمنا المعاصر.

إن الإنسان يعرف أن استخدام الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية على نطاق واسع يضاعف من المحاصيل الزراعية، ومن ثم تتضاعف أرباح المزارعين.

ولكنه يعرف أيضاً أن هذه المدخلات (أى عناصر الإنتاج) السامة تتسرب إلى التربة، وتتركيز فى المحاصيل الزراعية لتنتقل إلى الإنسان الذى يستهلكها، فتصيبه بالأمراض الخطيرة، ومع ذلك - أو على الرغم من ذلك - فما زالت الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية تستخدم فى الزراعة على نطاق واسع.

ورد فى تقرير لجنة الخبراء التى تولت التحضير لمؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة الإنسانية، والذى يعرف بتقرير (فونيكس) عن التنمية والبيئة (١٩٧١م):

(إن الإنتاج الزراعى المعاصر هو إنتاج تجارى يتجه نحو السوق بدرجة أكبر من اتجاهه نحو الاكتفاء الذاتى).

ولذلك فإن الزراعة الحديثة تستهدف الحصول على أكبر ناتج ممكن عن طريق تكثيف استخدام المدخلات من الطاقة أو المركبات الكيماوية كالأسمدة ومبيدات الحشائش والحشرات، والتى تنجم عنها أخطار بيئية عديدة كتلوث التربة والمياه والأغذية لدرجة قد تصل إلى تسمم النباتات والحيوانات بل والإنسان ذاته)[1].

إن هذه الصورة القائمة لتعامل الإنسان مع البيئة كانت ستختفى تماماً لو أن هذا التعامل قام على أسس إيمانية، وسار على قواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها.

إن الغابات والأشجار الطبيعية تشكل الغطاء النباتى للنظام البيئى، والذى يمثل أحد مكوناته المهمة التى تتضافر فى تحقيق توازن هذا النظام، ولكن - ومع ذلك - يلجأ الإنسان بدافع تحقيق الأرباح إلى الاجتثاث الجائر للغابات والأشجار.

---

(١) محمد عاطف كشك - مرجع سابق - ص ٢٧.

الأمر الذى يؤدى إلى تبسيط النظام واختلال توازنه[1]، مع ما يسفر عنه ذلك من أضرار بالغة بالإنسان وغيره من الكائنات الحية. نشير أيضاً إلى لجوء الدول الصناعية إلى إنتاج أسلحة الدمار الشامل، وإجراء التجارب النووية، وما يترتب على ذلك من تلوث خطير للبيئة على الرغم من إدراك الدول الصناعية لتلك الآثار السلبية.

خلاصة القول، إن مجرد العلم بالقوانين الكونية التى يخضع لها النظام البيئى ليس كافياً على الإطلاق لتوفير الحماية المطلوبة للبيئة الطبيعية. ولكن يجب أن يلتزم الإنسان فى تعامله معها بأحكام وقواعد الإسلام التى تتسم بالكمال والشمول، وتوجه حركة الإنسان نحو المسار التوازنى الذى ينسجم والحركة اللارادية المتوازنة فى الكون، وهى بذلك تتفوق على التشريعات الوضعية التى يشوبها النقص والقصور.

إن الله الذى خلق الكون وسخر كل ما فيه لنفع الإنسان ، قد هيأ لهذا الإنسان ما سخره بما زوده به من أعضاء الحس والإدراك، وجعله قادراً على معرفة الحق من الباطل والتمييز بين النافع والضار.

فهو يستطيع بأدواته الحسية والإدراكية أن يكتشف بعض القوانين والسنن الكونية، ومع ذلك يحتاج إلى قواعد وقيم تهديه - إلى أمثل الطرق التى يتعامل بها مع بيئته - الطبيعية والاجتماعية على السواء - وهذه هى قيم وقواعد الإسلام.

إن الإنسان مخلوق يعيش فى ملكوت الله الواحد ويخضع لنظامه وقوانين. وكل ما فى الكون يرجع إليه سبحانه، فى الخلق والمعاد والمبدأ والمصير، والله الذى خلق الإنسان، قد حدد له شرعة ومنهاجاً فى الحياة يرتب

---

(١) نعنى بتبسيط النظام : كل عمل يؤدى إلى تقليل أنواع النباتات والحيوانات الأمر الذى يجعل النظام أقل قدرة على التكيف مع الظروف المتغيرة، ومن ثم يصبح توازنه أقل ثباتاً واستقراراً.

حياته ويصوغ سلوكه فى تعامله مع البيئة الطبيعية والاجتماعية، وفق مقتضياتها[1].

ومما لا شك فيه، أن لهذا المنطلق الإيمانى فى تعامل الإنسان مع البيئة، أهمية بالغة فى قيام هذا التعامل على معيار أخلاقى ، وفى إيجاد الوعى البيئى الذى يدفع الأفراد والمجتمعات إلى الاهتمام بنظافة البيئة وحماية مواردها من التلوث، إنطلاقاً من التزام داخلى يقوم على الرغبة الذاتية فى الالتزام بشرع الله، وليس انطلاقاً من الالتزام المفروض على الإنسان من ظروف خارجية، والذى يقوم على القهر الاجتماعى، كما هو الحال بالنسبة للتشريعات الوضعية.

إن الإنسان فى تعامله مع البيئة الطبيعية إنما يتعامل مع عالم لا إرادى يخضع خضوعاً جبرياً صارماً للقوانين والسنن الكونية التى أجراها الله عليه كى يؤدى مهمته التسخيرية لنفع الإنسان: ولكى يستمر عالم اللاإرادة فى أداء هذه المهمة، يكون على الإنسان - وهو المخلوق الإرادى المختار والمكلف - أن يلتزم بقوانين للسلوك المتوازن الذى ينسجم مع الحركة اللاإرادية ولا يتصادم معها حتى لا يختل توازن البيئة فينقلب التسخير للإنسان إلى تسخير على الإنسان.

وشريعة الإسلام وحدها دون سائر التشريعات الوضعية تمثل قوانين للحركة الإرادية المتوازنة. . فهذه الشريعة تتوافر فيها الخصائص التى تجعلها قادرة على توفير الحماية الضرورية للبيئة الطبيعية (وكذلك للبيئة الاجتماعية).

فهى تتسم بالشمول الزمنى والمكانى، وتستمد قيمته ومبادئها من العلم اليقينى والمطلق لله. وسنرى ذلك عندما نناقش قضية المعالجة الإيمانية للتلوث.

ولا يخفى علينا بعض العرض السالف أن علاقة الإنسان بالبيئة تقوم على الإتزان البيئى الذى نوضحه من منظور إسلامى فيما يلى:

---

(١) د. محمد محمد أمزيان - منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية - المعهد العالمى للفكر الإسلامى - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م - ص٢، ٣.

المبحث الخامس

الاتزان البيئى :

تتألف البيئة الأرضية، المحيط الذى نعيش فيه من الأرض، وغلافها الجوى وما عليها، وما فى داخلها من جماد ونبات وحيوان.

وكل ذلك يشكل حلقات مترابطة يتأثر بعضها ببعضها الآخر، حيث أن الإخلال بنظام أى خلق من مخلوقات الله يؤثر سلباً على البقية. هذا ما بينته مؤخراً علوم البيئة.

وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ .. وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾[الحجر].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر].

وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴿٢﴾ ﴾[الفرقان].

فالمليارات من المجرات التى تعمر الكون، والمليارات من الأحياء التى تعمر الأرض، وكل شىء خلقه المولى سبحانه وتعالى من أصغر جسيم فى الذرة حتى أضخم تجمعات المجرات قائم على نظام بديع محكم يربطه ببقية المخلوقات ويتأثر بها سلباً أو إيجاباً، فلكل مخلوق وظيفة مقدرة له سلفاً لايجوز الإخلال ، أو العبث بها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنبياء].

وإذا كانت المخلوقات مسخرة لخدمة الإنسان الذى كرمه المولى بأن جعله سيداً عليها وخليفة فى الأرض، فإن هذه الخلافة كانت بشروط قرآنية ﴿ .. وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا .. ﴿٨٥﴾ ﴾[الأعراف].

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[البقرة].

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ ﴾[الرحمن].

ولما لم يلتزم الإنسان بتعاليم الخالق: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم].

وتوازن البيئة علم ناشىء لا يتجاوز عمره ربع قرن، ظهر كنتيجة للتلوث الذى ظهرت آثاره المدمرة تدريجياً فى الحيوان والنبات والإنسان والأرض، والغلاف الجوى منذ بدء العصر الصناعى فى القرن التاسع عشر إلى أن بلغ ذروته فى منتصف القرن العشرين. وعندها تداعت الجمعيات العلمية المعنية بشئون الأحياء والطبيعة إلى بيان الخطر، فسنت القوانين التى تحمى البيئة من خطر التلوث.

إلا أن الإنسان أخطر مفسد وأكبر قاتل فى الأرض لا يزال حتى الساعة يدمر الحرث والنسل كلما دعته قدرته على ذلك، فقلما تنفع القوانين الوضعية عندما ينعدم الوازع الدينى المتمثل فى قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ ﴾[الرحمن].

وقوله تعالى:

﴿ .. وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا .. ﴿٨٥﴾ ﴾[الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة]

والإحصاءات التالية عن تلوث البيئة فى الجو والبر والبحر تعطى القارئ فكرة مبسطة عن مدى التزام الإنسان بالقوانين الوضعية.

توزان الغلاف الجوى:

بينت علوم الغلاف الجوى المحيط بالأرض، كما سبق شرحه، أن الطبقات السبع المؤلف منها، قائمة على ميزان دقيق بديع محكم. من وظائفه حماية الأرض، وما عليها من مخلوقات، وبفضل ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ﴾[الطور] فوقنا أمكن للحياة أن توجد على الأرض دون بقية كواكب النظام الشمسى.

فطبقة غاز الأوزون وهى طبقة رقيقة جداً تلعب بالنسبة للأرض دور مصفاة ذكية، تمتص الأشعة ما فوق البنفسجية ذات الموجة القصيرة القاتلة للأحياء الأرضية، وتسمح بمرور بقية إشعاعات الطيف الضوئى المفيدة للأرض وما عليها.

وتقدر الجمعية الوطنية للعلوم فى الولايات المتحدة : أنه إذا نقصت كمية الأوزون ١٪ عما هى عليه فى الجو فستزداد حالات الإصابة بسرطان الجلد إلى عشرة آلاف حالة سنوياً، ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن ظلت نسبة تناقص غاز الأوزن فى تزايد فإن لذلك تأثيرات خطيرة على جميع أشكال الحياة الأرضية.

فمن النقص المتزايد من نسبة طبقة الأوزون سترتفع تدريجياً حرارة الأرض درجتين أو ثلاث درجات، ومن ارتفاع حرارة الأرض سيرتفع منسوب مستوى مياه البحار من نصف متر إلى ثلاثة أمتار من جراء ذوبان الجليد فى المناطق القطبية والجلدية.

وبذلك ستغمر المياه العديد من الجزر والمدن الواقعة على السواحل، وسيتغير كلياً نظام توزيع الرياح وسقوط الأمطار والأحياء والإنتاج الزراعى العالمى. وسيرد الكلام عن طبقة الأوزون فى المبحث السادس من الفصل الثالث بشىء من التفصيل والإطناب إن شاء الله تعالى.

وإذا كان الاتزان البيئى موجوداً كإحدى نعم الله فكيف يستطيع الإنسان المحافظة على هذا التوازن؟ هنا يتأتى دور التربية البيئية الذى نوضحه فى المبحث التالى.

المبحث السادس

مفهوم التربية البيئية :

لقد بدأ الاهتمام بالتربية البيئية كركيزة أساسية فى العملية التعليمية فى السنوات العشر الأخيرة، ومن المنتظر أن تحتل التربية البيئية مكانة مهمة فى السنوات القادمة نتيجة تزايد السكان وزيادة المخلفات والتقدم التكنولوجى وزحف الصحارى.

والتربية البيئية كفهوم جديد لم تتبلور إلا بعد مؤتمر ستوكهلم يونية ١٩٧٢ غير أن جذورها الفكرية قديمة، ولقد كان الاهتمام موجهاً قبل ذلك بكثير للدراسات البيئية، ولذلك نرى ضرورة التفرقة بين دراسة البيئة Environmental والتربية البيئية Environmeentai Education فالدراسات البيئية متشعبة، وتختلف باختلاف التخصصات المتنوعة، ويمكن حصرها على النحو التالى:

١ - الدراسات البيئية فى المجالين الاجتماعى والاقتصادى - تدور حول دراسة رفاهية البشر وعلاقة ذلك بالإسكان - وهذا ما يطلق عليه جغرافية المدن.

٢ - الدراسات البيئية فى مجال علم النفس الاجتماعى - تناقش البيئة الإنسانية مع التركيز على العادات والتقاليد والاتجاهات فى المجتمع.

٣ - الدراسات البيئية فى مجال دراسة التاريخ المحلى - التعريف بأعلام البيئة البارزين، والذين لعبوا دوراً بارزاً فى تطوير البيئة، وتحسينها والقيام بزيارات المتاحف للإطلاع على الوثائق التاريخية للبيئة المحلية.

٤ - الدراسات البيئية فى مجال دراسة السكان - مناقشة النمو السكانى - الكثافة السكانية - أسباب الانفجار السكانى - مقترحات للعلاج.

٥ - الدراسات البيئية فى مجال تخطيط المدن - دراسة بنية البيئة - التخطيط لبناء المصانع بعيداً عن المربعات السكنية - ترك مساحة لإقامة مسطحات

خضراء عند إقامة مبان جديدة – منع تعدى الأحياء السكنية على الأراضى الزراعية[1].

٦ – الدراسات البيئية فى مجال الچيولوچيا – دراسة تطور البيئة الطبيعية من مرحلة استخدام النار إلى استخدام الطاقة.

٧ – الدراسات البيئية فى مجال الأرصاد الجوية – دراسة العوامل المناخية ، وأثرها فى النشاط البشرى.

من هذا العرض السالف الذكر يتضح لنا أن الدراسات البيئية تقتصر على معلومات وحقائق بيئية فى مجالات تخصصية مختلفة، دون توجيه الاهتمام لتعديل أنماط السلوك بعكس التربية البيئية التى تهدف إلى معايشة التلاميذ للمشكلات البيئية، والتدريب على المشاركة، وتنمية الوعى البيئى فى إطار خطة على مستوى محلى أو قومى عالمى مع إكساب التلاميذ القيم والاتجاهات الإيجابية نحو حماية البيئة وتحسينها بقصد إعداد جيل واع ببيئته الطبيعية والاجتماعية والنفسية.

ووجه الاختلاف بين دراسة البيئة والتربية البيئية كوجه الاختلاف بين دراسة العلوم والتربية العلمية، فدراسة العلوم قد لا تؤدى إلى تربية علمية، غير أنها قد تتحقق التربية العلمية، لو أنها أسهمت فى تدريب الطالب على مهارات الدقة والموضوعية والصبر والتأنى فى إصدار الأحكام.

التعريف بالتربية البيئية فى ضوء الاتجاهات العالمية :

نعرض فى هذا المجال تعريفات التربية البيئية متخذين إطاراً تاريخياً للمراحل التى مرت بها هذه التعريفات يبدأ من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٨ إذ أن توجيه الاهتمام للتربية البيئية فى كثير من الدول – كما سبق أن أشرنا – منذ قليل تعود

(١) محمد القصاص – مؤتمر المعمار والبيئة فى الوطن العربى – الخرطوم (١١–٢٠ أكتوبر ١٩٧٥) من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٥ – ص ٤).

بدايته الحقيقية على المستوى العالمى بعد مؤتمر البيئة الإنسانية (ستوكهلم ١٩٧٢)، أما قبل ذلك فكان محاولات فردية من جانب بعض الباحثين والمؤسسات التعليمية.

ونناقش أهم التعريفات للتربية البيئية على النحو التالى:

أ - التعريف المقترح من جامعة إلينوى الشمالية ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٧٠ : التربية البيئية نمط من التربية يهدف إلى معرفة القيم وتوضيح المفاهيم، وتنمية المهارات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات التى تربط بين الإنسان وثقافته وبيئته البيوفزيائية كما أنها تعنى التمرس على اتخاذ القرارات ووضع قانون للسلوك بشأن المسائل المتعلقة بنوعية البيئة[1].

لقد أقر هذا التعريف مؤتمر (نيفادا) الذى نظمته اليونسكو بالاشتراك مع الاتحاد العالمى للمحافظة على الطبيعة، ومعهد فورستا ١٩٧٠، ووافق عليه أيضاً مؤتمر روشليكون فى سويسرا (ديسمبر ١٩٧٠).

ب- التعريف بالتربية البيئية كما أقره المؤتمر الدراسى عن التربية البيئية الذى عقدته اللجنة القومية الفنلندية لصالح اليونسكو فى بلده جامى (١٩٧٤) : التربية البيئية هى إحدى وسائل تحقيق أهداف حماية البيئة، وأنها لا تعتبر فى حد ذاتها فرعاً منفصلاً عن العلم أو موضوعاً مستقلاً للدراسة ، ولكن يجب أن تؤخذ تبعاً لمبدأ التكامل بين العلوم فى إطار برنامج التربية مدى الحياة.

جـ- التعريف بالتربية البيئية كما أقرته ندوة بلغراد : (ديسمبر ١٩٧٥) : التربية البيئية هى ذلك النمط من التربية الذى يهدف إلى تكوين جيل واع ومهتم بالبيئة وبالمشكلات المرتبطة بها، ولديه من المعارف والقدرات العقلية والشعور بالالتزام ما يتيح له أن يمارس فردياً وجماعياً حل المشكلات القائمة، وأن يحول بينها وبين العودة إلى الظهور.

---

(١) عدلى كامل - طرق الانتفاع بالمرجع - مرجع فى التعليم البيئى - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٦ - ص٦٥.

د - التعريف بالتربية البيئية كما عرضه مؤتمر تبليسى (بولاية جورجيا بالاتحاد السوفيتى) ديسمبر ١٩٧٧ : التربية البيئية هى عملية إعادة توجيه وربط لمختلف فروع المعرفة والخبرات التربوية بما ييسر الإدراك، ويتيح القيام بأعمال عقلانية للمشاركة فى مسئولية تجنب المشكلات البيئية والارتقاء بنوعية البيئة.

هـ- التعريف المقترح من والتر ستيدل مدير مكتب التخطيط للتربية للمرحلة الابتدائية والثانوية بوزارة التعليم بواشنطن ١٩٧٧ : التربية البيئية هى العملية التعليمية التى تبرز علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية والمحلية ومشكلة السكان - التلوث - الموارد - التكنولوچيا وعلاقة ذلك بالبيئة الإنسانية الشاملة.

و - التعريف بالتربية البيئية فى ضوء ما أقره المشتركون فى اجتماع هيئة برنامج الأمم المتحدة للبيئة بباريس ١٩٧٨ : التربية البيئية هى العملية التعليمية التى تهدف إلى تنمية وعى المواطنين بالبيئة والمشكلات المتعلقة بها ، وتزويدهم بالمعرفة والمهارات التى تمكنهم من تحمل المسئولية الفردية والجماعية تجاه حل المشكلات المعاصرة والعمل على منع ظهور مشكلات بيئية جديدة.

ى - التعريف بالتربية البيئية فى ضوء الاتجاهات المحلية : التربية البيئية هى عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التى تربط الإنسان وحضارته بمحيطه البيوفزيقى ، وتوضيح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان، وحفاظاً على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشته[1].

---

(١) محمد صابر سليم - المفاهيم الرئيسية للتربية البيئية - مرجع فى التعليم البيئى - من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ - ص١٢.

حقائق توصلنا إليها من التعريفات

السنة	الرواد	محور التعريف
١٩٧٠	أساتذة جامعة إلينوى الشمالية	أولاً: اتخاذ قانون وضعى للسلوك بالولايات المتحدة الأمريكية. - اكتساب مفاهيم وقيم بيئية. - اكتساب اتجاهات بيئية. - التدريب على اتخاذ القرارات بشأن المشكلات البيئية.
١٩٧٤	المشتركون من خبراء التربية فى المؤتمر الدراسى للتربية	ثانياً: التربية البيئية وسيلة لحماية البيئة من التدهور. تدريس التربية البيئية فى إطار البيئية بجامعة فنلندا. منهج التكامل بين العلوم المختلفة.
١٩٧٥	المشتركون من خبراء التربية ١٩٧٥ من مختلف الدول فى ندوة بلغراد	ثالثاً: التربية البيئية هى عملية اكتساب معلومات وتنمية القدرات العقلية عن طريق تدريس مجالات بيئية. - تنمية الشعور بالمسئولية تجاه البيئة.

أهداف التربية البيئية فى الإسلام :

إن الهدف الأساسى لوجود الإنسان فى الكون هو عبادة الله والخضوع له، والخلافة فى الأرض ليعمرها بتحقيق شريعة الله وطاعته، وإذا كانت هذه مهمة الإنسان فى الحياة، فإن تربيته يجب أن يكون لها نفس الهدف[1].

أى أن التربية ينبغى أن تسعى إلى تزويد الإنسان بالمعلومات والقيم والأخلاق والمهارات التى تمكنه من تحقيق مهمته ، وقبل التطرق لأهداف التربية البيئية فى الإسلام، فإننا نستعرض أهداف التربية الإسلامية فيما يلى:

١ - العناية بالتربية الخلقية والتى هى روح التربية الإسلامية، وأهم ما تركز عليه التربية الإسلامية فى هذا الصدد هو بث الفضيلة وترك الرذيلة.

٢ - العناية بالدين والدنيا معاً.

٣ - العناية بالنواحى النفسية. . فالتربية الإسلامية لا تركز على الكسب المادى فى حد ذاته بل هو أمر ثانوى وعرضى حتى لا يصبح الفرد عبداً لشهواته همه جمع المال والترف والرفاهية.

٤ - الاهتمام بالتعليم المهنى، فالتربية الإسلامية اهتمت بتعليم الفرد مهنة تقيه شر الفقر وتساعده فى كسب رزقه شريطة ألا ينحرف وراء سلطان المال ويسعى إليه.

إن للتربية فى الإسلام أهدافاً شمولية واسعة وعميقة ، فهى تشمل تنمية الجانب الفكرى للإنسان، وتنمية الجانب الاجتماعى، والنفسى، والأخلاقى.

فالتربية الإسلامية تهدف إلى إيجاد الإنسان المسلم المتكامل فى جميع جوانب حياته بهدف تحقيق العبودية المطلقة لله ، فهى لا تركز على جانب

---

(١) عبدالرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع ، دمشق ، دار الفكر، ط ٢ ١٤٠٢ هـ- ص١٠٧، ١٠٨.

وتهمل الجوانب الأخرى، وإنما تهتم بكل الجوانب، وتدعو إلى التوازن بين الحياتين: الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا .. ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص].

والهدف الأعلى للتربية الإسلامية يتمثل فى تنشئة الإنسان المسلم المتكامل الشخصية من أجل تحقيق العبودية الخالصة لله فى حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية، وقيام الإنسان بمهامه المختلفة لعمارة الكون وفق الشريعة الإسلامية.

وانطلاقاً من هذا الهدف العام حدد المؤتمر العالمى الأول للتعليم الإسلامى أحد أهداف التربية الإسلامية بأنه ينبغى أن تنمى التربية فى الإنسان الدافع الخلاق لأن يتحكم فى نفسه وفى الكون بوصفه عبداً حقيقياً لا عن طريق معارضة الطبيعة والتصارع معها، بل عن طريق فهم قوانينها والسيطرة على قوامها من أجل نمو الشخصية المنسجمة معها.

ومما سبق يمكن تحديد أهداف التربية البيئية فى الإسلام فيما يلى:

١ - تنمية الوعى البيئى لدى الإنسان بإمداده بالرؤية الصحيحة النابعة من آفاق المعرفة الشاملة، وانطلاقاً من رؤيتها للكون والحياة والإنسان، والعلاقات القائمة بين الإنسان والبيئة، بما يحقق دوره المطلوب فى الأرض، ومساعدته على إنضاج استعداداته حتى يتمكن من تسخير البيئة ومكوناتها طبقاً لمنهج الإسلام حتى لا يقف أمامها عاجزاً ولا حائراً[(١)].

٢ - تنمية جوانب النمو الإنسانى بطريقة متوازنة؛ مما يؤدى إلى توجيه سلوكيات الفرد إلى المثل الأعلى الذى يحمى تصرفاته من ممارسة أى عمل يسىء إلى المجتمع والبيئة الطبيعية من حوله.

---

(١) فايز محمد عبده - الموجهات الإسلامية التربية البيئية، دراسات تربوية - العدد ١٩ - القاهرة - رابطة التربية الحديثة ١٩٨٨ - ص : ٢٠٦: ٢٤١.

٣ - تدريب الإنسان على قبول التغيير؛ لأن الإسلام يقبل التغيير الذى يمنح الإرادة الإنسانية المؤمنة فرصتها فى مواجهة التحديات والصعاب، مع التركيز على العمل والإنتاج، وإعطاء العلاقات الإنسانية أهميتها باعتبارها قواعد موضوعية للسلوك العملى واستخدام الأشياء.

لأن السبق فى استغلال البيئة واستخدامها لا تقاس فائدته إلا بمقدار ما يعبر عن أهدافه الإنسانية والاجتماعية، وهذا ما يؤكده الإسلام.

إن الوعى بأبعاد البيئة ومن ثم المحافظة عليها كان ولا يزال من أهم الأمور التى يوليها الإسلام عناية خاصة، ويحمل الإنسان مسئولية ذلك.

فهذا الدين الحنيف تتضمن توجيهاته وعياً بيئياً عميقاً، علماً أن هذه التوجيهات جاءت فى زمن لم تكن مشكلات البيئة فيه قد تفاقمت وطفت على السطح، فالإسلام يؤكد على أهمية الوقاية حتى لا يقع ما لا يستطيع الإنسان إصلاحه.

والإسلام لا يهتم ببيئة دون أخرى، بل يهتم بالبيئة العالمية تمشياً مع روحه الشاملة يقول عبده ١٩٨٩م : إن هذا كله يعنى أن التربية البيئية تحتل مركزاً مهماً فى التربية الإسلامية، وفيها ومن أجلها تتضافر المجهودات التربوية.

من أجل بناء إنسان متوازن متكامل، ولن يتم هذا التكامل إلا بمراعاة نمو الإنسان فى صلته ببيئته ، دراسة وتأملاً وتسخيراً واستدلالاً منها على عظمة الخالق عز وجل[١].

وبعد هذه الإطلالة العامة فى هذا الفصل لمفهوم البيئة، ودلالتها إسلامياً، وبيان دور الإنسان فى البيئة، وكيفية تحقيق التوازن البيئى ودور التربية البيئية فى ذلك، فإننا نرصد بعض قضايا بيئية أخرى من منظور إسلامى فى الفصل الثانى.

---

(١) المرجع السابق - ص ٢١٨.



المبحث الأول : قضية نظرة الإسلام إلى الكون والطبيعة.

المبحث الثانى : حفاظ الإنسان على البيئة.

المبحث الثالث : تحديد المشكلة البيئية فى المنظور الإسلامى.

المبحث الرابع : حماية البيئة فى الإسلام.

المبحث الثاني

قضية نظرة الإسلام إلى الكون والطبيعة :

تعتبر البيئة كياناً حياً نابضاً، والنصوص متواترة على أنها كيانات حية لها حس وانفعال خاص.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء].

ويقول تعالى عز وجل﴿ .. يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ .. ﴿١٠﴾ ﴾[سبأ].

ويقول: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ .. ﴿٢٩﴾ ﴾[الدخان].

ويقول تعالى: ﴿ .. وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج].

ويقول تعالى:

﴿ ... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الأنبياء].

فالأرض ليست مجرد جرم يطأه الناس بأقدامهم ويفعلون على ظهرها ما يشاءون، فالآيات السابقة تؤكد أن البيئة كيان حى ولا يكون المرء مجانباً للصواب. إذا تأكد لديه: أنه لا يخلو أى شىء من مخلوقات الله من حكمة، ومن الحكمة من خلق البيئة ومكوناتها:

١ - أنها مخلوقة لبنى آدم ومسخرة لهم ومذللة، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[الملك].

٢ - أنها آيات دالة على قدرة الله، يقول عز وجل: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[الذاريات].

٣ - أنها مجال خصب للتذكير بالله، والتفكر فى عظيم صنعه، فالكون بمكوناته صغيرها وكبيرها يشتمل على حشد هائل من مظاهر قدرة الله.

ونستطيع إدراك تلك الأسرار عن طريق التفكير الواعى، والنظر العميق إلى ما أودعه الله من التقدير والتدبير قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾
[آل عمران]

وقال تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات].

وقال سبحانه ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[عبس].

وتتمثل نظرة الإسلام إلى الكون، والطبيعة ومواردها فى النقاط التالية:

١ - أن كل ما خلق الله فى الكون خلقه بمقدار كما وكيفاً. قال تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر].

وقال تعالى: ﴿ ... وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾[الرعد].

وقال عز وجل: ﴿ .. وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾[الحجر].

ففى هذا الكون التنوع والاختلاف، وفى عناصره تحقيق لمصلحة بنى آدم ودليل على عظمة الخالق، ويعتبر الإنسان جزءا من هذا الكون الذى تكمل عناصره بعضها بعضاً ولكن الإنسان جزء متميز ، وله موقع خاص بين أجزاء الكون.

٢ - إن الله لم يخلق شيئاً فى هذا الكون عبثاً بل لحكمة أو غاية، قال تعالـى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ .. ﴿٣٩﴾ ﴾[الدخان].

وبالتالى فإنه يجب النظر إلى الكون نظرة عميقة حيث إن كل الأشياء فيه مخلوقة لعبادة الله الذى يرزق بعضها.

فالمقصود من خلق كل المخلوقات هو عبادة الخالق، وذلك عن طريق أدائها الوظائف المقدرة لها فى نفع بعضها بعضاً مما يؤدى إلى تكافل كونى شامل (فمصلحة الخلق كافة أصل يمتد فى تنسيق الكون، كما أنه مهم لتوحيد العبودية لأن عبادة الله إنما تتحقق بأداء الأعمال الصالحة التى من شأنها تحقيق مصالحهم أجمعين)[١].

٣ - إن الله استخلف الإنسان فى الأرض، فبالإضافة إلى كونه جزءاً من الكون، ومنفذاً لأوامر الله الكونية، فهو مدين لهذه الأرض لا مالك لها ومنتفع بها لا متصرف.

وقد يكون واضحاً.. أن خلافة الإنسان فى الأرض ارتبطت بتسخير الله سبحانه وتعالى للإنسان وتمهيدها له ليعيش عليها صالحة، ويحيا فيها حياة كريمة.

وذكر الله سبحانه وتعالى فى مواضيع مختلفة من القرآن الكريم تسخير ما فى السماوات والأرض للإنسان.

---

(١) أبو بكر أحمد باقادر وآخرون - حماية البيئة فى الإسلام، الرياض - مصلحة الأرصاد وحماية البيئة - ١٤٠٩هـ - ص٢.

فالله سخر للإنسان الأرض وما فيها من نعم ظاهرة وباطنة، وسخر البحار والأنهار، وسخر الأنعام، وسخر الرياح.

وفى الواقع أن ما سخره الله للإنسان وما جعله خليفة فيه. ما هو إلا مكونات البيئة، والتى يجب الحفاظ عليها ليظفر الإنسان بحياة طيبة.

ولابد أن يدرك الإنسان أن الله لم يجعل خلافة الإنسان فى الأرض مطلقة، ولم يطلق يديه فى هذه المخلوقات يتصرف فيها كيف ومتى شاء.

صحيح أن الإنسان مستخلف فى هذه الأرض، ولكن الاستخلاف يعنى إدارة الأرض وليس التصرف فيها كأنها ملك له، والاستخلاف يعنى أيضاً الانتفاع بها دون التصرف بوجه غير مشروع وبما أن الإنسان مستخلف عن إدارة الأرض واستثمار ما فيها فهو أمين عليها. ومن الأمانة تعمير الأرض، ونشر العمران فى ربوعها[1].

وقد أمر الله عباده بالسعى، والعمل الجاد، والاجتهاد فى هذه الحياة الدنيا كى يرتفعوا إلى مستوى الخلافة والتمكين فى الأرض، وذلك بتعميرها وإحيائها وتسخير طاقاتها لخدمتهم وخدمة الإنسان.

قال تعالى: ﴿ .. هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا .. ﴿٦١﴾ ﴾[هود].

وفى تفسير ذلك يقول الجصاص: «يعنى أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية»[2].

ويقول سبحانه وتعالى مؤكداً وجوب عمارة الأرض: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأعراف].

ولقد أنزل الله سبحانه وتعالى من التشريعات الإسلامية الواضحة المعالم والجليلة المقاصد. ما يقضى به على عوامل البطالة والفقر داخل المجتمع

---

(١) خالد محمود عبداللطيف – البيئة والتلوث من منظور إسلامى – ص ٨٢، ٨٣ – القاهرة – دار الصحوة للنشر ١٤١٣/١٩٩٣.

(٢) الإمام الجصاص – أحكام القرآن – جـ٣ – ص١٦٥ – دار الكتاب العربى ١٣٢٥.

الإنسانى، وبما يكفل حصول كل فرد على ما يحفظ كيانه ويصون حياته وكرامته.

ومن هذه التشريعات أنه عز وجل هيأ للإنسان من أسباب الاختصاص المباح ومنه الأرض الموات فإذا ما وضع الإنسان يده على الأرض الموات حقيقة. بأن أفرغ فيها من جهده وماله ووقته تحولت بإذن ربها إلى أرض صالحة للانتفاع، وللزراعة.

وإن فتح باب إحياء الأراضى الموات إنما هو فتح لباب العمارة فى الأرض بما يحقق تنمية ثروة المجتمعات، باستغلال واستثمار الموارد الأرضية، والبيئة المتاحة، وتفجير الطاقات الكامنة فيها[1].

ولقد كان رسول الله ﷺ وهو القدوة الحسنة يهتم بالأرض وما عليها، لأن القرآن الكريم.. وهو قانون السماء لأهل الأرض يقول: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ ..** ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة].

قال تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿١٣﴾ ﴾[الجاثية].

وقال عز وجل: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ..** ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل].

٤ - إن جميع موارد الحياة خلقها الله لنا، وبالتالى فإن الانتفاع بها يعتبر فى الإسلام حقاً للجميع، ولذلك فإنه يجب أن يراعى فى استخدامها مصلحة الناس جميعاً، وينبغى أن لا ينظر إلى هذه الملكية على أنها منحصرة فى جيل معين دون غيره، بل هى ملكية مشتركة لجميع الناس، ينتفع بها كل جيل بحسب حاجته دون إخلال بمصالح الأجيال القادمة.

---

(١) عاطف أبو زيد - إحياء الأراضى الموات فى الإسلام - ط رابطة العالم الإسلامى - عدد رقم ١٦٤ - شعبان ١٤١٦هـ - ص١٠٢٩.

٥ - إن حق الاستثمار والانتفاع والتسخير الذى شرعه الله للإنسان يقابله واجب يقتضى المحافظة على الموارد الطبيعية كما وكيفاً.

فقد خلق الله جميع أسباب الحياة للإنسان لتحقيق العديد من الأهداف كالتفكير والعبادة، والسكن والتعمير، والمتعة وتذوق الجمال إضافة إلى الانتفاع والاستثمار.

فلا يجوز للإنسان إفساد البيئة بإخراجها عن طبيعتها المناسبة لحياة البشر واستقرارهم فيها، كذلك لا يجوز استثمار تلك الموارد بشكل غير رشيد يفسد مواردها أو يعرضها للتشويه.

٦ - موقف الإسلام من البيئة ومواردها هو موقف إيجابى، فكما يقوم على الحماية ومنع الفساد يقوم أيضاً على البناء والتعمير والتنمية، حيث أمر الإسلام بإحياء الموات وعمارة الأرض، فغاية الإسلام من المحافظة على البيئة وعمارتها: تحقيق مصلحة عباد الله كافة.

المبحث الثانى

حفاظ الإنسان على البيئة :

إذا كانت البيئة تختلف من منطقة لأخرى من خلال اختلاف مكونات أو معطيات كل منها فإن الإنسان بدوره أيضاً يختلف من منطقة لأخرى تبعاً لقدراته العلمية والتكنولوجية.

ويمكن أن نقسم سكان العالم بصفة عامة إلى مجموعتين أساسيتين هما:

إنسان متطور ومتقدم ، وإنسان متخلف. مع الأخذ فى الاعتبار أن كلاً من درجتى التطور والتخلف تتفاوت فى درجاتها من منطقة لأخرى.

ومن هنا يختلف تأثير الإنسان فى البيئة بين الإيجابية (المكانية) وبين السلبية (الحتمية) . كما يختلف تأثير الإنسان تبعاً لكثافته حيث تتفاوت الكثافة السكانية بين الكثافة العالية والمتوسطة والقليلة أو المخلخلة.

وليس ثمة شك أن كثافة الناس، فى بيئة ما تفرض نفسها على أنشطة الإنسان، وما يبذله من جهد لاستغلال موارد بيئته. وحتى نتبين أثر الإنسان فى بيئته سنحاول أن نستعرض معاً ما يبذله الإنسان من جهد لتطويع مكونات البيئة، وإخضاعها لسيطرته، بما يحقق طموحاته وأهدافه[1].

فإذا أخذنا البيئة الجبلية، رأينا أنها تضع أمام الإنسان الكثير من التحديات والمعوقات التى يحاول الإنسان جاهداً بكل ما أوتى من تقدم وتطور أن يتغلب عليها. ففى مواجهة انحدار سفوح الجبال قام الإنسان بتحويل هذه السفوح إلى مدرجات أو مصاطب ليحقق لنفسه الأرض المستوية التى تمكنه من ممارسة الإنتاج الزراعى دون مخاطر أو مشكلات (مشكلة جرف التربة، وضعف تشرب

---

(١) زين الدين عبدالمقصود - البيئة والإنسان علاقات ومشكلات - عمان - الأردن - دار الشروق - ١٩٨١م - ص٣٨.

التربة لمياه الأمطار). وبهذا الأسلوب استطاع الإنسان أن يستغل الكثير من السفوح الجبلية فى مجال الإنتاج الزراعى دون مخاطر أو مشكلات. كما قام بشق الأنفاق عبر الجبال للتغلب على مشكلة صعوبة الاتصال التى تفرضها الجبال.. كما استطاع من خلال تطور تكنولوچية إنشاء الطرق أن يتغلب على صعوبة الانحدارات وخطوط الكنتور العالية، ومن ثم تم كسر حاجز العزلة عن الكثير من البيئات الجبلية. كما تمكن من استغلال الانحدار الشديد واندفاع المياه عبر المجارى المائية محدثة الكثير من الشلالات والمساقط فى توليد الطاقة الكهربائية واستغلالها فى خلق الكثير من الصناعات.

ويتجلى أثر الإنسان وإيجابيته بشكل واضح فى البيئات الجافة وشبه الجافة.. فالبيئة الجافة كما نعرف من البيئات القاسية ، والتى تضع أمام الإنسان الكثير من المعوقات الطبيعية من أهمها ندرة المياه وتحركات الرمال وملوحة التربة.

وقد استغل الإنسان ما لديه من علم وتكنولوچيا فى التغلب على كل هذه المعوقات ليتمكن من استغلال موارد هذه البيئة. فبالنسبة لندرة المياه قام الإنسان بالبحث عن بدائل تمكنه من مواصلة الحياة فى هذه البيئة القاسية. فقد استطاع أن يكتشف مخازن المياه الجوفية (السطحية والعميقة) وأن يضخها للاستفادة منها فى مجال الإنتاج الزراعى والعمرانى.

ومن هنا ارتبطت تجمعات السكان فى هذه البيئات بمناطق المياه الجوفية. من أمثلة ذلك: واحات القصيم والإحساء بالسعودية ، ومنطقة الوفرة والعبدلى بالكويت، ومنطقة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة، ومناطق الواحات فى صحراء ليبيا (واحة جغبوب) وواحات مصر والجزائر ، وغيرها.

وقد استطاع الإنسان مؤخراً استغلال الأقمار الصناعية (اللاندسات/ ٣) فى تحديد مناطق الخزانات الجوفية العميقة، تمهيداً لاستغلالها.

كما استطاع الإنسان أن يوفر لنفسه موارد مياه عذبة عن طريق تحلية مياه البحر حتى أصبحت المياه المحلاة مورداً مهماً لمياه الشرب، فى الكثير من البيئات الجافة، ومن أمثلة ذلك منطقة الخليج العربى التى تعتبر من أكثر مناطق العالم اعتماداً على المياه المحلاة فى الشرب والنشاط الصناعى بل وتتجه النية لاستغلال هذه المياه المحلاة فى مجال الإنتاج الزراعى عن طريق الزراعة المحمية والرى بالتنقيط.

كما لجأ الإنسان إلى إقامة بعض السدود عبر المجارى المائية التى تخترق هذه البيئات بهدف تخزينها، وضبط استخدامها (مجموعة السدود المقامة على نهر النيل ودجلة والفرات بالإضافة إلى العديد من السدود الصغيرة).

وأخيراً لجأ الإنسان إلى معالجة مياه المجارى الصحية وإعادة استغلالها فى مجال الإنتاج الزراعى والصناعى بل وأحياناً للشرب.

وخير مثال على ذلك ما قامت به الكويت من معالجة مياه المجارى الصحية فى محطة العارضية، واستغلالها فى رى مشروع الرى الزراعى بالصليبية (٩٢٠٠دونم).

كما لجأ الإنسان إلى تطوير وسائل الرى لمواجهة قلة موارد المياه باستخدام وسائل رى اقتصادية مثل الرى بالتنقيط Drip irrigation ، وهو نمط من الرى يوفر ما بين ٣٠٪ إلى ٧٠٪ من كمية المياه المستخدمة إذا ما قورن بالرى العادى.

كما لجأ الإنسان إلى استخدام الرى بالرش Sprinle irrigation، وقام بتطين قنوات الرى، أو استخدام الأنابيب الأسمنتية أو البلاستيكية لتقليل مقدار الفاقد بالتسرب أو التبخر.

وفى مواجهة ملوحة التربة قام الإنسان بغسل التربة، عندما توفرت له موارد المياه (مجارى مائية).

كما حدث فى شمال الدلتا بمصر وباكستان، وجنوب العراق.. كما قام بإضافة الجبس ليقلل من ملوحتها، أو باستنباط محاصيل تتحمل ملوحة التربة.

وتتجلى قدرات الإنسان وإمكانياته فى إعادة بناء التربة بما يحقق أهدافه. ففى البيئات ذات التربات الثقيلة لجأ الإنسان إلى إضافة الرمال لتفكيكها وتحويلها إلى تربة خفيفة نسبياً ليحقق لنفسه الفرصة فى تنويع محاصيله الزراعية.

بينما فى مناطق التربات الرملية (الواسعة النفاذية) أضاف إليها الطمى فى بعض الأحيان والأسمدة العضوية فى أحيان أخرى لتقليل درجة المسامية ليزيد من قدرة التربة على الاحتفاظ بالمياه من ناحية، وزيادة خصوبتها وتنويع محاصيلها من ناحية أخرى.

وفى مواجهة التربات الحمضية لجأ إلى إضافة الجير لإحداث درجة من التعادل والتخلص من الآثار الضارة للحموضة الزائدة.

كما واجه التربات الفقيرة بتخصيبها عن طريق إضافة الأسمدة العضوية والكيماوية والأسمدة الخضراء (زراعة نباتات مخصبة للتربة مثل البقوليات والبرسيم أو الجت) ليزيد من قدرتها الإنتاجية.

وفى مواجهة مشكلة تحركات كثبان الرمال فقد قام الإنسان بمحاولة وقفها أو تثبيتها من خلال استزراع مصدات الرمال من حول القرى والطرق، أو بتغطيتها بطبقة من مشتقات النفط (القار) كما حدث فى منطقة الإحساء بالسعودية، أو باستزراع هذه الكثبان بنباتات مثبتة لها مثل نبات الفضى، والذى نجح فى تثبيت مناطق الكثبان الرملية فى إيران أو نبات الهيلاريا الذى نجح فى تثبيت الكثبان الرملية فى ليبيا.

وفى مواجهة التقلبات المناخية وخاصة حدوث الصقيع أثناء فصل الشتاء لم يقف الإنسان موقفاً سلبياً بل قام بتغطية المحاصيل الزراعية سريعة التأثر بالصقيع بأغطية بلاستيكية ، أو ما يسمى بزراعة الشبرات، أو الزراعة المحمية

كما هو الحال فى منطقة العبدلى والوفرة بالكويت وغيرها من البيئات التى تخضع لنوبات الصقيع.

وكما نجح الإنسان فى استنباط الكثير من السلالات التى تتحمل قسوة الظروف المناخية، أو التى تنمو فى فصل نمو أقصر من فصل نموها لا يتعدى تسعين يوماً بينما القمح الشتوى يحتاج إلى فصل نمو يمتد ليشمل ١٢٠ يوماً.

وقد أدى هذا الإبداع البشرى فى إيجاد سلالات جديدة وإلى إمكانية زراعة برارى كندا وكثير من برارى الولايات المتحدة والكثير من مناطق سهول سيبيريا بالاتحاد السوفيتى.

كما نجح الإنسان من خلال اختراعه لأجهزة التبريد والتكييف والتدفئة فى التغلب على المعوقات الحرارية وصنع ظروفاً حرارية مناسبة تتيح له القدرة على العمل والنشاط وبذل الجهد، كما استخدم الآلات والمعدات الثقيلة فى شق الأنفاق وتشييد الطرق وتسوية الأرض واستخراج المعادن من باطن الأرض، وتغيير الكثير من ملامح البيئة بما يسهل عليه استغلالها.

وإذا كان الإنسان قد قام بالكثير من المتغيرات الإيجابية بما مكنه من استغلال موارد بيئته، فإنه فى نفس الوقت أحدث بعض المتغيرات الضارة بيئته، والتى أسهمت فى إفساد موارد البيئة وإحداث خلل فى نظامها البيئى على نحو ما سيرد تفصيله فى المبحث التالى من خلال بيان كيفية حفاظ الإنسان على البيئة.

حفاظ الإنسان على البيئة فى التصور الإسلامى :

صور أحد علماء الغرب (فروم، ١٤١٠هـ) العلاقة بين الإنسان وبيئته بقوله:

«إن علاقة الناس بالطبيعة اتسمت بالعداء الألد فنحن من نزوات الطبيعة، ظروف وجودنا تجعلنا جزءاً منها وموهبة العقل تجعلنا نتفوق ونعلو عليها. ومن

ثم فقد حاولنا أن نحمل مضلة وجودنا بنبذ رؤية الخلاص المتمثلة فى الانسجام بين الجنس البشرى والطبيعة، واتجهنا نحو إخضاعها وقهرها وتحويلها إلى تحقيق أغراضنا»[1].

ومصدر الداء فى علاقة الإنسان غير المسلم بالبيئة، أن ذلك الإنسان يخلى الحلبة ليكون فى مواجهة ومقابلة البيئة ، دون استشعار وجود محكم لهذا الكون، فنجد أن علاقة الإنسان غير المسلم بالبيئة علاقة غلب عليها الاختلال.

أما علاقة الإنسان المسلم بالبيئة فهى علاقة مثالية لكون القرآن الكريم والسنة المطهرة هما اللذان نظما هذه العلاقة. حيث نجد أن العلاقة التى نظمها الإسلام بين الإنسان وبيئته، وما تحتويه من موجودات حية وغير حية هى علاقة مودة ومحبة واحترام أو علاقة تآلف وتسخير وانتفاع. فلا قسر أو إرهاب ولا بغضاء ولا صراع ولا عداء ، بل ولا إسراف فى استخدام محتويات هذه البيئة، فالإسلام يدعو إلى التوسط والاعتدال فى استخدام الإنسان لمحتويات كونه الفسيح.

لقد أتى الإسلام بالحل الأمثل فى علاقة الإنسان بالبيئة ليضمن للبشرية خيرى الدنيا والآخرة ، ويضبط تعامل الناس مع بيئتهم ، ويرشد سلوكهم تجاهها. هذه العلاقة هى توازن واتساق وتفاعل إيجابى، بريئة من الاختلال والتطرف، فالمسلم لا يعبد البيئة لأنه يعلم أنها مخلوقة مثله، ولا يتأله عليها لأنه يؤمن أنه مخلوق مثلها، ولا يعتزلها لأنه يعلم أنها مخلوقة من أجله، وأنه لا غنى له عنها فى حياته.

هذه العلاقة الحميمة قد صاغها الإسلام كأحسن ما تكون عليه علاقة اثنين لا غنى لأحدهما عن الآخر، وحمى بذلك العقل المسلم من الخوض فى متاهات فلسفية عقيمة، ومن الشطط فى أفكاره وسلوكياته[2].

---

(١) شوقى أحمد – التنمية والبيئة دراسة مقارنة – دعوة الحق – العدد ١٣٧ – مكة المكرمة – رابطة العالم الإسلامى – ١٤١٤ هـ– ص ٣٠.

(٢) عبدالرحيم الرفاعى بكرة – أسس التربية البيئية فى الإسلام – الرياض – إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ١٤١٣ هـ– ص ٥٤.

وتقوم علاقة الإنسان ببيئته فى الإسلام على أساس أنه جزء منها، ومكون من مكوناتها ، وكل من الإنسان والبيئة مخلوق بقدرة الله لغاية محددة، ومصير محتوم.

ولذلك فلا تباين بينهما ولا نشاز فى علاقتهما . وقد خلق الله الأرض بسهولها وجبالها وصحاريها ووديانها وبحارها وأنهارها وما على سطحها وما فى باطنها من أجل الإنسان ، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا** .. ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة] .

وأنه تعالى جعل ما فيها من الكائنات لمنفعة الإنسان، وشجع الناس على طلب الرزق، واستخراج كنوز هذه الأرض بعد أن ذللها لهم، وجعلها منقادة لما يريدونه منها.

ونظراً لأن الإنسان لديه نوازع النقص والقصور ، تلبية للجانب المادى فى تكوينه ، فقد ينحرف بسلوكه وممارساته، عما هو مقدر فى رسالته، فقد يأتى من السلوكيات البيئية ما قد يكون من نتائجها القضاء على مقومات الحياة له ولغيره من المخلوقات أو الاضرار بها. ولذا لابد أن تستند علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية على دعائم ومقومات تحدد خطواته ، وتضبط ممارساته، وتحد من طيشه ونزعاته، فى إطار من الفهم الصحيح والوعى الدقيق لدوره فى هذا الوجود. والإسلام هو خاتم الرسالات الربانية إلى البشرية، وقد تضمن قواعد وضوابط لسلوكيات البشر تجاه بيئتهم التى يعيشون فيها كى تتحقق العلاقة المتوازنة والسوية بين الإنسان وبيئته لتستمر الحياة كما قدر الله الأرض وما عليها. فعلاقة الإنسان بالبيئة كما يصورها الإسلام علاقة حميمة، لأن البيئة مخلوقة من أجل ذلك الإنسان، كل ما فيها مسخر له، وهى كافية لأبناء الأرض جميعاً إن أحسنوا إدارة أمورهم ، فالاستخلاف يعنى أن الإنسان وصى على هذه البيئة، فهو مستخلف على إدارتها دون إفساد فى الأرض.

وجملة ما نصل إليه :

أن الإنسان خليفة الله فى الأرض، ووصى على البيئة وليس مالكاً لها، فعليه من هذا المنطلق أن يأخذ منها بقدر الحاجة، مع أداء حق هذه النعمة وشكرها بالمحافظة عليها، وبإعطاء حق الله فيها للمحتاجين.

فشكر النعمة عامل من عوامل استدامتها، وكفران النعمة مدعاة لزوالها ، قال الله تعالى:

﴿ .. لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم].

ويجب أن تكون علاقة الإنسان ببيئيه علاقة حسنة، وتكون تصرفاته مع عناصر البيئة حكيمة ومعتدلة، وأن يلتزم جادة الصواب فى تصرفاته وممارساته تجاه البيئة فيكون معمراً لها لا مدمراً لمكوناتها.

فعلاقة الإنسان بالبيئة ليس كما يميل إليه هوى بعض الناس، ولكنه مضبوط بسنن لا يستطيع الإنسان خرقها[1].

ولعل ما تعانيه البشرية اليوم من مشكلات بيئية ، تكشف عن وجود خلل فى العلاقة بين الإنسان والبيئة، نتيجة غياب الوعى البيئى والتربية، وتجاهلها توجيهات الإسلام التى ينبغى أن تحكم سلوكيات وتصرفات الأفراد والجماعات تجاه البيئة.

فالإنسان المعاصر بسلوكياته غير الإسلامية تجاه البيئة يعتبر مسئولاً مسئولية كاملة عما أصاب العلاقة بين الإنسان والبيئة من خلل وتدهور واستنزاف لموارد البيئة التى أنعم الله بها على البشرية.

ولعل دعوة الإسلام إلى حسن تعامل الإنسان مع بيئته لواحدة من شمولية هذا الدين الذى دعا إلى كل خير، ونهى عن كل شر.

(١) على راضى أبو زريق - الإنسان والبيئة - دعوة الحق - العدد ١٥٩ - مكة المكرمة - رابطة العالم الإسلامى - ١٤١٦هـ - ص ٨٨ ، ٨٩.

فقد حذر الإسلام من إحداث أى تغيير بمكونات البيئة، وهى من أنعم الله تعالى وتوعد من يهن نعمة الله بالعقاب الشديد.

إن من يدرس علاقة الإنسان بالبيئة فى الإسلام يخرج بما يلى:

١ - إن كل ما فى البيئة مخلوق من أجل الإنسان مسخر له، لجعل حياته سهلة ورزقه ميسراً.

٢ - البيئة الأرضية جزء من الكون كله ، وهى بيئة متوازنة، خلق كل شىء فيها بحساب دقيق، وعلى الإنسان أن يحافظ على توازنها باستمرار ، ولا يتسبب فى خللها أو تلوثها كى لا تضطرب أمورها فيدفع هو الثمن.. أو تقل منافع عطائها بسبب التلوث.

٣ - الأرض كافية للناس كونها مصدر رزق ومكان وسكن، إذا أحسنوا إدارة أمورها.

٤ - ليس من الحكمة أن يهدر الإنسان ما خلق الله له من طاقات ومصادر طبيعية، أو يستنزفها ، فالمصادر الطبيعية يمكن أن تنضب إذا لم يحافظ عليها، لذا عليه أن يحسن استغلالها، فالإسراف والتبذير فى استعمالات الطاقات والموارد البيئية حرام فى الإسلام.

٥ - يجب المحافظة على كل نوع نباتى أو حيوانى فى البيئة، وحمايته من الانقراض ، حتى لو لم تكن الفائدة من وجوده معروفة الآن، فما خلق الله من شىء عبثاً.

٦ - الإنسان جزء من بيئته، ويستطيع أن يكون سبباً فى سعادة محيطه الإنسانى، كما يستطيع أن يكون سبباً فى شقاء البشر.

وفى الحالة الأولى يكون له نعيم الدارين، وفى الثانية عذاب الدنيا والآخرة[١]. إن هذه العلاقة التى أوضحها الإسلام يمكنها أن تحدد جدوى

---

(١) على راضى أبو زريق : المرجع السابق ، ص ٨٨ - ٨٩.

تعايش الإنسان من البيئة فى كل زمان ومكان، وهى أيضاً التى تجعل الإنسان يعيش فى الوضع المناسب على هذه الأرض، وهذا ما يجب أن تقوم به التربية.

وإذا كنا قد تناولنا كيفية حفاظ الإنسان على البيئة، فإننا فى حاجة لرصد كيفية تحديد المشكلة البيئية، وكيفية مواجهتها والتغلب عليها، وهذا ما سنفصله فى المبحث الثالث بحوله تعالى.

المبحث الثالث

تحديد المشكلة البيئية فى المنظور الإسلامى :

ماذا نعنى بالمشكلة البيئية على وجه التحديد؟ لننظر أولاً فى كلمة مشكلة فلهذه الكلمة معنيان : فقد تعنى ظاهرة يكتنفها الغموض وتحتاج إلى تفسير. . وقد تعنى وجود حالة مرضية يعانى منها الإنسان، وتحتاج إلى علاج.

المشكلة إذن إما مشكلة بحثية (Research Problem) تدفع إلى البحث من أجل الكشف عما يحيط بها من غموض.

أو مشكلة مرضية (Pathoiogical Problem) يعانى منها الإنسان ، وتحتاج إلى علاج.

فى المعنى الأول يقال (أشكل) الأمر أى ألتبس واكتنفه الغموض . وترجمت بهذا المعنى الكلمة الفرنسية (Probleme) وترجمت فى علم الرياضيات إلى مسألة، وفى علوم القانون إلى قضية، وفى العلوم الاجتماعية ترجمت إلى مشكلة، وليس هذا هو المعنى المقصود بالمشكلة البيئية.

وعندما يتحدث علماء البيئة عن مشكلة التلوث أو مشكلة سرعة نضوب الموارد الطبيعية فإنهم يقصدون المعنى المرضى الاختلالى لكلمة المشكلة.

وفى دراستنا الحالية نسير على نفس النهج، إلا أننا نفرق - وكما أوضحنا فى مناقشاتنا السابقة - بين تغير احتكاكى مرغوب فيه، وتلوث يشكل خطورة بالنسبة للإنسان، وهذه التفرقة قد أخذ بها أيضاً بعض علماء البيئة فى تقسيمهم للتلوث من حيث درجة خطورته: إلى تلوث طبيعى مرغوب فيه، وتلوث خطر، وأخيراً تلوث مدمر أو خطر جداً.

فالتغير الاحتكاكى والتلوث الذى يقع فى نطاق القدرة الاستيعابية للطبيعة لا يشكلان أى مشكلة بيئية. أما التلوث الخطر أو التلوث المدمر فإنه يشكل

مشكلة بيئية والمشكلة البيئية تشير إلى ظاهرة يكتنفها الغموض وتحتاج إلى تفسير، ومن الأمثلة على ذلك نزول المطر فى منطقة جدباء، أو قلة الأوكسچين فوق المرتفعات وقمم الجبال، أو ظاهرة تولد غاز الأوزون فى طبقات الجو العليا، هذه كلها مشكلات بحثية تدعو إلى الدراسة والتمحيص، وليست مشكلات مرضية تحتاج إلى علاج.

والآن ننظر فى كلمة البيئة كى يتسنى لنا بعد ذلك أن نحدد وبدقة مفهوم المشكلة البيئية.

إن البيئة الطبيعية مسخرة للإنسان وتشكل نظاماً بيئياً متوازناً يعمل على استمرار الحياة من خلال السلسلة الغذائية، ولكن بعض علماء الاجتماع يذهبون مذهباً آخر ففى الدراسات الاجتماعية المعاصرة تيار فكرى يطلق عليه اسم المدرسة البيئية (الإيكولوچية) يربط بين الإنسان من جانب، والظروف الحيوية (البيولوچية) والجغرافية من جانب آخر.

وهذه المدرسة يمكن اعتبارها امتداداً للنزعة الحتمية المتمثلة فى الداروينية الاجتماعية ، فهى توسع من نطاق العوامل الحتمية التى تفرض نفسها على الإنسان، لتشمل الظروف البيئية والجغرافية إلى جانب العوامل البيولوچية[1].

هذا الاتجاه لا يعترف بتسخير البيئة الطبيعية للإنسان، الأمر الذى دفع الكثيرين من علماء الاقتصاد إلى الزعم بأن البيئة الطبيعية شحيحة بمواردها التى لا تكفى لإشباع رغبات الإنسان.

وينطلق علماء الاجتماع والاقتصاد فى موقفهم التشاؤمى من البيئة الطبيعية من النظرة الفلسفية التى تقيم علاقة الإنسان بالبيئة على الصراع والتناقض والعداء، وتدعو الإنسان إلى قهر الطبيعة وإذلالها للحصول منها على أقصى ما يمكن من موارد لإشباع أقصى ما يمكن من الرغبات الإنسانية.

---

(١) نيقولا تيماشيف - نظرية علم الاجتماع ، طبيعتها وتطورها - ترجمة د. محمد عودة - دار المعارف - مصر - الطبعة السابعة - ١٩٨٣م - ص ٣١٤.

ولسنا بحاجة إلى القول بأن هذه النظرة الفلسفية وما أسفرت عنه من اندفاع الإنسان فى استغلال الموارد الطبيعية تعتبر مسئولة بدرجة كبيرة عن التلوث ، وعن سرعة نضوب بعض تلك الموارد.

ومما يعمق من هذا الاتجاه المدمر للبيئة الطبيعية : أن علماء الاجتماع يقيمون تفرقتهم بين الواقع الاجتماعى من جانب والواقع المادى والعضوى من جانب آخر، على أساس أن الأول قابل للفهم ويمكن تفسيره ، بينما الواقع الثانى غير قابل للفهم ولا يمكن تفسيره.

ويذهب سوروكين : إلى أن الواقع الاجتماعى يسمو على كل من الواقع الطبيعى الفيزيائى والواقع العضوى الحيوى، لأنه يحتوى على عناصر رمزية تتمثل فى المعانى والقيم والمعايير.

ويقول ماكس فيبر : إن الظاهرة الاجتماعية قابلة للفهم المتمثل فى المعانى والمقاصد الذاتية للأشخاص، بينما لا تستطيع ذلك بالنسبة للظاهرة الطبيعية.

ويقول ماكفير : إن الوقائع الاجتماعية، مثل حدوث إضـــراب العمال، أو تحديد سعر سلعة معينة، هى وقائع مدركة حيث نستطيع أن نعرف الدوافع التى أدت بالإنسان إلى التصرف على نحو معين بينما لا نستطيع أن نفهم مثلا : لماذا يسقط المطر؟

ومن ناحية أخرى: فإن ما يذهب إليه علماء الاجتماع يتصادم مع موقف الإسلام من قضية فهم حركة المسخرات فى العالم الطبيعى حيث ينزل المطر من السماء بمشيئة الله لكى ينبت الثمار غذاء للإنسان والحيوان.

يقول جلت قدرته: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[السجدة].

هناك غاية مستهدفة وبالتالى فإن حركة الظواهر والأشياء فى البيئة الطبيعية أو العالم غير المكلف ليست عشوائية، وإنما هى حركة هادفة يمكن فهمها، وإضفاء المعنى عليها.

صحيح أن الظواهر والأشياء التى تتكون منها البيئة الطبيعة، لا وعى لها ولا إرادة، إلا أنها تخضع فى تكوينها وحركتها لقوانين وسنن كونية تحكمها الإرادة الإلهية.

خلاصة القول : علينا أن ننظر إلى البيئة الطبيعية بكل ما فيها من ظواهر وأشياء على أساس أنها مسخرة للإنسان، لكى تزوده بمقومات الحياة، فتعينه بذلك على أداء مهمته الاستخلافية بإعمار الأرض وتحقيق الهدف من خلقه، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى. وفى ضوء هذا المفهوم الإسلامى تعرف المشكلة البيئية بأنها اختلال فى النظام البيئى يجعله - أو يهدد بجعله - غير قادر على القيام بمهمته التسخيرية للإنسان على الوجه الأكمل.

وعلى ذلك قد تكون المشكلة البيئية تلوثاً فى الهواء، أو تلوثاً فى الماء، أو فى التربة، وقد تكون استنزافاً للطاقة، وقد تكون خللا فى السلسلة الغذائية، وقد تكون خللا فى النظام البيئى بصورة من الصور. ولكن لا بد من توافر شرط أساسى آخر وهو أن يبلغ الخلل - أو التلوث- درجة معينة بحيث يعانى منه الإنسان.

ومعنى ذلك أننا نستعبد من نطاق المشكلة البيئية التغيرات الاحتكاكية والتلوث الذى لايتجاوز قدرة الطبيعية على استيعابه.

وقد يكون من المفيد أن نورد فيما يلى تعريفاً للمشكلة البيئية على أنها حدوث خلل أو تدهور فى النظام البيئى ينجم عنه أخطار بيئية تضر بكل مظاهر الحياة على سطح الأرض سواء كان هذا الخطر بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة[1].

---

(١) زين الدين عبدالمقصود - البيئة والإنسان - مرجع سابق - ص ١٨ .

ويضيف الدكتور زين الدين إلى ذلك قوله : ومعنى المشكلة لا يقتصر على حدوثها، وإنما يمتد ليشمل احتمالات حدوث الخلل أو التدهور.

وعلى سبيل المثال: تزايد السكان بمعدل أكبر من معدل تزايد إنتاج الغذاء يهدد بوقوع خلل فى المستقبل. فهذه البيئة تعانى إذن من وجود مشكلة أو أنها مستقبلية.

ونحن نلاحظ أن هذا التعريف للمشكلة البيئية يخلو من الإشارة إلى العمل التسخيرى والهادف للنظام البيئى. . والذى يتأثر بطريقة سلبية بحدوث الخلل.

ومن هنا يتفوق تعريفنا المقترح للمشكلة البيئية الذى ينطلق من منطلقات إسلامية، تؤكد وجود الغاية من خلق الطبيعة (الكون) وارتباط تلك الغاية بمهمة الإنسان فى الحياة والهدف من خلقه.

فالطبيعة مسخرة بأمر الله للإنسان لتزوده بمقومات الحياة، فتعينه بذلك على أداء عمله الاستخلافى فى الأرض.

وثمة ملاحظة أخرى نبديها على ما ورد بالتعريف السابق الذى نظر إلى تزايد السكان بمعدل أكبر من معدل تزايد إنتاج الغذاء على أنه يمثل مشكلة بيئية بمعناها المرضى الاختلالى.

بينما الواقع الذى نراه - أن هذه مشكلة احتكاكية - تدفع الإنسان إلى البحث عن مصادر جديدة لإنتاج الغذاء كاستصلاح الأراضى - ومحاولة البحث عن مصادر للمياه ، فهى ليست مشكلة بيئية مرضية.

إن عدم توافر الماء فى الصحراء لا يعتبر بذاته مشكلة بيئية - أى مشكلة مرضية يعانى منها الإنسان - وإنما هو من الأمور الهيكلية التى خلق الله عليها الأرض.

إن البيئة الصحراوية تقل فيها الكثافة السكانية ويحصل السكان على حاجاتهم وحاجات ماشيتهم من الماء، من المياه الجوفية، والآبار، والأمطار القليلة التى تسقط بين الحين والآخر.

ولكن عندما يمتد العمران ويتزايد عدد السكان فى منطقة صحراوية تصبح ندرة الماء مشكلة، ولكنها ليست مشكلة بيئية اختلالية.

إن ندرة الماء - مع تزايد الحاجة إليه والرغبة فيه كنتيجة لزحف العمران تدفع الإنسان إلى البحث عن الماء والعمل على توفيره.

فندرة الماء هنا : ندرة احتكاكية وليست اختلالية، وهى التى تعتبر حافزاً للإنسان على التفكير والبحث والنشاط للتغلب عليها، وقد يكفى أن ننظر إلى مناطق صحراوية كالجزيرة العربية.

وقد أصبحت الآن عامرة بالسكان بعد أن أمكن توفير المياه لتغطية احتياجات ملايين من البشر، بأساليب متعددة مثل تحلية مياه البحر، واستخراج المياه الجوفية، حيث توجد الصخور الرسوبية التى تختزن المياه فى فراغاتها وتوجد بعض مناطق من الأرض تتعرض للهزات الأرضية بين الحين والحين -كما هو الحال فى اليابان- وقد دفع ذلك إلى التفكير والبحث لتجنب مخاطر الزلازل ، وبالفعل تمكن الإنسان من بناء مساكن؛ تمتص الهزات الأرضية بدرجة معينة.

وفى البيئات الجبلية وحيث تكون درجة انحدار المرتفعات شديدة، تتزايد سرعة انسياب مياه الأمطار الساقطة على تلك البيئات، ويصاحب ذلك جرف شديد للتربة يؤدى إلى تلوثها أو تصحرها.

ولكن مع ذلك، لا نقول أن هذه مشكلة بيئية اختلالية فهى مسألة ترتبط بطبقات الأرض، ولكى تكون دافعاً للإنسان على البحث والتطوير فى مساره الحضارى.

فقد استطاع استغلال الظروف البيئية فقام بتحويل سفوح الجبال إلى مدرجات أو مصاطب ليوقف انجراف التربة[1].

(١) البيئة والإنسان - مرجع سابق - ص ٢٦.

وتمكن بذلك من استخدام مياه الأمطار فى الزراعة، لقد خلق الله الكون -وكل شىء فيه- على أحسن ما يكون موافقاً للغاية من خلقه، ومن ثم لاينبغى أن نصف شيئاً من خلقه باختلال، وإنما الإنسان وحده هو المصدر المباشر أو غير المباشر للاختلال.

يقول تعالى: ﴿ .. الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[طه].

ويقول: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ .. ﴿٧﴾ ﴾[السجدة].

ويقول: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[الأعلى].

بيئة من صنع الإنسان :

وهى الأنظمة التى وضعها الإنسان، وتضم الأنظمة الاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية والبحثية، والتقنية، والنفسية، والاقتصادية، والصحية، والتعليمية، والتربوية.

ولقد شهد العصر الحديث تعدداً وتنوعاً ملحوظاً فى مشكلات البيئة، فبعد أن كانت المشكلة الأساسية هى مشكلة التلوث، وما نتج عنها من أضرار بالغة الأثر فى المجتمع الإنسانى، أضيفت مشكلات جديدة شملت جوانب عديدة من جوانب الحياة.

ولا تقتصر مشكلات البيئة على مجتمع دون آخر، بل تمتد لتشمل كل الدول وعلى جميع مستويات النمو الاقتصادى والاجتماعى.

فهناك مشكلات المجتمع الصناعى والبلاد المتقدمة، وهى بلاشك تؤثر تأثيراً سلبياً بطريق مباشر أو غير مباشر فى بيئة الإنسان فى الدول النامية. وأقرب مثل لهذا مشكلة نقصان طبقة الأوزون ، فإنها وإن كانت نابعة أصلاً من الدول الصناعية المتقدمة، إلا أن الآثار الضارة الناجمة عنها سوف تمتد لتشمل الدول النامية ، بالإضافة إلى الدول التى تسببت فى حدوث المشكلة[1].

---

(١) عز الدين الدنشاوى ، صادق أحمد طه - سموم البيئة (أخطار تلوث الهواء والمـــاء والغـــذاء) - الرياض - دار المريخ - ب.ت - ص٢١.

وهناك أيضاً مشكلات الدول النامية، وتشمل انخفاض مستوى المعيشة وسوء التغذية، وانتشار الأمراض وزيادة الكثافة السكانية ، بالإضافة إلى ضعف خصوبة التربة، وانخفاض إنتاج العامل بسبب المرض وسوء التغذية وتدنى مستواه الثقافى والتعليمى.

ويمكن تقسيم أبرز مشكلات البيئة إلى الأقسام التالية:

(١) تناقص المصادر الطبيعية :

شهد العصر الحديث تناقصاً ملموساً فى المصادر الطبيعية لكثير من الدول، وذلك على أثر تدهور حالة الأراضى الصالحة للزراعة، واستنفاد المصادر الطبيعية، وضعف خصوبة التربة الزراعية، بالإضافة إلى ماسببه تلوث البيئة من تناقص فى النباتات والكائنات البرية والبحرية.

ولعل مشكلة نقصان طبقة الأوزون تعد من أبرز المشكلات التى أدت وسوف تؤدى إلى هذا التناقص، إذ لم تعالج معالجة سريعة وحاسمة، وهذه نماذج من هذه المشكلات.

أ - التربة :

لقد تعرضت التربة الزراعية لعدة عوامل أثرت فى جودتها وصلاحيتها للزراعة، وبالتالى فى مقدار ما تنتجه من محاصيل، ومن أهم هذه العوامل ظاهرة التصحر وزيادة ملوحة التربة، واستنفاد العناصر الطبيعية بها، بالإضافة إلى الإسراف فى استخدام المبيدات الحشرية، وإلقاء المخلفات الكيميائية فى التربة، أو فى المياه المجاورة لها.

ب- النبات والحيوان :

أدى قطع الأشجار والنباتات واستخدامها كمصدر للطاقة إلى تناقص ملحوظ فى الغابات والثروة النباتية، ولقد تناقص عدد الحيوانات البرية، وانقراض بعض نوعيات منها، بسبب إطلاق صيد الحيوانات البرية بدون قيود أو شروط.

ولقد كان الدافع الأول فى الإقبال على صيد هذه الحيوانات هو الربح الطائل الذى يدره بيع هذه الحيوانات، أو الأشياء الثمينة منها مثل الفراء والعاج والجلود.

جـ- المــاء :

من أبرز مشكلات البيئة التى تؤدى إلى تناقص المصادر الطبيعية قلة المياه الصالحة للشرب، والزراعة، ولأغراض الصناعة، وذلك بسبب الزيادة المضطردة فى تلوث المياه السطحية والجوفية.

ولقد أدى تلوث مياه البحار والأنهار إلى نقصان إنتاجية الكائنات البحرية، ومن أمثلة هذا التلوث الأمطار الحمضية الملوثة بمخلفات المصانع والأنشطة الأخرى، والتى يترتب على سقوطها فى البحيرات موت الأسماك، وتقل إنتاجية الكائنات البحرية أيضاً بسبب نقصان طبقة الأوزون، الذى يترتب عليه نفاذ الأشعة البنفسجية الضارة إلى البحار، حيث تنمو النباتات البحرية التى تعتبر غذاءً أساسياً للأحياء المائية.

د - الهــواء :

يعتبر الهواء مصدراً طبيعياً أساسياً لنمو وحياة النباتات والحيوان والإنسان، ولقد أدى تلوثه بالغبار والأبخرة السامة إلى رداءة الهواء الضرورى لحياة النباتات والحيوانات، مما يترتب عليه نقصان فى المحاصيل الزراعية والحيوانات.

هـ- مخلفات الصناعة :

تعتبر مخلفات الصناعة من مواد كميائية ضارة من أهم العوامل التى تؤدى إلى نقص الموارد الطبيعية، حيث تؤدى إلى تلوث مياه الشرب والزراعة والتربة.

و - نقصان طبقة الأوزون :

يؤثر نقصان سمك طبقة الأوزون تأثيراً سلبياً فى إنتاجية المحاصيل الزراعية والكائنات البحرية بسبب ارتفاع درجة حرارة الجو.

وسوف نناقش بمشيئة الله أضرار نقص طبقة الأوزون بشىء من التفصيل فى الفصل الثالث، وذلك فى المبحث السادس منه.

(٢) سوء التغذية :

يعتبر سوء التغذية من أخطر مشكلات البيئة، حيث ينجم عنها إصابة الإنسان بأمراض عضوية ونفسية ووراثية ، كما تؤدى إلى مضاعفات الحمل وتشوهات وأمراض الأجنة، وانخفاض معدل أوزان المواليد.

ويسبب سوء التغذية أيضاً قلة الإنتاج البدنى والفكرى، وتدنى مقاومة الإنسان للأمراض ، ومن أسباب سوء التغذية الفقر والتشرد والمجاعات وقلة المصادر الغذائية والافتقار إلى العناصر الحيوية، مثل البروتينات والفيتامينات والأملاح، بسبب تدهور حالة التربة الزراعية والعوامل البيئية الأخرى التى تؤثر فى نمو النباتات.

(٣) زيادة عدد السكان :

أدت مشكلة التضخم السكانى فى كثير من دول العالم، وبخاصة العالم الثالث، إلى زيادة الضغوط على الموارد الطبيعية لتلبية حاجة الناس من متطلبات غذائية ، وضروريات حياتية، ولقد أدى هذا بدوره إلى إيجاد العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والصحية والسكانية والتعليمية.

ولقد تسبب التضخم السكانى أيضاً فى تزايد تقلص المساحة الزراعية نتيجة للزحف العمرانى، وبناء المساكن والمصانع على حساب الرقعة الزراعية.

(٤) مشكلات المدن :

من أبرز مشكلات المدن الزحام والضوضاء ، وزيادة السكان وما يترتب عليها من اختناقات فى وسائل المواصلات ومشكلات فى الإسكان والمرافق العامة والنظافة والتعليم والبناء والعناية بتجميل المدينة.

وبالرغم من أن الأجهزة المختصة بحماية البيئة قد أولت مشكلات المدينة عناية فائقة، وبذلت أقصى الجهود لمعالجتها والتغلب عليها، فإن الكثير من المدن المزدحمة فى العالم ما زالت تشكو من الزحام والضوضاء.

بالإضافة إلى ارتفاع نسبة المواد الملوثة للهواء، والناتجة عن عادم السيارات ووسائل النقل الأخرى، وزيادة عدد المصانع المقامة فى المدن أو الأماكن المجاورة لها ويترتب على ارتفاع نسبة المواد الملوثة لهواء المدينة وزيادة نسبة الإصابة بأمراض الجهاز التنفسى وأمراض القلب والشرايين، بالإضافة إلى الأمراض الناجمة عن الضوضاء.

(٥) الأمراض :

تعتبر الأمراض عبئا ثقيلاً على بيئة الإنسان، نظراً لما تسببه من تدهور فى صحة الفرد البدنية والنفسية والفكرية، بالإضافة إلى ما تفرضه من مشكلات اقتصادية تتمثل فى قلة الإنتاج وتكاليف العلاج.

وربما أدى علاج المرض إلى حدوث مشكلات أخرى تمثل فى استحداث أمراض ناجمة عن غش الأدوية ، أو سوء استعمالها.

ويؤدى انتشار الأمراض والأوبئة إلى زيادة التلوث البيئى بطريق مباشر بسبب تلوث الغذاء بالميكروبات وسمومها، أو بطريق غير مباشر بسبب تلوث الغذاء والماء والهواء بالمواد الكميائية التى تستخدم فى مقاومة الحشرات والحيوانات التى تنقل الأمراض.

(٦) التلوث البيئى :

يعتبر تلوث البيئة من أبرز قضايا العصر الحديث، ومن أهم المشكلات التى أولتها دول كثيرة اهتماماً بالغاً، كما عقد من أجلها العديد من المؤتمرات والندوات على الصعيدين الدولى والمحلى.

ولقد كثفت الأمم المتحدة كل الطاقات المتاحة لدراسة تلوث البيئة وطرق التغلب على مشكلاتها، وانبثق من هيئة الأمم المتحدة منظمة تختص بشئون البيئة ، وهى المنظمة التى أطلق عليها اسم برنامج الأمم المتحدة للبيئة.

وانطلاقا من خطورة هذه المشكلة أدرج علم تلوث البيئة ضمن برامج التعليم التى تدرس فى المدارس والكليات المعاهد كمادة مستقلة بذاتها وضمن برامج علم السموم.

وتجدر الإشارة إلى أن مشكلة تلوث البيئة قد تفاقمت فى السنوات الأخيرة نظراً لزيادة وجود الغازات السامة فى الهواء ومخلفات المصانع والحرائق وعوادم السيارات والمركبات الأخرى والبيوت الزجاجية الزراعية (الصوبات) . ولقد زادت نسبة تلوث الهواء والماء والغذاء بسبب استعمال المبيدات الحشرية فى الحقول والمنازل والشوارع وأماكن العمل.

ويشير التقرير الذى أعدته الأكاديمية الملكية للعلوم بانجلترا عام ١٩٧٣م إلى أن هناك تزايداً مستمراً فى عدد المواد الكيميائية الملوثة للبيئة، حيث يكتشف حوالى ربع مليون مركب جديد كل عام، يستعمل منها حوالى ٥٠٠ مركباً فى الأغراض الصناعية والزراعية والمعملية، هذا بالإضافة إلى وجود حوالى مليون من المواد شائعة الاستعمال.

ولا يقتصر خطورة التلوث البيئى على وجود هذا العدد الضخم من المواد الكيميائية، إنما يضاف إليها ملوثات من نوع آخر مثل الغبار الذرى والعناصر المشعة والميكروبات وسمومها، علاوة على السموم التى يقدم عليها الإنسان بمحض إرادته، وهى المخدرات والخمور ودخان التبغ.

ويسبب التلوث البيئى نشوء مشكلات تتعلق بصحة الإنسان وسلامته، حيث تزداد نسبة الإصابة بالأمراض التى يطلق عليها اسم أمراض التلوث البيئى. مثل أمراض الجهاز التنفسى وأمراض العين والأمراض الجلدية وأمراض القلب والشرايين وأمراض الأعصاب.

ومن أخطار التلوث البيئى أنه يعتبر من أهم العوامل التى تؤدى إلى حدوث تشوهات الأجنة وزيادة نسبة الأمراض الوراثية، وسوف نتحدث بشىء من التفصيل عن أخطار التلوث البيئى فى مبحث مستقل فى الفصل الثالث، فى المبحث الأول منه.

(٧) مشكلات أخرى:

بالإضافة إلى ما تقدم من مشكلات بيئية، وهى المشكلات التى تمثل الجزء الأكبر من تصدع الكيان البيئى، فإن هناك مشكلات أخرى مثل التخلص من نفايات المصانع ونفايات العناصر المشعة، وقطع الأشجار والنباتات الواقية لإنشاء الطرق والمبانى، وعدم التكافل الاجتماعى للبيئة بسبب الهجرة، بالإضافة إلى مشكلات الأمهات والعاملات ونقصان طبقة الأوزون، وما يترتب عليها من أمراض وأخطار وتغيرات جوية.

وهناك مشكلة المخدرات التى وإن كانت تتعلق بانحراف محدود من الأفراد فى كل دولة إلا أنها تصيب المجتمع بأسره، بسبب ما يترتب عليها من أمراض وقضايا اجتماعية واقتصادية.

وتحولاً من رصد بعض المشكلات البيئية وتصنيفها، وتحديدها من قبل، فإن ثمة حاجة إلى استكمال المعالجة بيان شمولاً نظرة الإسلام فى حماية البيئة مما تعرض له فى المبحث التالى.

المبحث الرابع

حماية البيئة فى الإسلام :

أ - تعريف الإنسان بالبيئة ليحافظ عليها :

ويتمثل هذا فى العناية بالبيئة ابتداء من إظهار خصائصها للإنسان لتكون محل اهتمامه ، وليتعرف على حاجته إليها وعلاقته بها، ضرورة حمايته لها ومن هذه الخصائص:

١ - خصيصة التسخير التى جعلت البيئة بما فيها من مخلوقات عظيمة، طيعة للإنسان ومتلائمة مع تحقيق مصالحه فى الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[الجاثية] .

٢ - خصيصة التوازن التى أقام الله الخلق عليها قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر]. فالماء الذى هو عنصر الحياة مثلا أنزله الله تعالى بقدر.

قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[المؤمنون] .

٣ - خصيصة الحكمة وراء خلق كل عناصر البيئة على تعددها وتنوعها، والتى قد تكون ظاهرة مشهودة أو باطنة خفية على كثير من الناس.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ .. ﴿٣٨﴾ ﴾[الأنعام] .

قال ابن عطية : المعنى فى هذه الآية التنبيه على آيات الله الموجودة فى أنواع مخلوقاته ، وقد أحال إلى الآيات المنصوبة لمن فكر واعتبر كالدواب والطير قد حصرت جميع الحيوان، وهى أمم أى جماعات مماثلة للناس فى الخلق والرزق والحياة والموت والحشر فليعتبر الإنسان.

ومن تلك الأمم التى قد يجهل كثير من الناس حكمة خلقها أمة الكلاب وعليها يقاس جميع الحيوانات والحشرات والنباتات ولا سيما التى يتأذى الناس منها.

يقول ﷺ مقرراً حكمة خلق الكلاب:« **لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم**»[١].

ويبين أبو سليمان الخطابى هذا المعنى فيقول: كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام جيل من الخلق حتى يأتى عليه كله، فلا يبقى منه باقية، لأنه ما من خلق لله تعالى إلا وفيه نوع من الحكمة وضرب من المصلحة[٢].

ومن تلك المخلوقات الكائنات الدقيقة التى تسهم مساهمة فعالة فى إنتاج الطعام والشراب والملبس، فإن منها ما يعمل على تثبيت النيتروجين فى النباتات البقولية، وفى تحليل بقايا الكائنات الميتة، وزيادة خصوبة الأرض، وتقوم الحشرات بعملية تلقيح النباتات.

٤ - خصيصة المتاع الذى يتناوله الإنسان من عناصر بيئته المختلفة فهى السلة الكبيرة التى فى حياته قال تعالى: ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾** ﴾[عبس].

---

(١) رواه أبو داود رقم ٢٨٤ فى باب اتخاذ الكلاب للصيد.

(٢) أبو سليمان الخطابى - معالم السنن - مكتبة السنة المحمدية - القاهرة - ٤/ ١٣٢.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾[طه].

وقال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[النحل].

٥ - خصيصة الجمال التى هى مظهر من مظاهر الإبداع والإحكام فى خلق الله تعالى، والتى ينعم الإنسان بمنظرها الخلاب، وتنشرح بها نفسه.

قال تعالى ملفتاً الانتباه إليها: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأنعام].

قال تعالى ممتنا بخصيصة المنفعة والجمال: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[النحل].

ولاريب أن هذه الخصائص وغيرها تستحث متأملها على المحافظة على فطرة البيئة، والاهتمام بما ينميها، ويضاعف منافعها، ويقيها الفساد أو الاتلاف، وقد ارتبطت بها حياته، وعرف قيمتها ومنافعها له.

ويتحقق ذلك أيضاً بالعناية بما يمكن استصلاحه منها والانتفاع به، مثل: الزراعة والثروة الحيوانية التى حث الرسول ﷺ عليها، لنهتدى بدين الإسلام

إلى أن يكون المسلم محافظاً على عناصر البيئة عموماً إلى آخر لحظة من الحياة التى تعقبها الساعة، وذلك فى قولهﷺ: « **إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل**»[1] .

ورهب الرسول ﷺ من إتلاف الحيوانات عبثاً حتى ولو كان عصفوراً صغيراً فى قوله ﷺ « **من قتل عصفوراً عبثا عج إلى الله عز وجل يوم القيامة منه ، يقول : يارب إن فلانا قتلنى عبثاً، ولم يقتلنى لمنفعة**»[2] .

ب- احترام البيئة :

من روائع ما دعا إليه القرآن وأكدته السنة تدريب المسلم إذا أحرم بالنسك على احترام حيوانات البيئة ونباتاتها، فلا يحل له قتل صيد البر والحرم، ولا قطع نبات الحرم، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ .. (٩٥) ﴾[المائدة] .

وقال ﷺ يوم فتح مكة: « **إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو بحرمة الله إلى يوم القيامة .. لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يتخلى خلاها**». فقال العباس: يا رسول الله « إلا الاذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال: « **إلا الأذخر**»[3]، فقد استثنى فى هذا الحديث الأذخر لحاجة الناس إليه.

واستثنى فى حديث آخر بعض الحيوانات لفسقها، وخروجها على مصالح الناس بالضرر، لحديث عائشة رضى الله عنها: « **أمر رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق فى الحل والحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور**»[4] .

---

(١) رواه أحمد - ٣/ ١٩١ .

(٢) رواه أحمد - ٤/ ٣٨٩ ، والنسائى - ٧/ ٢٣٩ فى الصيد والذبائح .

(٣) رواه مسلم رقم ١٣٥٣ .

(٤) رواه مسلم رقم ١١٩٨ فى باب الحج .

وذلك لينتشر الأمان فى البلد الحرام الذى شمل الإنسان والطير والحيوان والحشرات، فما أحوج البشرية إلى مثل هذه البيئة التى تعيش فيها الكائنات الحية بما فيها الإنسان آمنة على نفسها ومواردها وأرزاقها ويمكن الإشارة إلى أن احترام البيئة يقتضى ما يلى:

١ - حماية البيئة التى سخرها الله تعالى، وجعل تنوعها آية على قدرته وحكمته وعمله وأثر صفاته، وقدر تعالى أن تكون عوناً للإنسان فى حياته، فهى مصدر غذائه وشرابه وكسائه الذى يتبلغ به.

ولا ريب أن هذا يدعو إلى حماية البيئة، والمحافظة على أمنها، ووضع كل شىء فى موضعه الذى أعد له، واستثماره إلى الحد الأقصى الذى يمكن بلوغه الكم وتحسين النوع، وتنقاد معه غلته من غير إسراف أو فساد، فالله قد جعل لكل شىء قدرا تنقاد مع البيئة، لابد من التعرف عليه، ومراعاته أثناء التعامل معه.

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[الزخرف].

٢ - صيانة البيئة وتحسينها، فإن ذلك ضرب من احترامها وتقديرها، وشكر المنعم بها، ويقابل ذلك أن إهمالها ضرب من التفريط فى المحافظة عليها، والجهل بقيمتها وبأثرها فى حياة الإنسان وقوة المجتمع.

فقد أرشد الله تعالى آل داود عليهم الصلاة والسلام الذى سخر لهم الجن والرياح وعناصر البيئة إلى تعهد ذلك بالعمل الذى يصون به التسخير، ويكفل استمرار منفعته، وعده من قبيل تقدير النعمة واحترام البيئة[1].

---

(١) البهى الخولى - الثروة فى ظل الإسلام - طبعة دار القلم - ب.ت - ص ٣٢ - ٣٥.

إذ قال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[سبأ].

ثم ختم الإشارة إلى هذا التسخير بقوله: ﴿ .. اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[سبأ].

جـ- حماية العناصر الطبيعية الأساسية والمحافظة عليها:

قضت حكمة الله تعالى أن يوظف بعض المخلوقات لخدمة بعضها الآخر، بحيث تلحظ فى الكون كله العناية الإلهية بالأشياء، والحكمة السارية فى عناصر الكون كدليل على الصانع الحكيم.. كما قضت حكمته تعالى أن تكون جميع المخلوقات مسخرة لخدمة الإنسان بالإضافة إلى تسخير بعضها لخدمة بعض.

وأوضح القرآن الكريم أن كل كائن مما نعلمه فى هذا العالم له وظيفتان:

وظيفة اجتماعية لخدمة الإنسان ووظيفة دينية هى آية على وجود صانعه وحكمته وعلمه وإتقانه.

وهذا بيان بالعناصر الطبيعية الأساسية :

(١) المـاء :

جعل الله الماء أصل الحياة ومنشأها إذ يقول الله تعالى: ﴿ .. وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .. ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء].

فالنبات والحيوان والإنسان يرتبط وجودهما بوجود الماء، واستمرار حياتهم متوقف على وجود الماء.

قال تعالى: ﴿ ..وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.. ﴾[البقرة].

وبالإضافة إلى هذه الوظيفة الحيوية هناك وظيفة اجتماعية دينية هى تطهير البدن والملبس مما يعلق به من أوساخ ونجاسات ليصبح الإنسان مؤهلاً للقاء الله تعالى.

قال تعالى:

﴿ ..وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ .. ﴿١١﴾ ﴾[الأنفال:١١].

ويقول: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الفرقان].

كما أرشدنا الله إلى وظائف أخرى للماء فى البحار والمحيطات، حيث جعله سكنا صالحاً مهيئاً لحياة كائنات أخرى تؤدى دورها فى عمارة هذا العالم، واستمرار الحياة فيه.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ .. ﴿١٤﴾ ﴾[النحل].

ويقول: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ .. ﴿٩٦﴾ ﴾[المائدة].

ولا شك أن المحافظة على هذا العنصر هى أساس المحافظة على الحياة بأشكالها المختلفة سواء كانت حياة نباتية أو حيوانية أو إنسانية، والقاعدة الفقهية تقول:

(ما لم يتم الواجب به فهو واجب) ومحاولة تعطيل العنصر من أداء وظيفته الحيوية والاجتماعية فهو تعطيل للحياة بأسرها أو إبطال لها بالكلية سواء كان ذلك بإهداره، أو تلويثه بمواد تعطيل وظيفته فى كونه أساس الحياة ، أو كونه بيئة صالحة لبعض الكائنات الحية أو غير ذلك.

ولأهمية هذا العنصر فى استمرار الحياة كلها جعله الله حقاً شائعاً بين بنى البشر، فحق الانتفاع به مكفول للجميع بلا احتكار أو غصب أو إفساد أوتعطيل.

قال تعالى﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ... ﴿٢٨﴾ ﴾[القمر] ، وقال رسول الله ﷺ : « الناس شركاء فى ثلاث فى الماء والكلأ والنار »[1] .

(٢) الهواء :

إن لعنصر الهواء أهمية لا تقل عن أهمية العنصر السابق فى استمرار الحياة والمحافظة عليها. وقد تكون للهواء وظائف أخرى غير مرئية للإنسان ولا تثير اهتمامه إلا أنها مقصودة لله عز وجل كما نبهنا القرآن إليها، فالرياح يرسلها الله عذاباً لبعض الأقوام وانتقاماً منها، والرياح يسوقها الله رحمة وبشرى لأمم أخرى كما علق بها القرآن وظيفة التلقيح إذ يقول تعالـى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ .. ﴿٢٢﴾ ﴾[الحجر] .

والرياح بعد ذلك آية دالة على قدرة الله وإتقان صنعه وكماله.

كما قال تعالى: ﴿ .. وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة] .

وإذا كان للهواء وظائفه الحيوية والاجتماعية فإن المحافظة عليه نقياً خالصاً تعتبر جزءاً من المحافظة على الحياة نفسها التى هى مقصد أساسى من مقاصد الشريعة.. ومحاولة تلويثه أو إبطال وظيفته أو تعطيلها إبطال لحكمة الله فى خلقه، أو تعطيل لها كذلك فإن ذلك يعتبر تعطيلاً لبعض وظائف الإنسان وتعويقاً له عن أداء دوره فى هذا العالم.

(٣) النبات والحيوان :

لا شك فى أهمية النبات والحيوان وفوائدهما العظيمة بالنسبة للإنسان، والقرآن الكريم يرشدنا إلى أن هذه المخلوقات لها وظائف جمالية وتزيينه أيضاً بالإضافة إلى وظائفها الأخرى.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

وبما أن راحة النفس مطلب دينى ينبغى توفير أسبابه والمحافظة عليه فقد جعل الله فى المخلوقات ما يثير البهجة والسرور فى النفس حرصاً على راحة الإنسان النفسية لما فى ذلك من دافع له على العمل لأداء وظيفته كما ينبهنا القرآن الكريم إلى وظائف أخرى لهذه المخلوقات قد لا نعلمها ولا نحسها، ولكن القرآن ينبهنا إليها وهى وظيفة العبودية القهرية لله وتسبيحه والسجود له.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ .. ﴿١٨﴾ ﴾[الحج].

﴿ .. وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ... ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء].

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا .. ﴿١٥﴾ ﴾[الرعد].

والإسلام يحرص على بقاء هذه الكائنات حية تتحرك نحو أداء وظائفها المنوطة بها أنه يعتبرها أمما مماثلة لعالم الإنسان حيث يقول تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم .. ﴿٣٨﴾ ﴾[الأنعام].

ومن هنا علمنا الرسول ﷺ من خلال وصاياه وتعاليمه كيف نهتم ونحافظ عليها؛ فلقد قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بإحراق قرية من النمل بأكملها فأوحى الله إليه: **«إن قرصتك نملة قد أهلكت أمة تسبح»**.

وأخبر عليه الصلاة والسلام: « أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض»، «كما شكر الله لعبد سقى كلباً فأنقذه من شدة العطش».

ولعن ﷺ: **«جماعة اتخذوا طائرا هدفاً لهم يصوبون إليه ضرباتهم»**، والإسلام ينظر إلى هذه المخلوقات من ناحيتين:

- من ناحية أنها كائنات حية موجودة لذاتها لتحقيق وظيفتها فى الدلالة على قدرة الله وحكمته.

- ومن ناحية أنها مسخرة لخدمة الإنسان، وتؤدى دورها فى عمارة هذا العالم، ومن هنا أوجب الإسلام المحافظة عليها وتنميتها: لذاتها من ناحية، ولمنع الإنسان من إيذائها من ناحية أخرى.

د - حماية الإنسان من المؤثرات الخارجية والمنتجات الكيماوية والفضلات:

إذا كان الإسلام يحرص على حماية العناصر الأساسية فى البيئة والمحافظة عليها لخير الإنسان، وتأمين ضروراته وحاجاته سواء بالنسبة للجيل الحاضر، أو الأجيال اللاحقة فإنه يتجه أيضاً إلى حماية الإنسان نفسه والبيئة نفسها من التأثيرات الضارة للعوامل الخارجية والمنتجات الكيماوية والفضلات.

ذلك أن الضرر ممنوع فى الإسلام فى جميع صوره وأشكاله كما جاء فى الحديث (لاضرر ولا ضرار) كما أن منع الضرر والفساد قبل حدوثه أولى من معالجته بعد حدوثه والقاعدة الفقهية تقول :(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

وبالتالى فإن جميع الأعمال التى تهدف إلى تحقيق المصالح والمنافع من تأمين الحاجات والخدمات وتنمية الزراعة والصناعة ووسائل المواصلات، يجب أن تكون فى منأى عن المفاسد والمضار، ولذلك يجب أن يحتاط فى تصورها وتخطيطها وتنفيذها بحيث لا يصاحبها ولا ينتج عنها أى ضرر، أو مفسدة قدر الإمكان.

(١) الضوضاء :

فإذا كانت أكثر الاستخدامات الصناعية والإعلامية والمواصلات تصحب غالباً بالضوضاء، فلابد من البحث والعمل لتجنب هذه الضوضاء أو تقليلها ذلك أن الضوضاء الصاخبة لها تأثيرها الضار على الإنسان وعناصر البيئة الحية من حوله، فلابد من دفع هذا الضرر قدر الإمكان وبجميع الوسائل طبقاً لما جاء فى القواعد التشريعية الإسلامية.

(٢) الفضلات والعوادم والمواد التنظيفية والمواد الضارة :

والفضلات والعوادم التى تنشأ من الاستعمال الإنسانى العادى، أو عن الاستعمالات الصناعية والحضارية المتطورة لابد من إزالتها لحماية البيئة من الفساد والتشوه وحماية الإنسان من آثارها المؤذية. والضارة جمالياً وحيوياً ، وحماية عناصر البيئة الأخرى.

ولكن إزالة هذه الفضلات والعوادم لابد أن تكون بطريقة تنفى إحداث ضرر مماثل لضررها الذاتى أو أكبر منه، والقاعدة الفقهية تقول (الضرر لا يزال بمثله أو بضرر أكبر منه).

وكذلك الأمر فى الآثار الضارة للمواد التنظيفية وغيرها من المواد المستعملة فى البيوت والمصانع والمزارع والمحلات الخاصة والعامة.

فلابد من العمل على تجنيب هذه الآثار ودفعها قبل حدوثها وإزالتها بعد حدوثها مما يحمى الإنسان وبيئته الاجتماعية والطبيعية من أضرارها، وإلا وجب منع استعمالها إذا ثبت أن مفاسها أكبر من منافعها، ولابد عند ذلك من البحث والعمل لإيجاد بدائل أخرى فعالة وغير ضارة، أو أقل منها ضرراً.

(٣) المواد المشعة :

وينطبق ما قلناه سابقاً على المواد المشعة من حيث ضرورة توقى ما قد ينتج عن استعمالها من آثار ضارة بالإنسان وبيئته، ووجوب التخلص من نفاياتها بطريقة صحية.

(٤) المبيدات الحشرية والنباتية :

وينطبق ما قلناه آنفاً على المبيدات الحشرية والنباتية فإن استعمالها يجب أن يكون مقيداً بعدم إحداث ضرر بالإنسان أو بيئته عاجلاً أو أجلاً.

ولذلك يجب منع كل ما يؤدى إلى ضرر الناس وإيذائهم حتى ولو أدى ذلك إلى حدوث ضرر خاص ببعض الأشخاص، أو بمصالحهم لأن الضرر

الخاص يتحمل لمنع الضرر العام والضرر لابد من دفعه بأية وسيلة كانت بشرط أن تكون مشروعة، وأن لا تؤدى إلى إحداث ضرر مماثل للضرر المدفوع أو أكبر منه، والقاعدة الفقهية تقول : يختار أهون الشرين. فإذا كانت هناك ضرورة حيوية لاستعمال هذه المبيدات فإن الضرورات تبيح المحظورات، ولكن الضرورات تقدر بقدرها.

(٥) الكوارث الطبيعية :

كما ينبغى التنبيه والاحتياط للتقليل من تأثيرات الكوارث الطبيعية على الإنسان والبيئة الطبيعية كالفيضانات والسيول والزلازل والبراكين والعواصف والحرائق الكبرى والأوبئة العامة وما إلى ذلك، لأن حماية الإنسان وصيانة نفسه وماله ومصالحه واجب و(ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

(٦) المسكرات والمخدرات الأخرى :

من الواضح أن للمسكرات والمخدرات تأثيرا ضاراً على صحة الإنسان وعقله وماله وعرضه ودينه ، فقد ثبت اليوم بما لا مجال معه للشك أن الأضرار الصحية والاجتماعية والنفسية للمسكرات والمخدرات أضرار خطيرة وجسيمة.

ولذلك كان تحريم الإنسان للمسكرات والمخدرات بجميع صورها وأشكالها وبكل ما يتعلق بها ويساعد على إنتاجها وترويجها نموذجاً إسلامياً، ولذلك اهتم التشريع الإسلامى منذ أربعة عشر قرناً بحماية الإنسان والمحافظة على بيئته الاجتماعية والطبيعية من كل عوامل الفساد والأضرار والتلوث بجميع أنواعه. . وهذه الجزئية سيأتى تفصيلها فى الفصل الثالث وكذا فى الفصل الرابع بحوله تعالى.

هـ- القواعد التشريعية الإسلامية التى يمكن أن تبنى عليها جميع الإجراءات والتدابير اللازمة لحماية البيئة والمحافظة عليها :

١ - حماية البيئة ومواردها والمحافظة عليها وتنميتها واجب دينى شخصى يلتزم به كل فرد مسلم بموجب مسئوليته الفردية عن رعاية نفسه ومجتمعه تجاه ربه، كما أنها واجب اجتماعى عام يقوم به ولاة الأمور والمؤسسات الإدارية والبلدية بمقتضى المسئولية المناطة بهم.

٢ - التوعية الدينية الإسلامية فى هذا المجال أمر ضرورى، ليكون كل فرد عامل حماية وتنمية للموارد الطبيعية والبيئية.

والله تعالى يقول: ﴿ **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا** . . ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف]

ويقول: ﴿ . . **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴿٢٠٥﴾ ﴾[البقرة] باعتبار أن قصد الضرر والإفساد للبيئة الطبيعية ومواردها نوع من الفساد المنهى عنه فى الإسلام بل نوع من السفه المذموم الذى يجب على المسلم اجتنابه ، ويجب على ولى الأمر منعه وبخاصة إذا ترتب عليه ضرر عام. . والأثر يقول: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

٣ - التوعية الدينية الإسلامية تشمل دعوة الأفراد بكل الوسائل وعلى جميع المستويات إلى الالتزام بالآداب الإسلامية فى التعامل مع الطبيعة والبيئة ومواردها استهلاكاً واستثماراً وانتفاعاً وتنمية، ويكون ذلك بتذكيرهم بواجبتهم الدينية التالية:

- عدم التبذير والإسراف فى الاستهلاك.

- عدم تعطيل الموارد، وإتلافها بدون وجه مشروع.

- عدم الإضرار بالبيئة الطبيعية، وعدم إفسادها وتلويثها وتشويهها بأى وجه من الوجوه.

- تعمير الأرض وتنمية عناصرها ومظاهرها عن طريق الإسهام فى تحسين الموارد الطبيعية والكائنات الحية بجميع أنواعها وحمايتها والمحافظة عليها، وزراعة الأرض وإصلاح التربة، وتنظيفها.

٤ - إن ملكية هذه العناصر البيئية حق مشترك بين أفراد الجماعة المسلمة، فمن حق كل فرد أن ينتفع منها بقدر حاجته دون أن يعطل أو يبطل حق انتفاع الآخرين، وتقدر الحاجة هنا بقدرها كما وكيفاً.

٥ - إن تدخل ولاة الأمور لتحقيق المصالح-العامة ودرء المفاسد العامة أمر مقرر فى الشريعة الإسلامية، بل هو واجبهم الأصلى.

وحدود هذا التدخل مضبوطة بالمقاصد العامة للتشريع الإسلامى وبالمصالح الحقيقية المشروعة المنوطة بهم إذ القاعدة الفقهية تقول :(تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة).

ولا شك أن تصرف الإمام على الرعية يفقد مشروعيته إذا كان تصرفاً قائماً على الهوى أو التحكم المحض البعيد عن تحقيق المصالح.

وتدخل الدولة المشروع هو تدخلها لترجيح المصالح العامة الحيوية والواقعية وحمايتها ضمن إطار التفاعل بين المصالح المتعارضة.

٦ - إن المصالح متدرجة فى الأهمية، فهناك مصالح ضرورية، ومصالح حاجية ومصالح تحسينية. وترجيح المصالح الضرورية على المصالح الحاجية أو التحسينية عند تعارضها أولى وأجدر، وكذلك ترجيح المصالح الحاجية على المصالح التحسينية.

٧ - إن المصالح مختلفة فى درجة التحقيق والثبوت فهناك مصالح حقيقية واقعية، وهناك مصالح متوقعة ومحتملة ولاشك أن المصالح الحقيقية أو الواقعية تقدم فى رعايتها على المصالح المتوقعة أو المحتملة.

٨ - إن بعض التصرفات قد تحقق بعض المصالح، ولكنها تجلب مفاسد أشد، أو مفاسد مماثلة والقاعدة فى ذلك تقول :(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) لأن أول درجات جلب المصالح هو درء المفاسد.

٩ - إن واجب ولى الأمر ومعاونيه من السلطات الإدارية أو البلدية أو القضائية أن يسهروا على تحقيق مصالح الأفراد والمجتمع ككل، ومن جملتها حماية البيئة ومواردها والمحافظة عليها وتنميتها، وهذا يشمل المرحلتين:

- مرحلة الوقاية من الضرر.

- ومرحلة علاج الضرر.

١٠- للدولة الحق فى اتخاذ جميع التدابير والإجراءات المتعلقة بمنع الضرر أو تقليله قبل حدوثه بناء على قاعدة منع الضرر، التى تقول: (لا ضرر ولاضرار) أو قاعدة سد الذرائع المؤدية إلى الفساد، فللدولة مثلا الحق فى منع الناس من التصرف المؤدى إلى الضرر أو الفساد سواء كان هذا التصرف تصرفاً آنياً أم تصرفاً إنشائياً مستمراً.

فلا يجوز لأحد أن يفسد على الجماعة حق الانتفاع بعنصر من عناصر البيئة الأساسية كمن يفسد الهواء بالدخان المتصاعد من المصانع. أو من يفسد الماء بهدم البئر العام، أو إلقاء مواد سامة فيه لجعله غير صالح للاستعمال.

وللدولة الحق فى تحديد نطاق التصرف ومكانه وزمانه ونوعيته بما يؤدى إلى منع الضرر، أو تقليله أو حصره فى مكان معين، أو زمن مخصوص.

وللدولة الحق فى فرض تدابير معينة أو ملحقات فنية معينة لمنع حدوث الضرر أو التقليل منه أو حصره فى أضيق نطاق وبأقل تأثير، ويتولى تحديد ذلك أصحاب الخبرة والاختصاص فى كل ميدان.

١١- للدولة الحق فى اتخاذ جميع التدابير والإجراءات المتعلقة بإزالة الضرر الحادث، ومعالجة آثاره والتعويض عنه بناء على قاعدة أن (الضرر لا يزال بمثله) وقاعدة (إذا تعذر الأصل يصار إلى البدل) وقاعدة (الاضطرار لا يبطل حق الغير).

فللدولة مثلاً الحق فى إلزام الأفراد والمنشآت والشركات بإزالة الأضرار الناشئة من استعمالاتهم ومشروعاتهم التى تحتاج إليها الجماعة، والتى يترتب على وجودها ضرر حقيقى بالبيئة يفوق النفع المتوقع منها؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

وإذا كانت الجماعة تحتاج إلى العمل الذى يترتب عليه ضرر ، وكانت المصلحة مصلحة حاجية فإنها تنزل منزلة الضرورة فى إباحة المحظور على أن يدفع الضرر بقدر الإمكان، وأن تقدر الضرورة بقدرها فإذا زالت الحاجة إلى هذا العمل الضار فيجب على ولى الأمر أن يوقفه لأن (ما جاز لعذر بطل بزواله).

وللدولة الحق فى إلزام الأفراد والمؤسسات والشركات بتكاليف إزالة الأضرار الناجمة عن الاستعمالات غير المشروعة التى خولفت فيها شروط الترخيص والإذن والتعاقد، لأن القاعدة الفقهية تقول: (المباشر ضامن) ، وإن لم يتعمد ومع ذلك فإن الأضرار الناشئة عن ممارستهم حقوقهم المشروعة أو المرخص لهم بشكل شرعى، وفى الحدود المعتادة لا يلزمون بضمانها طبقاً للقاعدة الفقهية: (الجواز الشرعى ينافى الضمان).

وللدولة الحق فى إلزام الأفراد والمؤسسات بدفع تعويضات مناسبة عن الأضرار التى يحدثونها فى البيئة الطبيعية دون وجه مشروع ، والتى لا يمكن إزالتها أو معالجتها.

وللدولة الحق فى تعزيز الأفراد وأصحاب المؤسسات والقائمين عليها إذا خالفوا شروط الإذن والتعاقد بتقصير، متعمد أو إهمال واضح، أو خالفوا التعليمات العامة التى تضعها الدولة للمحافظة على البيئة الطبيعية، وعناصرها ومواردها.

و - الجزاء على حماية البيئة والإضرار بها فى الإسلام :

لابد من مجازاة الإنسان على تعامله مع البيئة ، وما فيها من مقومات الحياة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ليعمل على المحافظة عليها ويتجنب الطمع

فيها بما يؤدى إلى إفسادها أو الإسراف فى مواردها؛ رجاء فى الثواب ، وخشية من العقوبة.

قال تعالى على لسان صالح عليه الصلاة والسلام، وهو يخاطب قومه مقرراً عدم الأمن من العقوبة على هذا النعيم الذى يحيط بهم من زروع وعيون وجبال ومساكن ، وعدم استقرارهم فيه، وأنه يجب عليهم الاكتفاء منه بقدر الكفاف الذى يسد حاجتهم فى هذه الدنيا واجتناب إفساده ﴿ **أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾** ﴾[الشعراء : ١٤٦-١٥٢] .

ويتقرر من هذه المجازاة أن المكلف مسئول عن هذه النعم المتوافرة فى بيئته، ومحاسب عليها ليس له منها إلا ما يحتاج إليه دون إسراف، وما زاد فيلدعه لغيره ينتفع به.

قالﷺ لصاحب حائط من الأنصار «**اطعمنا يسراً**» فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب، فقال:«**لتسألن عن هذا يوم القيامة**» قال : فأخذ عمر العذق، فضرب به الأرض، حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال رسول الله «**إإننا لمسئولون عن هذا يوم القيامة**».

قال: «**نعم إلا من ثلاث: خرقة كف به الرجل عورته، أو كسرة سد بها جوعته، أو حجر يتدخل فيه من الحر أو القر**»[1] .

أنواع الجزاء :

شرع الإسلام الجزاء الذى يحمى البيئة من الفساد، ويصونها من التدمير والعبث، وتمثل فى الجزاء الأخروى والدنيوى:

(١) رواه أحمد فى مسنده – ٨١.

الجزاء الأخروى: وهو ما أعده الله تعالى لعباده من الثواب للمطيعين، ومن العقاب للعاصين. وقد تعلق هذا الجزاء على العناية بعناصر البيئة ترغيباً وترهيباً، وثواباً وعقاباً بما يكشف مدى اهتمام الإسلام الذى فاق العقوبة الدنيوية التى قد يفلت منها كثير من الناس، ولكن جزاء الله تعالى فى الآخرة لا ينجو منه أحد، ويدل على تأكيد هذا الاهتمام بعناصر البيئة ومقوماتها ومصادرها ما يلى:

(أ) الترغيب فى غرس الأشجار، وأنه صدقة جارية، ما أكل منها إنسان أو طير أو بهيمة، والوعد بالثواب الجزيل لمن عنى بها قال ﷺ : « **ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة**»(1).

(ب) الترغيب فى الرحمة بالحيوانات، والشفقة عليها واحتساب الأجر فى حمايتها من الهلاك، ففى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة (هى ضرب من الطير) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تفرش، فلما جاء رسول الله قال: ﷺ :« **من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها**»(2).

فهل هناك رفق أعظم من مراعاة أحاسيس هذه الحمرة؟

وفى حديث آخر ما يؤكد هذه الشفقة أن رسول الله ﷺ قال:«**بينّا رجل يمشى فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فملأ فخفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له**» قالوا: يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً؟ قال: «**نعم فى كل كبد رطبة أجر**».

---

(1) رواه مسلم - رقم ١٥٥٢ فى باب المساقاة.
(2) رواه البخارى ٣/ ٧٧ فى باب المساقاة.

(جـ) الترهيب من تعذيب الحيوانات وتجويعها وإرهاقها بما لا تطيق، أو التسبب فى فنائها، ففى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: « **دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[1].

وفى حديث آخر أن رسول الله ﷺ دخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل فلما رأى النبى ﷺ حن، وذرفت عيناه، فأتاه النبى ﷺ فمسح ذفراه (هما الموضع الذى يعرف من قفاه) فسكت **فقال** : «**من رب هذا الجمل؟**» فجاء فتى من الأنصار، فقال: لى يا رسول الله. فقال له : «**أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه (أى تتعبه)**»[2].

وفى حديث آخر أن رسول الله ﷺ رأى قرية نمل قد أحرقت: فقال: «**من أحرق هذه؟**» قلنا: نحن، قال: « **إنه لا ينبغى أن يعذب بعذاب النار إلا رب النار**»[3].

د - الترهيب من قطع الأشجار البرية النافعة عبثاً أسوة بالأحياء الأخرى من الحيوانات، والوعد بالنار على ذلك تأكيداً على حماية النباتات والأشجار والمسطحات الخضراء من التعدى عليها من غير مصلحة أو دفع مفسدة، قال ﷺ : « **من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار**»[4]، قال أبو داود راوى الحديث مبيناً معناه لما سئل عنه: «هذا الحديث مختصر ، يعنى من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه فى النار»[5]، والسدر المقصود هو ما نبت فى البر قاله الأصمعى.

---

(١) رواه البخارى ٤/ ١٠٠.
(٢) رواه أبو داود رقم ٢٥٤٩.
(٣) رواه أبو داود ٢٦٧٥.
(٤) رواه أبو داود ٥٢٣٩.
(٥) سنن النسائى : ٤/ ٣٦١.

الجزاء الدنيوى : هو ما يناله المكلف المطيع فى الدنيا من ثواب والعاصى من عقاب، يتوجه إلى رعاية المصالح المحسوسة التى تتعلق بها حاجة الناس، وما تتطلبه الحياة من إعمار ودفع المفاسد والمضار.

الثواب الدنيوى : هو نفع يتم فى مقابل الإحياء، ومنه تمليك الأرض قال ﷺ :« **من أحيا أرضا ميتة فهى له**»(1). وحقيقة الإحياء إعمار لأرض ميتة لا يملكها أحد بالسقى أو الزرع أو الغرس أو البناء سواء كانت قريبة من العمران أم بعيدة، ويؤيد هذا المعنى قول الرسول ﷺ :« **من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها**»(2).

العقوبة الدنيوية : هى أذى فى الظاهر لدفع المفاسد وفى الإسلام يبقى الجزاء الأخروى مع العقوبة الدنيوية المحسة رادعاً قوى التأثير فى حماية الأحكام والحدود وحمل الناس على تنفيذها والتقيد بها، لأنهم يتساوون فى الإيمان بالعقوبة المحسة ويتفاوت إيمانهم بالجزاء الغيبى، وإن كان أكثر زجراً للمؤمنين.

ومن تلك الأحكام التى تناولها العقوبة الدنيوية؛ نظراً لأهمية المعاقب عليه، وهو أمن البيئة والمحافظة على مقوماتها وعناصرها فقد شرع الإسلام عقوبة صارمة هى عقوبة الإفساد فى الأرض.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾** ﴾[المائدة].

قال الشوكانى: (اختلف فى هذا الفساد المذكور فى هذه الآية ماذا هو؟ فقيل الشرك، وقيل قطع الطريق. وظاهر النظم القرآنى أنه ما يصدق عليه أنه فساد

---

(1) رواه مالك فى الموطأ ٧٤٣.

(2) رواه البخارى ٣/ ٧٠.

فى الأرض فالشرك فساد فى الأرض، والبغى على عباد الله بغير حق فساد فى الأرض وهدم البنيان وقطع الأشجار وتغوير الأنهار فساد فى الأرض فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنها فساد فى الأرض»[1].

وقد فصلت الآية العقوبة، وقصرها كثير من الفقهاء على الاعتداء على الأنفس والأموال مع الإخافة إلا أن الآية تبقى على عمومها فيما يهدد مصالح المسلمين، كما صرح به الشوكانى.

ولاريب أن إهلاك الحرث والنسل والإسراف فى الصيد والرعى إلى حد الجور وتغوير الأنهار، وتلويث مجارى المياه والبحار لهو من أعظم الفساد، وصدق الله العظيم؛ إذ وصف ذلك بالفساد فقال: ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴿٢٠٥﴾ ﴾[البقرة].

ومن العقوبات التعزير الذى يمكن أن يوقعه ولى الأمر تأديباً حماية لمصالح المسلمين المتعلقة بموارد البيئة ومقوماتها بما يكف العابثين والمسرفين والمفسدين على وجه الاستصلاح والزجر.

ومن العقوبات تذوق الفساد حسب قدره فى البيئة، والاكتواء بناره، والتألم بما يصيب منه لارتباط أحوال الحياة وأوضاعها بأعمال الناس وكسبهم عند غياب المنهج القويم والعمل الصالح[2]. والاستسلام للأهواء التى تؤدى إلى فقدان الانسجام مع البيئة والمحافظة على مواردها تقديما للمصالح وترجيحاً للشهوات، قال تعالى:

﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿٤١﴾ ﴾[الروم].

---

(١) سيد قطب - فى ظلال القرآن - القاهرة - دار الشروق - ب . ت - ٥/ ٢٧٧٣.
(٢) سيد قطب - المرجع السابق - ٥/ ٢٧٧٣.

كل ذلك يحدث وفق سنن الله التى لا تعرف تبديلاً ولا محاباة، لعلها توقظ النفوس من غفلتها، فتراجع إلى الهداية التى تحث على إصلاح ما فسد وإعمار ما هلك.

وبعد أن تناولنا فى هذا الفصل أربع قضايا مهمة تتصل بعموميات إسلامية عن البيئة والكون والطبيعة، ثم تحديد كيفية حفاظ الإنسان على البيئة، وكيفية حمايته لها؛ فإننا نستطرد فى تناول قضايا أخرى فى الفصل الثالث وهى قضايا بيئية معاصرة نعرض لها تشخصياً وعلاجاً فى ضوء الإسلام.



قضايا بيئية معاصرة فى ضوء الإسلام بين التشخيص والعلاج

المبحث الأول : قضية التلوث.

المبحث الثانى : قضية تغير المناخ.

المبحث الثالث : قضية استنزاف الموارد الطبيعية.

المبحث الرابع : مشكلة التصحر.

المبحث الخامس : مشكلة انقراض العديد من الأنواع الحيوانية والنباتية.

المبحث السادس : قضية طبقة الأوزون بين إفساد البشر وتوازن الكون.

المبحث السابع : قضية سوء استخدام التقنية الحديثة.

المبحث الثامن : قضية نقصان الموارد الحالية من منظور إسلامى.

المبحث التاسع : قضية صحة المجتمع فى المنظور الإسلامى.

المبحث العاشر : نظافة البيئة فى الإسلام.

المبحث الأول
قضية التلوث

أ - تعريف التلوث :

جاء فى (الصحاح) : اللوثة بالضم - أى الاسترخاء والبطء، واللوثة أيضاً مس جنون وأيضاً التهيج، ويقال: ناقة ذات لوثة أى كثيرة اللحم والشحم ولوث ثيابه بالطين، أى لطخها ولوث الماء أى كدره.

وفى (لسان العرب) لوث وتلوث النبات بعضه على بعض وكل ما خلطته ومرسته فقد لثته ولوثته، كما تلوث الطين بالتبن.

وجاء فى (محيط المحيط) : تلوث ثوبه بالطين تلوثاً: تلطخ به، والتلوث الأمر التياثا: اختلط والتبس.

وقول الفقهاء : باطن الخف لا يخلو عن لوث أى دنس ونجاسة. أما (الصحاح فى اللغة والعلوم) فقد قصر معنى التلوث على التلوث، الإشعاعى، فيقال تلوثت المادة إذا تسربت إليها مـــادة مشعة، ولم يـــكن ذلك مقصـــوداً أو مرغوباً فيه.

وكلمة تلوث ترجم لكلمة (Contamination)[1] ويطلق التلوث أيضاً على انتشار المواد المشعة فى الأماكن التى يخشى فيها من الإضرار بالإنسان أو بالمواد المخزونة أو يترتب على انتشارها الإخلال بالتجارب، أو بالأجهزة، أو ما أشبه.

وكلمة (Decontamination) معناها إزالة التلوث بتخليص مادة من المواد المشعة العالقة بها. أما المعنى الاصطلاحى للتلوث فهو أوسع من المعنى السابق الذى قصره على نوع واحد فقط من التلوث وهو التلوث الإشعاعى.

---

(١) هذه الترجمة مقصورة على المواد المشعة . أما كلمة التلوث عموماً فهى ترجمة للكلمة الإنجليزية Pollution.

فالهواء والماء والتربة والكائنات الحية يمكن أن يصيبها التلوث دون أن يكون ذلك بالضرورة بسبب وجود مواد مشعة، ويحدث ذلك عندما تفقد خاصيتها فى تحقيق عملها التسخيرى للإنسان. كما سنرى بعد قليل، ولم تحدد أقدم الاتفاقيات الدولية التى تناولت مشكلة التلوث، المقصود بالتلوث، فكانت تتحدث عن التلوث دون تعريفه.

وعلى سبيل المثال فإن المادة الرابعة والعشرين من اتفاقية أعالى البحار. (چنيف ١٩٥٨م) أوضحت أن على الدول أن تضع الأنظمة التى تمنع تلوث مياه البحار بسبب تدفق الزيت من السفن أو الأنابيب[١].

وفى عام ١٩١٦م وضعت منظمة الصحة العالمية التعريف التالى لتلوث المياه العذبة:

يعتبر المجرى المائى ملوثاً عندما يتغير تركيب عناصره، أو تتغير حالته بطريق مباشر أو غير مباشر بسبب نشاط الإنسان، بحيث تصبح هذه المياه أقل صلاحية للاستعمالات الطبيعية المخصصة لها، أو لبعضها[٢].

ونحن نستنتج من هذا التعريف أن تلوث الماء يحدث عندما يتغير القدر الذى خلقت به مكوناته، وأن التغير قد يكون فى الكم، وقد يكون فى الكيف، وأن الإنسان بتدخله غير الرشيد فى البيئة يعطلها - كلياً أو جزئياً - عن أداء مهمتها التسخيرية للإنسان.

وعرفت بعض الاتفاقات الدولية التلوث البحرى بأنه : قيام الإنسان سواء بطريق مباشر أو غير مباشر بإدخال أية مواد أو مصادر للطاقة إلى البيئة البحرية، يترتب عليه أو يحتمل أن يترتب عليه آثار ضارة. كالإضرار بالمواد

---

(١) د. جابر إبراهيم الراوى - المسئولية الدولية عن أضرار تلوث البيئة - القاهرة - المنظمة العربية للعلوم والثقافة - ١٩٨٣م - ص١١.
(٢) التلوث وحماية البيئة - مرجع سابق - ص ١٣٩.

الحية ، وتهديد صحة الإنسان وتعويق الأنشطة البحرية بما فى ذلك صيد الأسماك ، وإفساد صلاحية مياه البحر للاستحمام، والحد من قيام المرافق الترفيهية[1].

ونلاحظ أن هذا التعريف يرجع التلوث البحرى إلى إدخال مواد أو مصادر للطاقة إلى البيئة البحرية، بينما التلوث يمكن أن يكون ناتجاً عن فقدان البيئة أحد أو بعض مكوناتها أو عناصرها.

وعلى سبيل المثال ، قد يترتب على فعل الإنسان قلة الأوكسچين الذائب فى المياه الأمر الذى يؤدى إلى موت الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية أو هجرتها. ولذلك نرى أن التلوث يتولد بسبب خلل فى تركيب الماء، أو الهواء أو التربة أو فى خصائصه، أى أنه تغير فى القدر الذى خلق الله به الأشياء سواء كان هذا التغير تغيراً كيفياً، أم كان تغيراً كمياً بالزيادة أو بالنقصان.

وعرف البعض تلوث الماء بأنه: الانحطاط فى نوعية المياه الطبيعية بسبب إضافة المواد الضارة فيها بتركيز متزايد، أو إدخال تأثيرات عليها مثل زيادة درجة حرارتها، أو حتى نقصان بعض مكوناتها الطبيعية الأساسية من جراء تدخلات الإنسان، مما يجعل هذه المياه غير صالحة للاستعمالات الحياتية والصناعية[2].

وهناك تعريف آخر للتلوث المائى بأنه : إحداث تلف أو إفساد فى نوعية المياه مما يتسبب عنه تدهور نظامها البيئى (الإيكولوچى) بصورة أو بأخرى، لدرجة تصبح المياه معها ضارة أو مؤذية عند استخدامها ، أو غير قادرة على أن تتعامل مع الفضلات العضوية، والكائنات الدقيقة التى تستهلك الأوكسچين؛ إذ يعتبر استنزاف الأوكسچين من المياه تلوثاً إذا كنا ننظر لهذه المياه كمصدر للأسماك[3].

---

(١) اتفاقية حماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية فى الخليج العربى - الكويت - ١٩٧٨ - ص ٢٠.
(٢) لطيف حميد: التلوث الصناعى - العراق - جامعة الموصل - ١٩٨٣ - ص ١٦٩.
(٣) البيئة والإنسان - مرجع سابق - ص ١٣٢.

ويدور التعريفان السابقان حول فكرة واحدة هى حدوث خلل - أي تغير فى القدر الذى خلق الله به الماء - بمكوناته الطبيعية والكيميائية على النحو الذى يجعله غير قادر على أداء مهمته التسخيرية للإنسان. والتغير فى القدر قد يكون تغيراً كمياً بالزيادة أو النقصان، وقد يكون تغيراً فى الكيف، أى فى الخصائص النوعية للماء.

عرضنا فيما سبق بعض التعريفات التى وردت فى الاتفاقيات الدولية أو التى وضعها بعض الكتاب للتلوث المائى الذى يستأثر باهتمام خاص على المستوى الدولى والإقليمى، أما مؤتمر البيئة البشرية (١٩٧٢م) فقد حاول إعطاء تعريف عام للتلوث فذكر أنه : الأنشطة الإنسانية التى تدخل بطريقة حتمية ومتزايدة مواداً أو طاقة إلى البيئة عندما يؤدى ذلك إلى الإضرار أو التهديد بالإضرار بصحة الإنسان أو رفاهيته أو موارده، سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر.

وحاول البعض أن يقدم تعريفاً للتلوث، يقول أحد تلك التعريفات: إنه حدوث تغير أو خلل فى الحركة التوافقية التى تتم بين العناصر المكونة للنظام البيئى بحيث تشل فاعلية هذا النظام، وتفقده القدرة على أداء عمله الطبيعى فى التخلص من الملوثات[(١)].

فالتلوث عبارة عن تحرك متغيرات - نفايات إنتاج واستهلاك تجاه النظام البيئى- مما يؤدى إلى الإخلال بالحركة التوافقية بين عناصره، وإحداث ما نسميه خللا فى التوازن البيئى[(٢)].

وتعريف آخر يقول إن التلوث: هو التدخل فى نقاوة الهواء والماء والتربة بسبب امتزاجها بالمواد الكيماوية المؤذية المتنوعة، وخاصة قذف الفضلات الصناعية فيها.

---

(١) البيئة والإنسان - مرجع سابق - ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢) المرجع السابق - ص ١٠٠.

هذا الامتزاج وأى تغيير فى خصائص الهواء والماء والتربة، يسمى تلوثاً، عندما يؤدى إلى عدم نظافتها مسبباً الأذى بدرجات متفاوتة، اعتماداً على تركيز المادة الملوثة[1].

هذه التعريفات وغيرها تشير - وبصورة ضمنية - إلى حدوث خلل فى القدر الذى خلق الله به مكونات البيئة. وهذا الخلل هو تغير كيفى فى القدر يترتب عليه إعاقة النظام البيئى عن القيام بعمله التسخيرى إما إعاقة جزئية، أو إعاقة كلية إن التلوث مشكلة بيئية ولكنه ليس المشكلة البيئية الوحيدة، فهناك أيضاً مشكلة نضوب أو استنزاف الموارد، ومشكلة تعطيل الانتفاع بالموارد.

وعلى ذلك نستطيع أن نقدم تعريفاً علمياً دقيقاً للتلوث الذى يشكل خطورة على حياة الإنسان على النحو التالى:

التلوث هو تغير كيفى فى القدر الذى خلق الله به مكونات أو عناصر النظام البيئى، ناتج عن التدخل غير الرشيد للإنسان يترتب عليه اختلال فى توازن البيئة يعيقها، أو يهدد بإعاقتها عن أداء مهمتها التسخيرية للإنسان.

ونلاحظ على هذا التعريف ما يلى:

- إن التلوث الذى يدور حوله البحث هو التلوث الذى يعانى منه الإنسان، وبذلك نستبعد حالات التغير الاحتكاكى والتلوث الذى يدخل فى نطاق القدرة الاستيعابية للطبيعة فهذه الصورة لا تمثل خطورة كبيرة على الإنسان. فالتعريف المقترح يصدق على التلوث من النوع الخطر، أو المزعج كما يصدق على التلوث القاتل أو المدمر.

- يصدق التعريف المقترح على كافة الاختلالات التى تعتبر تلوثاً للبيئة، ومن ذلك تلوث الهواء وتلوث الماء وتلوث التربة واختلالات فى طبقات الأرض كالزلازل والبراكين والتلوث الحيوى (البيولوچى) كالأمراض والأوبئة.

---

(١) التلوث الصناعى - مرجع سابق - ص٢٦.

- إن التلوث يشل النظام البيئى - إما جزئياً وإما كلياً - عن أداء مهمته التسخيرية للإنسان، ويترتب على ذلك إلحاق - أو تهديد بإلحاق - الضرر بالإنسان.

والضرر ليس مادياً فحسب، فقد يكون مرضا نفسياً كالذى ينجم عن تلوث الصوت. والضرر قد يكون مما يلحق بالإنسان مباشرة وقد يلحق به بطريق غير مباشر. فالتلوث بالمبيدات الحشرية قد يحدث تسمماً فى الطيور أو الحيوانات أو الأسماك ثم يتناولها الإنسان فى طعامه وقد يحدث التلوث بصورة غير مباشرة عندما يتعرض الإنسان للإشعاعات النووية مثلاً.

- إذا قلنا فى التعريف المقترح أن التغير فى قدر الأشياء ناتج عن انحراف السلوك الإنسانى بدلاً من القول بأنه ناتج عن التدخل غير الرشيد فى البيئة فإن التعريف فى هذه الحالة يتسع مجال تطبيقه ليشمل التلوث بفعل الإنسان كما يشمل التغيرات الطبيعية التى يريد الله بها الانتقام من المارقين الجاحدين.

فالتغيرات الطبيعية - عندما تتجاوز القدرة الاستيعابية للبيئة - قد تكون وثيقة الصلة بسلوك الإنسان فى تعامله مع بيئته الاجتماعية، عندما لا يلتزم فى هذا السلوك بمنهج الله وشريعته.

ب- صور التلوث :

وللتلوث صور متعددة، فهناك تلوث الهواء، وتلوث الماء وتلوث التربة، وتلوث الغذاء والتلوث الضوضائى ، وفيما يلى عرض لصور التلوث السابقة:

(أ) تلوث الهواء:

يعرف السمرة ١٩٧٦م تلوث الهواء: بأنه الحالة التى يكون فيها الجو محتوياً على مواد تعتبر ضارة بالإنسان أو بمكونات بيئته[١].

---

(١) جمال حسنى السمرة - تلوث الهواء - ضمن مرجع فى التعلم البيئى - القاهرة - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ١٩٧٦م - ص ٣٧٨.

والهواء يعد من أهم ضروريات الحياة لكل كائن حى، ويتلوث هذا الهواء عندما توجد فيها مادة أو أكثر من المواد الغازية أو السائلة أو الصلبة، أو عندما يحدث تغيير كبير فى نسبة الغازات المكونة له بحيث يؤدى إلى تأثيرات ضارة بالكائنات الحية، أو المواد غير الحية فى النظام البيئى حيث تدخل المواد المسببة للتلوث الهوائى جسم الإنسان عن طريق الجهاز التنفسى.

مما يسبب بعض الأمراض للإنسان، أو قد تدخل إلى الجسم عن طريق مسامات الجلد، أو عن طريق الجهاز الهضمى مع الأغذية والمشروبات الملوثة بالهواء. فملوثات الهواء تؤذى الإنسان وغيره من الكائنات الحية سواء على المدى البعيد أو المدى القريب، ولها آثار سلبية متعددة ومتنوعة على الإنسان والحيوان والنبات والممتلكات.

ونجد أن أغلب العوامل المسببة لتلوث الهواء عوامل مستحدثة من صنع الإنسان، ولم تنشأ هذه العوامل فى يوم وليلة، ولكنها بدأت فى الظهور منذ أن ابتكر الإنسان الآلة (الآلة التى تستخدم الوقود) واستخدمها فى كل مناحى الحياة. فعندما قامت الثورة الصناعية ألقت كميات هائلة من الأدخنة فى السماء، ولهذا كله أسوأ الأثر على الهواء وعلى توازن البيئة ، وإذا لجأنا إلى الأرقام لنستدل بها فسوف نجد أن نسبة ثانى أكسيد الكربون حوالى (٠٢٩, ٠٪) فى نهاية القرن التاسع عشر قد ارتفعت إلى (٠٣٣, ٠٪) فى عام ١٩٧٠م. وقد وصلت عام ٢٠٠٠ (٠٣٨, ٠٪) ، ولهذه الزيادة آثار سيئة جداً على الإنسان والنبات والحيوان والتربة[١]، منها إصابة الإنسان ببعض الأمراض، كأمراض الجهاز التنفسى، وإصابة الحيوانات أيضاً ببعض الأمراض التى تؤدى أحياناً إلى انقراضها. أما النباتات فإنها تختنق فى الهواء غير النقى، وكذلك التربة تتأثر أيضاً بتلوث الهواء مما يؤثر على نمو المحاصيل فيها.

---

(١) محمد عبدالقادر الفقى - القرآن الكريم وتلوث البيئة - الكويت - مكتبة المنار الإسلامى - ١٤٠٦هـ - ص١٩.

ويتضح أن مصادر تلوث الهواء: إما أن تكون، مصادر طبيعية مثل الرياح التى تتسبب فى عوادم السيارات ووسائل النقل، أو حيوية وتتمثل فى حبوب اللقاح، وبعض الأحياء الدقيقة التى تعلق بالهواء، وتسبب الضرر لمن يتنفسه(١).

ومن تأثيرات تلوث الهواء إضافة إلى صعوبة التنفس للإنسان والحيوان والنبات المساهمة فى ارتفاع درجة الحرارة ونقصان المطر، وغير ذلك ، وقد تسبب هذا النوع من التلوث فى السنوات الأخيرة فى حدوث عدة كوارث فى بلاد العالم أودت بحياة الألوف من الأفراد.

ففى عام ١٩٨٤ شهد العالم أسوأ كارثة يمكن أن تحدث من تسرب مادة كيماوية ، فى أحد مصانع بهوبال بالهند تسربت بعض المواد من وعاء التفاعل، وأدت الكارثة إلى موت ٢٥٠٠ وإصابة ٢٠٠,٠٠٠ نسمة من ضمنهم عشرة آلاف أصابهم العمى، هذا بخلاف الخسارة فى الحيوانات الأليفة، وتلف المحاصيل(٢).

وزادت فى الآونة الأخيرة أخطار التلوث بالإشعاع بعد أن وقعت أكثر من حادثة انفجار لمفاعل نووى، كان أشهرها حادثة انفجار مفاعل «تشرنوبل» التى وقعت فى الاتحاد السوفيتى القديم عام ١٩٨٦م.

(ب) تلوث الماء :

يعرف تلوث الماء بأنه : أى تغير يطرأ على العناصر الداخلية فى تركيبه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بسبب نشاط الإنسان الأمر يجعل هذه المياه أقل صلاحية للاستعمالات الطبيعية المخصصة لها ، أو لبعضها(٣).

---

(١) صبرى الدمرداش - التربية البيئية النموذج والتحقيق والتقويم - بيروت - مكتبة الفلاح - ١٤١٤ هـ- ص١٩.
(٢) عبدالحكيم بدران - أضواء على البيئة - الرياض - مكتب التربية العربى لدول الخليج - ١٤١٣هـ - ص٥١.
(٣) نورى بن طاهر الطيب وآخر - تلوث المياه المشكلة والأبعاد - كتاب الرياض - العدد ٢٠ - مؤسسة اليمامة الصحفية - ١٩٩٥م - ص ٣٤.

وقد امتدت يد الإنسان إلى مياه الأنهار والبحار والمحيطات والبحيرات ، فراح يلوثها بما يلقيه فيها من مخلفات، وهناك بعض الأنهار التى فسدت تماماً، ولم تعد صالحة للاستعمال البشرى والصناعى.

فالكرة الأرضية تحتوى على أكثر من (٧٠٪) من مساحة سطحها الخارجى ماء، ومع ذلك فإن كمية المياه الصالحة للاستعمال لا تتجاوز (١٪) من كل هذا الحجم الهائل، فالحصول على الماء النقى الخالص من الشوائب يكون عسيراً هذه الأيام نظراً للتلوث.

والماء يتلوث عن طريق المخلفات الإنسانية والنباتية والحيوانية والصناعية التى تلقى فيه أو تصب فى فروعه، كما تتلوث المياه الجوفية نتيجة لتسرب مياه المجارى إليها.

يقول بدران ١٤١٣هـ : إن المياه تتلوث فى كثير من البلاد أثناء دورتها الطبيعية بنوعين من المخلفات:

الأول : إلقاء بقايا الحيونات والناس فى الماء، وصب مياه الصرف الصحى فى الأنهار دون معالجة.

والثانى : يتمثل فى المخلفات الزراعية والأسمدة والمبيدات ، ومخلفات العمليات الصناعية، وبقايا المنتجات الثانوية التى لا تجد الصناعة وسيلة لاستخدامها[1] فيجب أن تحل مشكلة المياه على المستوى العالمى، وأن تتعاون كافة الدول فى المحافظة على الماء لأن المسطحات تتصل ببعضها البعض. كذلك فالماء ضرورى للحياة ولا غنى عنه لجميع الكائنات الحية ، والإنسان بحاجة دائمة للماء، ولذلك يجب أن يكون هذا الماء نقياً فى حدود المعقول حتى لا يصاب الإنسان عن طريقه بكثير من الأضرار، ولا يتعرض لكثير من

---

(١) عبدالحكيم بدران - المرجع السابق - ص٤٠.

الأمراض. فالماء يعتبر ملوثاً إذا احتوى على مواد تجعله غير صالح للاستخدامات المقصودة منه.

(جـ) تلوث التربة :

يشكل تلوث التربة جانباً مهماً من جوانب مشكلة التلوث التى منيت بها البشرية فى القرن العشرين كنتيجة للتدخل غير المدروس من جانب الإنسان فى خلق الله، ومحاولاته المستمرة إفساد السنن الكونية بغرض الزيادة المؤقتة فى إنتاج الأرض الزراعية[٢] فعلى الرغم من أهمية التربة للإنسان فإنه يعمل على إتلافها، والقضاء عليها وتلوثها.

إن الملوثات والمخلفات والمبيدات التى تختلط بالتربية الزراعية تفقدها خصوبتها، وتؤثر تأثيراً سيئاً على البكتريا الموجودة بها. وكذلك فإن كل ما يلوث الهواء والماء يلوث التربة لأن الهواء والماء مكونان من مكونات التربة، ويؤدى تلوث التربة إلى انخفاض إنتاجية الأرض، إضافة إلى تأثيرها الضار على المزروعات لما ينقله إليها من مواد وعناصر تضر بصحة الإنسان الذى يتغذى عليها مباشرة، أو بعد أن يأكل الحيوانات التى أكلتها.

(د) تلوث الغذاء :

تلوث الغذاء مشكلة يتعرض لها الإنسان فى شتى أرجاء المعمورة ، فالغذاء يتلوث بالكائنات الحية المريضة مثل بكتيريا الكوليرا، والسل، والتيفوئيد، والديدان الشريطية ، وغيرها[٢].

ويتلوث الغذاء أيضاً بالكيماويات ، فالمبيدات التى تستعمل لحماية المزروعات والأغذية المخزونة من الأوبئة والأمراض تزداد يوماً بعد يوم. وهذه المبيدات لا يقتصر مفعولها على مكافحة الآفات، وإنما تؤذى الإنسان حيث

---

(١) محمد عبدالقادر - المرجع السابق - ص ٤٥.

(٢) صبرى الدمرداش - مرجع سابق - ص ٢٤.

تنتقل إليه مع الغذاء، وكذلك الكيماويات الحافظة فهى تحفظ الأغذية من التلف من جهة، ولكنها تتلف جسم الإنسان من جهة أخرى. فمنها ما يسبب آلاما حادة فى المعدة، وأخرى تسبب ارتفاعاً فى ضغط الدم، وثالثة ترفع مستوى الكلسترول. ومنها ما يسبب السرطان وغير ذلك من الأمراض.

ويعتبر الذباب وغيره من الحشرات المنزلية، والفئران من الوسائل النشطة لنقل الملوثات إلى غذاء الإنسان، وهذه الآفات تترعرع فى النفايات التى يلقيها الإنسان فى أماكن مكشوفة من المساكن.

(هـ) التلوث الضوضائى:

لقد حملت إلينا المدنية كماً هائلاً من الأصوات العالية التى تحيط بنا، وتغرقنا فى بحر من الضجيج المستمر، وهذه الأصوات تصدر عن إنتاج الطاقة أو استهلاكها كأحد الأنشطة التى يمارسها الإنسان(١) ومصادر الضوضاء تتمثل فى : مصادر طبيعية: وتشمل الانفجارات البركانية والزلازل، والرعد والأعاصير ، وأمواج المياه العالية، وتعتبر الضوضاء الطبيعية مضايقات بيئية سرعان ما تختفى، وهى قصيرة بالنسبة للضوضاء التى من فعل الإنسان.

أما المصادر غير الطبيعية : فتشمل المصانع بأنواعها، ووسائل المواصلات، وعمليات البناء وإصلاح الطرق، والأجهزة الكهربائية ، ومكبرات الصوت ، والموسيقى الصاخبة. وقد لا يخفى أن الضوضاء هى إحدى عناصر تلوث البيئة التى نشأت من وسائل الحضارة الحديثة التى تحدث ضجيجاً. وللضوضاء أثار سيئة على صحة الإنسان فهى تصيبه بالإرهاق وتوتر الأعصاب ، وتفقده القدرة على التركيز الذهنى. ورغم أن الضوضاء مشكلة حديثة العهد بالبيئة فإن الإسلام لم يهملها لأنه الدين الخاتم الذى جاء بالتشريعات التى تسعد الإنسان فى كل عصر إلى قيام الساعة.

---

(١) خالد محمود عبداللطيف - مرجع سابق - ص ٥٦.

يقول الله تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان].

وقد حذر الله من رفع الصوت لأنه يحبط الأعمال، ووعد الذين يغضون أصواتهم بالمغفرة.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجرات].

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن رفع الصوت فى حال الذكر. فعن أبى موسى رضى الله عنه، قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير. فقال النبى ﷺ: « أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»[1].

أسباب التلوث

هناك أسباب عديدة أدت إلى تلوث البيئة.

ومن بين هذه الأسباب أسباب عامة ساعدت على تزايد خطورة تدخل الإنسان فى البيئة وتأثيره السلبى فى توازنها.

كما أن هناك أسباباً أخرى تعتبر مسئولة عن إحداث عناصر معينة من البيئة، فتوجد أسباب للتلوث الهوائى. وأسباب مسئولة عن تلوث الماء. وثالثة مسئولة عن تلوث التربة الزراعية، وهكذا.

---

(١) رواه مسلم – وانظر فى هذا الدكتور عبدالله هلال التأصيل الإسلامى للتشريعات البيئية – مجلة منبر الحوار – عدد رقم ٢٣، ٢٤ – ص ١٥٩ – بيروت – ١٩٩٢م.

ونعرض هذه الأسباب - العامة والخاصة - فى محاور ثلاثة على النحو التالى:

- الأول : تلوث الغنى وتلوث الفقر.
- الثانى : أسباب تلوث الهواء.
- الثالث : أسباب تلوث الماء.

أولاً : تلوث الغنى وتلوث الفقر :

استفحلت مشكلة التلوث البيئى فى عالمنا المعاصر على نحو لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية. ويرجع ذلك إلى بعض المتغيرات المهمة نذكر منها:

١ - التقدم العلمى الذى أحرزه الإنسان المعاصر، والذى جعل تأثيره على البيئة وقدرته على تغييرها أكبر وأشمل؛ مما كان يستطيع أن يمارسه بوسائله وأدواته التقليدية المحدودة.

٢ - تزايد ضغوط الإنسان على موارد الطبيعة بسبب تطوره الحضارى والمادى واتساع نطاق رغباته.

٣ - التسرع فى استخدام التقنيات غير الملائمة للبيئة؛ لتلبية رغبات الإنسان من أجل تحقيق المتعة واللذة لزيادة أرباح المشروعات الخاصة. الأمر الذى لا يسمح فى كثير من الأحيان أن تؤخذ التأثيرات السلبية لتلك التقنيات فى الاعتبار.

وعلى سبيل المثال وكما رأينا، قطع الأشجار والاستغلال غير الرشيد للغابات والصيد الجائر للطيور والحيوانات التى تسهم فى توازن البيئة، والتوسع فى استخدام الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية التى ترهق التربة الزراعية.

٤ - قصور التنظيمات والتشريعات الوضعية ، وعدم كفاءتها فى توفير الحماية الضرورية للبيئة. وقد رأينا قبل الآن كيف يسمو الإسلام بقيمه وأحكامه على التشريعات والتنظيمات الوضعية فى هذا المجال.

وستتضح لنا أيضاً جوانب أخرى للتفوق الإسلامى خلال مناقشاتنا اللاحقة. عندما ينحرف الإنسان فى سلوكه عن النهج القويم والرشيد، فيسرف فى الإنفاق المادى والاستهلاك الترفى، وينتج الخبائث والأشياء الضارة، فإنه يهدر موارد البيئة، ويسيء استخدامها، الأمر الذى يتسبب فى اختلال التوازن الطبيعى، ويساعد على تولد مشكلات التلوث، وسرعة نضوب الموارد البيئية.

ولذلك نجد أن التلوث - بصورته الاختلالية المعاصرة - قد بدأ فى العالم الصناعى تقنياً، تحت تأثير الفلسفات والنزعات المادية التى تدفع الإنسان إلى الاندفاع فى إشباع أقصى ما يستطيع من رغباته وإلى الإغراق فى الشهوات. وقد حملت وكالة الأمم المتحدة للبيئة الأقلية الغنية فى شمال غرب العالم -وهى دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية- المسئولية عن مشكلة التلوث المعاصرة.

فهذه الدول تسبب أضراراً بيئية تمثل ما يقرب من ثلثى الدمار البيئى العالمى، وعلى سبيل المثال، فإن تأثير ما يستهلكه الطفل الأمريكى على البيئة يبلغ حوالى ثلاثين مرة تأثير ما يستهلكه الطفل فى الهند.

كما أن متوسط استهلاك الفرد من الطاقة فى الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا يبلغ أضعاف استهلاك الفرد فى اليابان أو المكسيك ، ويستهلك الشخص الأمريكى من الطاقة ما يزيد على مائتى ضعف استهلاك الفرد فى تنزانيا[1].

ولكن، على الجانب الآخر - اعنى المجتمعات النامية أو المتخلفة صناعياً- نجد أنها تعانى من نـــوع آخـــر من التلوث ، أو ما يسمى بتلوث الفقـــر (Poverty Pollution) فالمجتمعات الفقيرة تواجه العديد من المشكلات البيئية، من بينها عدم توافر الغذاء المناسب ، والإسكان الصحى، والصرف الصحى والمياه الصالحة للشرب.

---

(١) محمد عاطف كشك (الأبعاد البيئية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية) من أوراق المؤتمر العالمى السنوى الرابع للاقتصاديين المصريين - تحت رعاية : الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع، ٣-٥ مايو ١٩٧٩م - ص٣٠.

والواقع أن الإنسان هو الذى يتحمل مسئولية هذا التلوث. . فالفقر الذى تعانى منه معظم شعوب العالم المعاصر ناتج عن سيطرة العالم المتقدم صناعياً الذى استطاع أن يحكم هيمنته على اقتصاديات تلك الشعوب، ونجح بذلك فى استنزاف مواردها بأساليب مخططة ومنظمة.

وبالإضافة إلى ذلك، تعانى الشعوب الفقيرة من سوء توزيع الثروة والدخل، إذ تستأثر فئة قليلة من ذوى النفوذ والسلطان بالجانب الأكبر من الدخل. وهذه الفئة المستغلة تنتهج نفس أساليب وأنماط الاستهلاك الترفى، والإنفاق السرفى السائد فى البلاد الغنية المتقدمة صناعياً.

ولا يفوتنا أن نشير إلى نوع ثالث من التلوث أفرزته الحضارة المادية، وهو تلوث الصوت (Sound Pollution) الذى جذب مؤخراً، انتباه علماء البيئة بعد انتشار المصانع الضخمة بما تحدثه آلاتها من ضجيج، وكثرة الطائرات النفاثة، وسيارات النقل والدراجات النارية، وما تسببه من أصوات مزعجة فضلاً عن الإزعاج المستمر بسبب ما ينبعث من أصوات أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، وأدوات التنظيف وأجهزة التكييف[١].

وليت الأمر قد اقتصر على هذه المصادر الملوثة للصوت، فهناك أيضاً المشروعات العامة بما تقوم به من عمليات حفر فى الطرقات داخل المناطق السكنية مستخدمة فى ذلك أجهزة وأدوات آلية (ميكانيكية) تصدر ضوضاء وأصواتاً منفرة، أقل ما تسببه للإنسان هو التوتر والقلق والاضطرابات النفسية والعصبية[٢].

---

(١) التلوث وحماية البيئة - مرجع سابق - ص ٨٥.

(٢) التلوث وحماية البيئة - مرجع سابق - ص ٨٥.

وقد تحدثنا حتى الآن عن ثلاثة أنواع من التلوث، والتى كانت إفرازاً للحضارة المادية والفلسفات والمذاهب التى دفعت إليها. وهذه الأنواع هى : تلوث الغنى، وتلوث الفقر، وتلوث الصوت، ويحسن بنا أن ننظر نظرة إسلامية إلى هذه الأنواع الثلاثة.

إننا إذ نظرنا إلى القيم والقواعد والأحكام الإسلامية نجد أنها تشتمل على التدابير الوقائية التى تحمى المجتمع الإنسانى من هذا التلوث.

فالإسلام يأمر بالاعتدال والتوسط فى الإنفاق، وينهى عن الإسراف والتبذير أشد النهى.

ويقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)** ﴾[**الفرقان**].

ويقول تعالى: ﴿ .. **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)** ﴾ [**الأعراف**]

ويقول تعالى مبيناً أن الترف من أهم أسباب دمار الأمم:

﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)** ﴾[**الإسراء**].

ويقول: ﴿ .. **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)** ﴾ [**الإسراء**].

ويدعو الإسلام إلى كبح جماح النفس وعدم الانصياع لكل رغباتها.. وقد روى فى صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **قد افلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه**»[1].

(١) صحيح مسلم - ٢/ ٧٣٠ - باب الزكاة.

ويرسخ الإسلام فى النفس الإسلامية الوعى الاجتماعى والوعى البيئى. وأما عن موقف الإسلام من تلوث الصوت، فإنه ينطلق من نظرته إلى الإنسان فهو مخلوق كرمه الله، وفضله على كثير من خلقه. ومن ثم يجب على ولى الأمر أن يعمل على حمايته من الضوضاء، ووقايته من القلق والاضطرابات العصبية؛ كى يتمكن من القيام بعمله الاستخلافى فى الأرض. هذا فضلاً عن الأحكام والتوجيهات الإسلامية الموجهة للأفراد أنفسهم ليحذروا من ذلك. ولولى الأمر سلطات واسعة لحماية المجتمع المسلم من تلوث الغنى وتلوث الفقر وتلوث الصوت. ومن القواعد الفقهية التى تمنحه تلك السلطات نذكر قاعدة: (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة).

وقاعدة (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

وقاعدة (لا ضرر ولا ضرار).

وقاعدة (الضرر يزال).

وقاعدة (يتحمل الضرر الخاص لمنع الضرر العام).

وقاعدة (كلما عظم شرف الشىء عظم خطره) وأن الشىء إذا عظم قدره شدد فيه وكثرت شروطه.

وغير ذلك كثير من القواعد الفقهية التى تحقق الحماية الضرورية للبيئة مما سيأتى تفصيله تباعاً إن شاء الله.

ثانيا : أسباب تلوث الهواء :

فى التمهيد لدراستنا الحالية أوضحنا أن الغرض منها هو عرض لمشكلة التلوث من منطلقات إسلامية تحدد لنا مفاهيم البيئة والمشكلة البيئية، وتكشف لنا عن طبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة، وتقدم لنا تعريفاً دقيقاً للتلوث وخصائصه وأسبابه، وتبين لنا فعالية التدابير الإسلامية للوقاية من التلوث وعلاجه. وعلى ذلك يمكننا النظر إلى الدراسة الحالية على أنها محاولة لإضفاء الصبغة الإسلامية على جوانب مهمة تبحثها علوم البيئة.

وفى هدى هذه الملاحظة المهمة نقرر : أن أسباب تولد مشكلة التلوث، وعلى الرغم من تعددها وتنوعها، إلا أنه يجمعها عامل أو قاسم واحد مشترك، وهو أن التلوث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسلوك الإنسان، أما فى تعامله المباشر مع البيئة، وإما فى تعامله مع ذاته، أو مع بيئته الاجتماعية.

إن السبب الحقيقى لمشكلة التلوث يكمن فى انحراف السلوك الإنسانى عن القيم والمعايير الإسلامية. وهذا ما كشفت عنه دراستنا لتلوث الغنى، وتلوث الفقر، وتلوث الصوت فى المبحث السابق، وهو أيضاً ما ستكشف عنه دراستنا الحالية لأسباب التلوث الهوائى وتلوث الماء وتلوث التربة الزراعية.

لقد خلق الله كل شىء بقدر، وبتقدير الأشياء يتوازن النظام البيئى، وهذا هو الشرط الضرورى لكى يؤدى الإنسان عمله التسخيرى على النحو الذى أراده الله ليعينه على القيام بمهمته الاستخلافية فى الأرض.

ومعنى ذلك أن أى عمل من جانب الإنسان يحدث تغييراً فى القدر الذى خلقت به الأشياء يمكن أن تحدث اختلالاً فى التوازن البيئى، وتتولد بذلك المشكلات البيئية كالتلوث وسرعة نضوب الموارد الطبيعية.

بتعبير آخر : قد لا يكون السبب الحقيقى فى التلوث إطلاق ملوثات مادية فى البيئة، وإنما يكمن السبب الحقيقى فى اضطراب النسب التى تتركب منها مكونات النظام البيئى.

ولنعرض الآن - وبصورة إجمالية - أهم مصادر التلوث الهوائى، التى انتهى إليها علماء البيئة ثم نبين بعد ذلك، كيف أن السبب الحقيقى فى التلوث يكمن فى حدوث تغير فى (القدر) الذى خلق الله به مكونات النظام البيئى.

إن أكثر ملوثات الهواء انتشاراً وتأثيراً فى التوازن البيئى: هو احتراق الوقود، وتعتبر السيارات الخاصة ووسائل النقل الأخرى، المصدر الرئيس للوقود المحترق، وتصل كمية الغازات الملوثة للبيئة، والتى تطلقها وسائل النقل فى الهواء إلى حوالى ٦٠٪ من إجمالى كمية الغازات الملوثة للهواء.

وتسهم محطات توليد الكهرباء ووسائل التدفئة إسهاماً كبيراً فى تلويث الهواء بالغازات، وفى ضوء ما عرضناه من أسباب التلوث الهوائى يجدر بنا أن نناقش مفهوم (الملوث) مناقشة علمية ومن منطلقات إسلامية.

إننا إذا نظرنا مثلاً إلى ثانى أوكسيد الكربون نجد أنه غاز ضار بالإنسان، ولذلك يتخلص منه الإنسان بإخراجه فى هواء الزفير. ومع ذلك يوجد هذا الغاز فى الهواء الجوى ويشترك فى دورة الكربون فى المحيط الجوى (Biosphere) فكيف إذن نتحدث عن ثانى أوكسيد الكربون كأحد الملوثات؟

الواقع أنه لا يوجد خلل فى خلق الله ، فنسبة هذا الغاز فى الهواء الجوى حوالى ٠,٠٣٪ وهى نسبة لا تشكل خطورة على الإنسان أو الحيوان، ولكن اندفاع الإنسان فى استهلاك الطاقة : بترول، وفحم حجرى، وغاز طبيعى، يؤدى إلى ارتفاع نسبة ثانى أوكسيد الكربون فى الهواء الجوى، ويشكل -عندئذ- خطورة على الإنسان والحيوان[١].

وتشير الدراسات الحديثة : إلى أن زيادة تركيز هذا الغاز بمعدل معين يؤدى إلى تغير فى مناخ الكرة الأرضية. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن جزئيات ثانى أوكسيد الكربون تتميز بقدرتها العالية على امتصاص الأشعة تحت الحمراء المشتتة للحرارة الزائدة الصادرة من سطح الأرض.

ومعنى ذلك تزايد درجات الحرارة فى الغلاف الجوى، الأمر الذى قد يؤدى إلى انصهار الجليد الموجود فى قطبى الأرض، وحدوث كارثة بيئية تنغمر بسببها القارة الأوروبية أو معظمها تحت سطح البحر[٢].

وليس هذا الكلام مجرد استنتاج نظرى فقد ظهرت بوادر هذه الكارثة فى السبعينيات من القرن الميلادى الحالى إذ أشارت قياسات المعدل الحرارى إلى احتمال حدوث عصر اختناق حرارى[٣].

---

(١) التلوث وحماية البيئة - مرجع سابق - ص ٣١.
(٢) التلوث الصناعى وحماية البيئة - مرجع سابق - ص ٣١.
(٣) المرجع السابق - ص ١٢.

ولعلنا نتبين من هذا العرض: أن تلوث الهواء يحدث بسبب تزايد نسبة - أو تركيز - غاز ثانى أوكسيد الكربون، أى أن السبب الحقيقى فى التلوث هو تغير (خلل) فى القدر الذى جعله لثانى أكسيد الكربون فى الهواء الجوى، وهو القدر الذى لا يتسبب عنه أى اختناق حرارى بتعبير آخر، ليس غاز ثانى أوكسيد الكربون - بذاته - ملوثاً للهواء وإنما تغير درجة تركيزه هو الذى يؤدى إلى التلوث.

إن اندفاع الإنسان فى استغلال الطاقة هو السبب فى تغيير درجة تركيز غاز ثانى أكسيد الكربون فى الهواء الجوى، وهذا التغير فى القدر الذى جعله الله لهذا الغاز، يؤدى إلى اختلال التوازن البيئى، وينقلب بذلك تسخير البيئة للإنسان إلى تسخير على الإنسان.

لقد أحاط الله الغلاف الجوى للأرض بطبقة من غاز (الأوزون) لحماية الكائنات الحية، بما فى ذلك الإنسان، فهذا الغاز، من أهم خصائصه أنه يمنع نفاذ الأشعة فوق البنفسجية قصيرة الموجة - إلى سطح الأرض - لأن هذه الأشعة تهلك الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان، وهذا من تمام رحمة الله بعباده.

الإنسان إذن هو الذى يستطيع أن يجعل شيئاً ما ملوثاً أو غير ملوث للبيئة. وقد أصاب علماء البيئة عندما أجمعوا على أن الإنسان - والإنسان وحده - هو صانع التلوث[1]. وهو يصنع التلوث عندما يتسبب فى إحداث تغير (خلل) فى القدر - من حيث الكم أو الكيف - الذى خلق الله به الأشياء وهذه النتيجة عامة بمعنى أنها تظل صحيحة أياً كان موضوع التلوث أو أسبابه.

إن أسباب التلوث على تنوعها وتعددها تؤول فى النهاية إلى حدوث خلل فى القدر الذى خلق الله به الأشياء والخلل هو تغير فى القدر.

---

(١) البيئة والإنسان - مرجع سابق - ص ١١٠ - ١١٢.

قد يكون بزيادة أو بنقصان فى كمية مادة معينة، أو بزيادة أو نقصان فى معدل إنتاج أو تكون أو بناء مادة معينة، أو بزيادة أو نقصـــان معدل إهــــلاك أو إفناء أو هدم تلك المادة، وقد يكون التغير أو الخلل ناشئاً عن دخول عنصر، أو مركب جديد فى تكون مادة معينة.

ونحن نعتبر ذلك تغيراً فى القدر الذى خلقت به تلك المادة على أساس أن قدر العنصر أو المركب الجديد كان يساوى الصفر قبل حدوث التغير.

وكذلك قد يحدث التغير أو الخلل فى القدر الذى خلق الله به شيئاً ما إذا ترتب عليه إضافة أو فقدان خاصية أو بعض الخصائص الكيفية لهـــذا الشىء أو عندما تتغير ظروف الزمان أو المكان.

إن الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً أو بلا غاية ، ولم يحدد الله سبحانه القدر الذى خلق به الأشياء عشوائياً، لقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون -بكل ما فيه من ظواهر وأشياء مادية وعضوية بناء على علم مسبق فكل شىء أوجده الله فى هذا الكون هو فى علمه الأزلى قبل أن يوجده.

وهذا التوازن فى الكون وهذا التدبير المحكم، من الدلائل التى تؤكد أن الله جلت قدرته خلق كل شىء بقدر، لا بالنظر إلى الشىء فى ذاته وإنما بالنظر أيضاً إلى علاقة الشىء بكافة الأشياء الأخرى التى وجدت فى الماضى، والأشياء التى هى موجودة فى الحاضر، والأشياء التى ستوجد فى المستقبل.

بهذا التصور الكلى، ينبغى أن نفهم معنى قوله تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴿٢﴾ ﴾[**الفرقان**].

وبهذا المعنى : نستطيع أن ندرك كيف أن التغير فى (قدر) الشىء يمكن أن يحدث إخلالاً بتوازن البيئة قد يتمثل فى تلوث مواردها.

لننظر إلى أشعة الشمس التى تحول مادة الأورجوستيرول الموجودة تحت الجلد إلى فيتامين (د) بالقدر الذى يحتاج إليه جسم الإنسان[1]. ولكن التعرض لمدة طويلة نسبياً لأشعة الشمس قد يؤدى إلى إصابة الإنسان بضربة الشمس التى قد تقضى إلى الموت.

إن أشعة الشمس توجد فيها الأشعة فوق البنفسجية التى نحتاج منها إلى كميات أو جرعات معتدلة، تعمل على تنشيط وظائف الدم والغدد ذات الإفراز الداخلى، فضلاً عن تزويد الجسم بفيتامين (د)، ولكن إذا تلقى الجسم من هذه الأشعة كمية أو جرعة أكبر من القدر الطبيعى- الذى قدره الله - بأن يتعرض لها بصورة عشوائية ولمدد طويلة، فإن ذلك يسبب له أضراراً بالغة الخطورة كما رأينا.

إن الأشعة الضوئية - كالأشعة فوق البنفسجية هى أشعة (كهروماغناطيسية) إلا أن موجتها أقصر من موجة الأشعة المرئية، وقد وجد أنه كلما قصر طول الموجة زادت خطورتها. فأشعة رورنتجن موجتها أقصر من موجة الأشعة فوق البنفسجية ، ولذلك فإن لها أضراراً أشد خطورة من أضرار الأشعة فوق البنفسجية ، إذ قد تسبب العقم والعمى والأورام الخبيثة، وغير ذلك من تلوثات بيولوچية.

نحن إذا نستطيع أن ننظر إلى التلوث على أنه عملية استخدام لشىء ما فى غير ما خلق من أجله، أو على نحو مغاير لما هيىء له.

ثالثاً : أسباب تلوث الماء :

لعل من أهم أسباب تلوث الماء إقامة المشروعات مثل محطات توليد الطاقة الكهربائية والمصانع التى تحتاج إلى مياه للتبريد ، بالقرب من المجارى المائية فهذه المنشآت تقذف إلى المسطحات المائية مياها ذات درجة حرارة مرتفعة ، الأمر الذى يحدث خللاً بالتوازن الطبيعى للماء إذ يغير من خصائصه الطبيعية.

لقد جعل الله - جلت قدرته - للماء فى المجارى المائية درجة حرارة منخفضة (بالقدر) الذى يجعل الماء قادراً على الاحتفاظ (بقدر) من الغازات اللازمة لحياة الكائنات الحية المائية.

ولكن المياه التى تقذفها المصانع ومحطات توليد الكهرباء ترفع درجة الحرارة عن (القدر) الطبيعى فتقل الغازات الذائبة فى الماء ، ومن بينها الأكسچين اللازم لاستمرار حياة الكائنات المائية، وهكذا يحدث ما يسمى بالتلوث الحرارى[1].

ومن ناحية أخرى، قد يؤدى ارتفاع درجة حرارة الماء إلى الإخلال بالتوازن الحيوى أى توازن النباتات المائية فارتفاع درجة الحرارة عن المعدل (أو القدر) الطبيعى يساعد على نمو نباتات جديدة أكثر ملائمة لدرجة الحرارة المرتفعة، وهذه النباتات تزاحم (أى تنافس وتتطفل على) النباتات الطبيعية فى المنطقة.

ويؤثر ذلك تأثيراً سلبياً على الكائنات الحية التى قد لا تستطيع العيش على الأنواع الجديدة من النبات، ويؤدى ذلك إما إلى موت الكائنات الحية أو إلى هجرتها فيتكاثر النبات الذى كانت تتغذى عليه تلك الكائنات وتزيد كثافته.

وبذلك يحجب جزءاً من أشعة الشمس، وقد يسد القنوات المائية أو يعيق الحركة فى المجارى المائية.

ولعلنا نتبين مما سبق: أن السبب الحقيقى فى تلوث الماء هو التغير فى (القدر) من الحرارة التى جعلها الله للماء لكى يكون بيئة طبيعية صالحة لحياة الكائنات الحية. ونتبين أيضاً أن الإنسان هو مصدر هذا التلوث، بتدخله غير الرشيد فى البيئة عندما أقام صناعاته بالقرب من المجارى المائية.

وهناك أسباب أخرى لتلوث الماء فالمياه فى الأنهار والبحيرات تتلوث بسبب ما تقذف به المصانع من نفايات ومياه صناعية، فضلاً عن المخلفات البشرية التى

---

(١) التلوث وحماية البيئة - مرجع سابق - ص ١٤٥ وما بعدها.

تتزايد كمياتها عاماً بعد الآخر الأمر الذى الذى أفقد كثيراً من الأنهار والبحيرات قدرتها الطبيعية على التنقية الذاتية، (فنهر الراين) وهو أكبر أنهار أوروبا قد تلوثت مياهه بدرجة بالغة الخطورة لهذه الأسباب[1].

وتتلوث مياه البحار والمحيطات بالنفط الذى يتسرب إليها نتيجة حوادث تصادم ناقلات البترول، أو انفجارها.

ولعل من أخطر أنواع التلوث المائى الذى تسبب فيه الإنسان المعاصر والذى يسبب له القلق والإزعاج ما يعرف فى علوم البيئة باسم اطراد النمو البيولوجى (Eutrophicaion) ونتحدث أولاً عن هذه الظاهرة كما خلقها الله، ثم ننظر فيما صارت إليه بفعل الإنسان. حيث توجد الطحالب المائية فى مياه البحيرات لتأدية وظائف مهمة فى إحكام السلسلة الغذائية، وتوازن النظام البيئى. فهى تتغذى على المواد البسيطة - الماء وثانى أكسيد الكربون - وتطلق غاز الأوكسچين، كالنباتات تماماً، وتحتاج تلك الطحالب أيضاً إلى المواد المعدنية كالفسفور والنحاس التى تصل إلى البحيرة عن طريق الانجراف الطبيعى للأراضى، والمياه المتسربة من الصخور.

وهذه المواد تعمل كمخصب يزيد من نمو وتكاثر النباتات والطحالب، وتتغذى الحيوانات المائية الصغيرة (أى المجهرية) على الطالحب، وتمنع بذلك من تكاثرها حتى لا يختل النظام البيئى للبحيرة.

وهذه الحيوانات المجهرية تتغذى عليها الأسماك وتقوم الطحالب أيضاً بعملية تفكيك الفضلات العضوية وجثث الأحياء المائية بعد موتها لتعيدها إلى مواد غير عضوية بسيطة تتغذى عليها النباتات ، وبذلك تتم السلسلة الغذائية للبحيرة وتوازن النظام البيئى من السنن الإلهية التى يسير عليها هذا الكون: إن كل شىء له أجل مسمى، وغاية محددة.

---

(١) المرجع السابق - ص ١٤٠.

ويدخل ذلك أيضاً فى معنى القدر الذى تخلق به الأشياء وقد رأينا الآن الغاية من خلق الطحالب، فهى حلقة فى السلسلة الغذائية للبحيرة، ولكن للطحالب أجل مسمى وكذلك البحيرة وكل ما فيها من كائنات، فعلى مدى مئات السنين تتزايد المواد المعدنية فى مياه البحيرة بسبب الانجراف الطبيعى، والمياه المتسربة إليها من الصخور.

وهذه المواد - كما أسلفنا - تقوم بدور المخصب للطحالب فتتكاثر وتتزايد أعدادها عن (القدر) الذى تحتاج إليه الحيوانات المجهرية فى غذائها . . فيموت قسم كبير من الطحالب التى تزيد على حاجة تلك الحيوانات وتترسب جثثها فى قاع البحيرة، وتتحلل مستهلكة فى ذلك نسبة عالية من الأوكسچين الذائب فى الماء.

وهذا يؤدى إلى موت الكثير من الحيوانات المائية أو يدفعها إلى الهجرة وكلما نقص عدد الحيوانات زاد نمو الطحالب، وزادت الأعداد التى تموت منها وتترسب فى قاع البحيرة واستهلكت كميات أكبر من الأوكسچين وزادت أعداد الحيوانات البحرية التى تموت أو تهجر موطنها. وكل ذلك يؤدى إلى خلل ثم انقطاع السلسلة الغذائية، وينهار توازنها وتنتهى إلى النهاية الحتمية لكل المخلوقات الحية، وهى الموت عندما يحين أجلها المسمى. هذه العملية - كما أسلفنا - قد تستغرق مئات السنين ولكن الإنسان يتدخل تدخلاً غير رشيد فيتسبب فى موت البحيرة خلال سنوات قليلة.

وبتعبير آخر يحدث الإنسان - بتدخله - خللاً فى القدر (وهنا نعنى بالقدر الأجل الذى قدره الله لحياة البحيرة) تقذف المصانع فى البحيرة مخلفاتها الصناعية فضلاً عن الفضلات البشرية. . فتتزايد كمية المواد المعدنية التى تعمل على مضاعفة تكاثر الطحالب وبالتالى تتزايد الأعداد التى تموت منها وتتحلل فى قاع البحيرة، وبتعبير آخر : يعمل الإنسان على تعجيل النمو البيولوچى

للبحيرة[1]. ومن الأمثلة على ذلك بحيرة (إيرية) فى الولايات المتحدة الأمريكية وبحيرة (ليمان) وبحيرة أنسى فى أوروبا وبعض أجزاء من بحر البلطيق[2].

علاج التلوث :

وقد لا نعدد الصواب إذا تأكد لدينا أن الحلول التى يضعها الإنسان، لمواجهة مشكلات التلوث حلول محدودة قد لا تجدى وقد تجدى، وهى تنفع فى ناحية وتضر فى أخرى. ولذا فإن علاج الدين الإسلامى للتلوث هو الحل الذى يواجه هذه المشكلة بصورة سليمة صحيحة، وعلاج الإسلام للتلوث يتحدد فى مستويين شاملين، كلاهما يخدم الآخر، وكلاهما يشملان الحياة كلها، هذان المستويان هما:

أولاً : المستوى الشخصى :

وهذا المستوى هو الذى يعنى بطهارة النفس البشرية مادياً وروحياً، فالإسلام اعتنى بهذين الجانبين فى الإسناد، ففرض التشريعات التى تكفل طهارة الجسم والروح من كل دنس، ونجس، حسى، ومعنوى، وإذا ما طهر الإنسان فى نفسه سهل عليه أن يطهر بيئته[3]، فقد اهتم الإسلام بطهارة الروح لكونها الأهم من الجسد.

فقال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ .. ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص].

(١) حسين محمد غانم - الإسلام وحماية البيئة من التلوث - مكة المكرمة - جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية - ١٩٩٧م - ص ١٥٢.

(٢) المرجع السابق - ص ١٦٩ - وانظر أيضاً : البيئة والإنسان - مرجع سابق - ص ١٠١، ١٠٢ عن العوالق المائية.

(٣) محمد أحمد رشوان - تلوث البيئة ، وكيف عالجه الإسلام - الرياض - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١٤هـ - ص١٢.

فالآية أوصت أولاً بالغذاء الروحى ، ثم جعلت غذاء الجسم غذاء الروح يتمثل فى الإيمان بالله، وهذا من عمل الروح والقلب الذى إذا صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله.

قال ﷺ : « **ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب**»(1).

فإذا ما خلصت روح الإنسان فى توجهها إلى الله ، فإن ذلك الإنسان يبتعد عن كل عمل فيه فساد، ويصبح مهيئاً لتلقى الأوامر والنواهى من عبادات وتشريعات، وبالتالى فلا يعتدى على عناصر البيئة ولا يعمل على تلويثها.

وعنى الإسلام أيضاً بطهارة البدن ، فوضع الآداب الحميدة والسلوك القويم الذى يكفل طهارته من كل دنس ونجس ويمنع عنه أى تلوث يضر به وبالآخرين، ولهذا الغرض فقد حدد الآداب التى تجنب الإنسان والمجتمع التلوث، ومن هذه الآداب:

١ - آداب الصلاة :

فقد فرض الإسلام على كل مسلم خمس صلوات فى اليوم والليلة، لتزكية قلبه وروحه بالاتصال بالله تعالى ومناجاته، وكذلك تطهير الجسم والأعضاء بالوضوء أو بالغسل، فضلاً على أنها تشترط على المسلم طهارة الملبس والمكان.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا... ۝٦** ﴾ [المائدة].

وحثنا الرسول على الطهارة تجنباً للتلوث ورغبة فى النظافة فقال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»(2).

(1) صحيح مسلم - جـ٣ - حديث رقم ١٥٩٩ - ص ص ١٢١٩ ، ١٢٢٠.
(2) رواه مسلم - جـ١ - حديث رقم ٢٢٣ - ص ٢٠٣.

وإذا كانت هذه الطهارة تتكرر يومياً خمس مرات فإنه من المؤكد أن تبقى ملابس المسلم وجسمه خاليين من أى لون من ألوان التلوث والنجاسة.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه**» قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا**»[1].

وقال ﷺ: «**عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**»[2]. فلم تترك السنة مكاناً فى جسم الإنسان للتلوث، بل وعنيت بملبس المسلم فاشترطت طهارته، فقد كان رسول ﷺ يحب الثياب البيض. وهذا يدل على حرصه على نقاء ملبسه وطهارته، لأن الثوب الأبيض لا يخفى أقل تلوثا، وأدنى نجاسة. ومبالغة فى طهارة الثياب وعدم تعرضها للتلوث بالنجاسة أو بغيرها حثنا رسول الله على تقصيرها فقال ﷺ «**ما أسفل من الكعبين من الإذار ففى النار**».

٢ - آداب الطعام :

الإسلام سلك فى تجنيب التلوث من الطعام والشراب مسلكين هما:

(أ) المحرمات من الطعام والشراب:

حيث حرم الإسلام بعض الطعام فقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ .. ﴿٣﴾ ﴾[المائدة].

---

(١) صحيح البخارى - جـ١ - ص ٢٢٤.

(١) انتقاص الماء : أى الاستنجاء - صحيح مسلم - جـ١ - ص ٢٢٣.

لأن كل هذه المحرمات خبائث وحاملات للأوبئة والأمراض التى تهلك الإنسان، وقد حرم الإسلام على المسلم كل هذا لأنه ملوث فى نفسه، ملوث لغيره، ضار غير نافع وأما الأشربة فقد حرم الإسلام منها كل مسكر ومذهب للعقل.

قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** .. ﴿٢١٩﴾ ﴾[البقرة].

وقال تعالى: ﴿ .. **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٩٠﴾ ﴾[المائدة].

(ب) آداب الطعام والشراب:

فقد وضع الإسلام آداباً للطعام والشراب، منها ما يجنب المسلم الأمراض، ومنها ما يجنب بيئته التلوث، وهذه الآداب تتلخص فيما يلى:

١ - التسمية فى أول الطعام.

٢ - أن لا يملأ بطنه بالطعام.

٣ - لا يعيب المسلم طعاماً، بل يستحب أن يمدحه، وحتى لا يصاب بكراهية الطعام أو يقزز نفوس الجالسين معه، فتكون النتيجة أن يوضع الطعام أمام الناس ثم يرمى مما يسبب تلوث البيئة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: **«ما عاب ﷺ طعاماً قط، كان إذا اشتهى شيئاً أكله، وإن كرهه تركه»**[1].

٤ - على المسلم أن يأكل مما يليه.. حتى لا يصاب من معه بالاشمئزاز الذى يصيب نفوسهم من جراء تلوث كل الطعام بيده، قال ﷺ: **«يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»**.

---

(١) صحيح البخارى - جـ ٧ - ص ص ٢٥٨، ٢٥٩.

٥ - الاجتماع على الطعام، لأن الاجتماع على الطعام ينزل فيه البركة من ناحية، ويقلل المخلفات منه من ناحية أخرى، فإذا أكل كل فرد على حدة سيبقى شىء من طعامه ، وبالتالى يكون مجموع ما تبقى كثيراً على مستوى الأسرة الواحدة. وهذا يؤدى إلى تلويث البيئة بهذه المخلفات، إضافة إلى أن كثرة تلوث آنية الطعام تحتاج إلى ماء كثير لغسلها، وبالتالى تزيد المياه الملوثة، وكان يغنى عن ذلك كله اجتماع الأسرة مرة واحدة على الطعام. فقد قال بعض الصحابة للرسول يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع، قال: «**فعلكم تفترقون**» قالوا: نعم، قال: «**فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه**»[1].

٦ - التنفس فى أثناء الشراب خارج الإناء، حتى لا تنتقل الميكروبات من فمه إلى الإناء عبر الزفير فيلوث الإناء، والمشروب فيصاب الشاربون بعده بمرض، إضافة إلى ذلك يصيب الحاضرين بالاشمئزاز، فعن أبى قتادة أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس فى الإناء.

٧ - كراهة الشراب من فم القربة ونحوها. . لأن ذلك يؤدى إلى تلوث فم الإناء، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم القربة أو السقاء.

٨ - أن يحمد الله فى آخر الطعام والشراب. فالحمد أدعى إلى الإحساس بالشبع والقناعة، وبالتالى يقلل من الاستهلاك، فتقل المخلفات التى تلوث البيئة.

٩ - نظافة الآنية ، لأن تلوث الإناء أمر يعرض حياة المسلم للتهلكة، فتلوث الإناء يؤدى إلى تلوث الطعام.

---

(١) صحيح سنن أبى داود - جـ٣ - حديث رقم ٣٧٦٤ - ص ٣٤٥، ٣٤٦.

٤ - آداب النكاح :

فكما اهتم الإسلام بآداب الطعام والشراب حتى يقى المسلم من تلوث الطعام، فكذلك اهتم أيضاً بشهوة الفرج فوضع لذلك قيوداً وآداباً لابد من اتباعها حتى يتجنب المسلم الأوبئة والأمراض المهلكة التى تنتج عن العلاقات الجنسية غير المشروعة.

فقد حرم الإسلام الزنا واللواط وشدد فى عقوبتهما.

قال تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ .. ﴿٢﴾** ﴾ [النور]

والزنا واللواط ينتج عنهما كثير من الأمراض الخطيرة، ومنها السيلان والزهرى والإيدز.

قال تعالى﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾** ﴾[الإسراء]. ومرد هذه الأمراض راجع إلى تلوث فرج المرأة والرجل وانتقال الأمراض إلى الزناة الآخرين.

ولذلك فقد قضى الإسلام على كل ما يؤدى إلى الزنا، فحرم النظر إلى المرأة الأجنبية ، قال تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾** ﴾[النور].

وكذلك حرم الإسلام نظر المرأة إلى الرجل، وحرم عليها إظهار زينتها لغير زوجها ومحارمها حتى لا تفتن الرجال، وأيضاً حرم الاختلاط بين المرأة والرجل أوالخلوة بالأجنبية.

وإمعاناً من الإسلام فى محاربة الرذيلة والتلوث منع الرجل من رؤية عورة الرجل وكذلك المرأة حيث قال ﷺ: « **لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد**»[1].

---

(١) صحيح مسلم - جـ٣ - حديث رقم ٢٦٧ - ص ١٦٠٢.

ومن أجل القضاء على ذلك أحل الإسلام الزواج الشرعى وجعل له ضوابط، مثل تحريم الجماع فى الحيض، وما إلى ذلك.

وإضافة إلى آداب الصلاة وآداب الطعام وآداب النكاح، هناك ما يسمى بالحجر الصحى فى الإسلام، وهو الذى يسعى إلى منع انتشار الأمراض فى البيئة، وحتى تكون خالية من الأوبئة ولهذا قنن الإسلام نظام الحجر الصحى، حتى لا تتلوث البيئة، وتنتشر الأمراض المعدية.

ثانياً: المستوى الخارجى:

وهو المحيط الخارجى للإنسان المتمثل فى مسكنه، وطرقه، وحيه، ووطنه، والكرة الأرضية عامة، وهو ما يسمى بالبيئة.

وطهارة البيئة ونظافتها لا تقل أهمية عن طهارة ساكنها وهو الإنسان، والإسلام ينبه إلى أهمية النظافة البيئية دائماً حتى يلفت النظر إلى خطورة تلوثها، وما يؤدى إليه التلوث من أوبئة مهلكة للحرث والنسل[1].

وقد اهتم الإسلام بمحاربة التلوث، ليكفل للإنسان بيئة صحية نظيفة خالية من التلوث. فحين اهتم بطهارة البدن على المستوى الشخصى، اهتم أيضاً بالمحافظة على نظافة المياه وعدم تلوثها لأن هذا وسيلة النظافة والتطهر.

قال تعالى: ﴿ ..وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ .. (١١) ﴾[الأنفال].

وبالتالى فقد شدد الإسلام على عدم تلوث الماء.. حيث قال ﷺ: **«لايبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه»**[2].

وقال ﷺ: **«اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد، والظل، وقارعة الطريق»**[3] كما حرم الإسلام تلوث الطرق وجعلها موطناً لإلقاء القاذورات.

---

(١) محمد أحمد رشوان - مرجع سابق - ص ٤٧.
(٢) صحيح مسلم - جـ١ - حديث رقم ٢٨٢ - ص٢٣٥.
(٣) سنن ابن ماجه - جـ١ - حديث رقم ٣٢٨ - ص ٥٩.

قال ﷺ : «**اتقوا اللعانين**» قالوا: وما اللعنان يا رسول الله؟ قال: «**الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم**»[١].

بل إن إماطة الأذى عن الطريق يعتبر من شعب الإيمان.

قال ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة. فافضلها قول لا إله إلا الله . وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٢].

ومن الطرق التى يدعو إليها الإسلام لحماية البيئة من التلوث: العمل على زراعة الأراضى واستصلاحها، ولأجل ذلك جعل الإسلام جزيل الثواب لمن يقوم بهذا العمل تشجيعاً على ممارسة هذا العمل. قال: ﷺ «**ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام : « **ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة.. وما سُرق منه له صدقة، ما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة**»[٤].

وقد سبق الحديث عن حماية عناصر البيئة الأساسية فى الإسلام، حيث تناولنا حماية الأرض والتربة والماء والهواء والحيوان والزرع، وفى حماية هذه العناصر منعاً للتلوث أما عن التلوث الضوضائى وما ينتج عنه من أمراض.

فقد عالج الإسلام ذلك أيضاً حيث أوجب المحافظة على حواس الإنسان ومنها السمع ومن كل ما يؤذيها، وقد أمر الإسلام بالسكينة والوقار وشبه من يرفع صوته بالحمار[٥].

---

(١) صحيح مسلم - جـ١ - حديث رقم ٢٦٩ - ص ٢٢٦.
(٢) صحيح مسلم - جـ١ - حديث رقم ٣٥ - ص ٦٣.
(٣) صحيح مسلم - جـ٣ - حديث رقم ١٥٥٣ - ص١١٨٩.
(٤) صحيح مسلم - جـ٣ - حديث رقم ١٥٥٢ - ص١١٨٨.
(٥) أحمد ربيع خلف الله وآخر - التربية البيئية دراسة لمعالجة بعض قضايا البيئة من منظور إسلامى - القاهرة - مجلة كلية التربية بجامعة الأزهر - العدد ٢٠ - ١٩٩١م - ص١٥٧.

قال تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[لقمان].

ولأجل حماية البيئة من التلوث فقد أقام الإسلام نظاماً عقابياً رادعاً، لأنه مهما جندت القوى البشرية للعمل على حماية البيئة، سنجد من يعتدى على هذه البيئة، فعدم وجود عقاب رادع يجعل الكثير يتجرأ على الاعتداء على البيئة.

لذا فقد عامل الإسلام المفسد فى الأرض معاملة المحارب، وهذه عقوبة رادعة.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة].

والحد الأدنى للعقوبة من الناحية الشرعية هو تحميل المعتدى قيمة ما أفسده.

إن الدين الإسلامى يمنع حدوث التلوث والإضرار بالبيئة، حيث أن الضرر ممنوع فى الإسلام بجميع صوره وأشكاله، كما جاء فى الحديث (لاضرر ولا ضرار)[1].

كما أن منع الضرر قبل حدوثه أولى من معالجته بعد حدوثه، حيث إن نفقات المحافظة على البيئة من التلوث أقل بكثير من تكلفة تنقيتها بعد حدوث التلوث.

والقاعدة الشرعية تقول :(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ولذلك فإنه ينبغى أن تكون كل الأعمال التى تهدف إلى تحقيق المصالح والمنافع فى منأى

---

(١) موطأ الإمام مالك - جـ٢ - ص ٧٤٥.

عن المفاسد والمضار، ويجب أن لا يصاحبها، أو ينتج عنها ضرر أو مفسدة ولا تؤدى إلى تلويث البيئة.

فالالتزام بالسلوك الإسلامى تجاه البيئة، يجنب المجتمع كارثة التلوث ذات الأخطار الكبيرة، لأن الخروج عن السلوك الإسلامى والخروج عن منهج الله فى التعامل مع البيئة يؤدى إلى تلوث وفساد هذه البيئة.

قال تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿٤١﴾ ﴾[الروم].

ولذلك فإن علاج التلوث يكون باتباع الهدى الإلهى والهدى النبوى.

ولكى تقوم التربية بواجبها على الوجه المطلوب وتحقق النجاحات المأمولة فإن عليها أن تقوم بغرس السلوكيات الإسلامية فى نفوس المتعلمين من أجل حماية البيئة من التلوث.

المبحث الثانى

قضية تغير المناخ:

قال تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[البقرة].

وقال تعالى: ﴿..وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[الأعراف].

آيات كريمة تحث الإنسان على عدم الفساد فى الأرض، إذ أن المولى - عز وجل - قد أصلحها لنا لحياتنا، ولحياة جميع الكائنات التى تعيش معنا على سطح هذا الكوكب. إن الفساد فى الأرض، بعلم أو بغير علم، بدراية أو بجهل، بقصد أو من دون قصد، عاقبته وخيمة ، وأول المتضررين من هذا الفساد: الإنسان نفسه. فالحق عز وجل أحكم ما خلق، وأتقن ما صنع ﴿..صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ.. ﴿٨٨﴾﴾[النمل].

وقد أوجد الله كل ما فى الكون بمكونات ذات مقادير محددة، وبصفات وخصائص معينة، بحيث تكفل هذه المقادير والخصائص توفير سبل الحياة الملائمة للبشر والأحياء ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[الفرقان].

إن البيئة الطبيعية فى حالتها العادية - دون تدخل مدمر أو مخرب من جانب الإنسان - تكون متوازنة على أساس أن كل عنصر من عناصرها قد خلق بصفات محددة وبحجم معين، بما يكفل للبيئة توازنها، ويؤكد ذلك. قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾[الحجر].

إن مفهوم التوازن يعنى بقاء عناصر البيئة الطبيعية على حالها، كما خلقها الله سبحانه وتعالى، دون إحداث أى تغيير جوهرى فيها.

فإذا حدث أى نقص أو تغير جوهرى فى أى عنصر من عناصر البيئة اضطرب هذا التوازن فلا تصبح البيئة قادرة على تلبية متطلبات الحياة للإنسان.

ولا شك أن فى ذلك ضرراً كبيراً يلحقه ابن آدم بنفسه، وقد درج الإنسان فى ظل الحضارة المعاصرة على التعامل مع البيئة، ومع الحياة من منطلق نظرة فردية أنانية غير أخلاقية.. ولم يأبه الإنسان - وقد أخذت الأرض زخرفها وأزينت له - بالعواقب الوخيمة التى يمكن أن تنعكس عليه سلباً، وأن تتسبب فى تدميره، والقضاء عليه.

لقد راح الإنسان يعبث فى مقومات الحياة، فلوث الماء الذى يشربه، وأفسد الهواء الذى يتنفسه، وأهلك الحرث والنسل بالكيماويات والسموم، وتسبب فى خبث التربة الزراعية فلم تعد تنبت إلا نكداً ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الأعراف].

ومن بين ما أفسده الإنسان فى ظل الحضارة المادية المعاصرة: المناخ العالمى فقد أصبحت الأحوال الجوية - كما نلاحظ جميعاً- غير مستقرة فى السنوات الأخيرة. فتارة تداهمنا الأمطار فى غير مواعيدها، وأحياناً تهب الرياح الساخنة فى فصلى الخريف والشتاء.

وهناك بلدان كان يأتيها رزق ربها رغداً، فأذاقها الله لباس الجوع والفقر، حيث صارت موجات الجفاف والقحط تضربها شهوراً وسنوات دون رحمة.

وهناك بلاد كانت آمنة مطمئنة أصبحت عرضة للأعاصير، والفيضانات التى تكتسح كل ما يصادفها.

وكم هناك من مناطق زراعية وجزر ومدن تهددها مياه البحر بالغرق، وفى غمرة هذه التغيرات المناخية الكبيرة تطالعنا وسائل الإعلام ومراكز البحث

العلمى بأخبار مثيرة عن العصر الساخن الذى سوف تقبل عليه البشرية فى السنوات المقبلة، حيث سترتفع درجة حرارة الجو إلى حد لا يطاق، وسوف يتأثر الإنسان من ذلك وتتأثر الحيوانات والزواحف والدواب والأشجار والأزهار والخضروات والبحار والأنهار والأمطار[1].

الإنسان هو المسئول الأول :

لماذا تحدث هذه التغيرات غير المتوقعة، وغير المرغوبة فى المناخ؟

الجواب ببساطة : هو أن الإنسان قد أفسد الأرض وأفسد هواءها، إن التلوث الذى انتاب البيئة فى هذا القرن هو الذى تسبب فى حدوث هذه التغيرات المناخية التى قلبت أحوال الجو، وغيرت من حركة الاتزان النسبية فى حركة الهواء، وفى ثبوت متوسط درجة الحرارة فى عدد كبير من دول العالم.

ولما كان الإنسان هو المتسبب الوحيد فى إحداث هذا التلوث، فإنه وحده هو المسئول الأول عن التغيرات المناخية، وعن النتائج القاتلة المترتبة عليها.

ومن أشهر الملوثات التى أطلقها الإنسان المعاصر فى الهواء، والتى أدت إلى تغيير حالة المناخ، غاز ثانى أكسيد الكربون، وأكسيد النتروچين، والميثان، وأكسيد الكبريت والنوشادر، وغازات الفريون التى تستخدم فى أجهزة التبريد والتكييف، وغاز الأوزون، ويعتبر غاز ثانى أكسيد الكربون أشهر الغازات المتسببة فى ارتفاع حرارة العالم.

وقد ازداد وجود هذه الغازات خلال الثلاثين عاماً الأخيرة من حوالى ٣١٥ جزءاً فى كل مليون جزء من الهواء فى عام ١٩٥٨ إلى أكبر من ٣٦٠ جزءاً فى كل مليون جزء من الهواء فى الوقت الحالى، وهو يزيد فى الآونة الأخيرة بمعدل ٢٪ فى كل عام وتبقى نصف هذه الزيادات فى الغلاف الجوى للأرض، بينما تمتص النصف الآخر مياه البحار والمحيطات.

---

(١) محمد عبدالقادر الفقى - البيئة ومشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ، رؤية إسلامية - القاهرة - مكتبة ابن سينا - ب.ت - ص ١٧٦ .

ويعود سبب زيادة تركيز ثانى أكسيد الكربون فى الجو إلى عاملين رئيسين:

الأول : التوسع الكبير فى حرق أنواع الوقود الأحفورى من بترول وغاز طبيعى وفحم، سواء للأغراض الصناعية أو التعدينية أو لتوليد الكهرباء، أو لإدارة محركات الاحتراق الداخلى فى السيارات والقطارات والسفن وغيرها.

الآخر : إزالة مساحات شاسعة من الغابات بهدف استغلال هذه المساحات فى الزراعات التقليدية كالحبوب والخضروات والفواكه، كما ازدادت نسبة غازات أكاسيد النتروچين وأكاسيد الكبريت نتيجة احتراق الوقود الأحفورى أيضاً. ونتيجة للملوثات التى تنجم عن الصناعات المعدنية والكيميائية والبتروكيميائية وقد بينت الدراسات والقياسات التى قامت بها مراكز الأبحاث العلمية أن تركيز هذه الغازات يزداد بمعدل كبير فى الهواء فى المناطق التى تقع شمال خط عرض ٤٠ درجة فى نصف الكرة الشمالى، أى فى البلدان الصناعية التى يتم فيها حرق المنتجات البترولية والفحم بكميات كبيرة.

وقد بينت القياسات : أن القيم الصغرى لتركيز هذه الغازات تقع فى نصف الكرة الجنوبى، حيث تستهلك المجتمعات القاطنة فيه كميات أقل من الوقود الأحفورى، كما أن نشاطها الزراعى صغير نسبياً إذا قارناه بدول أوروبا وأمريكا الشمالية.

خلاصة الأمر : أن إخلال الإنسان بنواميس البيئة التى سنها الخالق عز وجل سوف يؤدى إلى تحولات كبيرة فى المناخ والطقس، وقد بدأ العالم يستشعرها ويدرك مخاطرها، فهل آن الأوان لإنقاذ الأرض والبشرية من الآثار التى ستترتب على هذه التحولات، وهل سيعرف الإنسان الأساليب الأخلاقية للتعامل مع البيئة والمحافظة على السنن الكونية؟ إن غداً لناظره قريب، وفى غد سننظر كيف تكون عاقبة المفسدين ﴿ **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾** ﴾[**الزخرف**].

المبحث الثالث

قضية استنزاف الموارد الطبيعية

قيل: الإنسان ناهب للموارد. وهذه المقولة حقيقة وليست تهمة، ولو لم يكن الواقع كذلك فلماذا نشكو من ندرة المياه الجوفية؟ ولماذا يطلب منا أن نقتصد فى استهلاك الوقود الأحفورى؟ لماذا تلجأ كثير من الدول إلى توزيع بنزين السيارات بالبطاقة؟

لماذا نبحث عن مصادر جديدة للطاقة؟ لماذا نلجأ إلى الإكثار من استخدام البلاستيك بدلاً من الأخشاب والمعادن؟ لماذا يبحثون لنا عن مصادر جديدة للغذاء فى الطحالب وفى النفط وغيرها؟

لقد أسرفنا فى استغلال موارد البيئة وأوشك الكثير منها على النضوب، ونخشى أن نصل إلى الحالة التى وصل إليها أحد الأثرياء الوارثين الذى كان يكفيه أن يعيش على مجرد الفائدة التى يدرها ميراثه، ولكنه لم يقنع بذلك وامتدت يديه إلى رأس المال (الثروة) وما هى إلا سنوات معدودة حتى وجد نفسه فجأة بلا مورد للعيش.

إن موارد البيئة الدائمة والمتجددة وغير المتجددة، ثروات متاحة للإنسان يأخذ منها ما يوفر له حياة كريمة تليق بمكانته فى العالم الحى، ولكنه دأب على الاستدرار المتواصل للغابات والتربة والأسماك والطيور والفحم والنفط والغاز الطبيعى والمياه الجوفية.. وغيرها.

ولم تتمكن التكنولوچيا التى طورها الإنسان للآن، من إنتاج البدائل التى توازى النقص الكبير فى الموارد الطبيعية المستنزفة.

والذين كانوا يراهنون على مقدرة الإنسان على إيجاد موارد جديدة تحل محل المستنزفة ، يبدو أن أملهم قد خاب بعد كل التناقص فى المجال المعيشى

للإنسان والمتفائلون بمقدرة الإنسان الفذة على التكيف مع البيئات الجديدة، عليهم أن يراجعوا أنفسهم اليوم بعد أن تأكد بأن التكنولوچيا لم تتمكن من التغلب على مشكلات البيئة، بل أصبحت المشكلات تسبقها وتتفوق عليها.

وعلينا أن نعترف ، بلا مواربة، أن الإسراف فى استهلاك الموارد قد أوجد للجنس البشرى متاعب صعبة تقض المضاجع وتهدد البقاء[1].

لقد تحدثنا عن الماء وقلنا: إن مشكلته ذات وجهين، الندرة والتلوث، ويجب ألا نخدع أنفسنا بأن سرعة استعمال الماء للشرب والاستحمام وغسيل الملابس والرى الزراعى والدخول فى المؤسسات الصناعية تفوق سرعة تعويض ما ينقص منه.

ولكن ما الحل؟ هناك من ينادى بتحسين أساليب الاستعمال، وهناك من يدعو إلى الحد من عدد المستعملين، ولكن الأفضل أن تحسن أساليب الاستعمال.

والغابات موارد متجددة يجتث الإنسان الكثير منها للحصول على الأخشاب والألياف والورق، وفوق أن معدل تجدد الغابات أقل بكثير من معدل اجتثاثها فإن الإنسان يلجأ إلى بناء المساكن للسكان المطردى الزيادة فى الأراضى التى من المفروض أن تغرس بالأشجار.

إن المردود الذى ينعكس على الإنسان من جراء استنزاف الغابات يتناول أكثر من جانب تراجع كميات المواد الأولية اللازمة للصناعات التى تعتمد على الغابات (الأخشاب - الألياف - الورق) تشرد الحيوانات التى تستوطن الغابات والكثير منها مفيد للإنسـان - غـذاء وكساء - افتقار التربـة نتيجة لتعرضها لعوامل الجرف (التحات) ، تعرض المناطق المحيطة بالغابات المستنزفة للسيول والفيضانات.

---

(١) رشيد الحمد - محمد سعيد صباريني - البيئة ومشكلاتها - الكويت - سلسلة عالم المعرفة - العدد ٢٢ - أكتوبر - ١٩٧٩ - ص ١٧٠.

وهذا يحتم إنشاء السدود والخزانات ، لدرء الخطر، وبذلك تنشأ مشكلة أخرى فبعد أن كانت المياه جارية أصبحت راكدة نسبياً وراء الخزانات، أما وراء السدود فيتجمع الطمى والأنقاض التى كانت تناسب إلى البحر، فتترسب فى البحيرة التى تكونت. . وهكذا.

وبالنسبة للأحياء الحيوانية (برية ومائية)، فإننا نسمع عن بحيرة أو نهر قد أصبح خالياً من السمك، أو أن نوعاً من السمك اختفى من البحر من جراء الصيد الجائر. ومن الطيور فقد اختفى حوالى ٤٥ نوعاً منها فى القرنين التاسع عشر والعشرين نتيجة لملاحقتها بالشبك والأسلحة المتقدمة، ومن الثدييات انقرض فى القرنين نفسهما حوالى ٤٠ نوعاً . . واختفاء الحيوانات يكون بقتل أو صيد مجموعة منها لدرجة تصبح أعدادها قليلة جداً لا تقدر على استمرار التكاثر.

وتتخلص أسباب قتل الإنسان للحيوانات إما للحصول على الغذاء أو الكساء أو لتوفير بيئة جديدة له ولحيواناته الأليفة، أو لمجرد ممارسة رياضة الصيد. وقد ساعد على انقراض الكثير من حيوانات البر انتشار الأسلحة النارية الأتوماتيكية، واستعمال السيارات ووسائل النقل الحديثة فى مطاردة الحيوانات خلال الليل أو فى النهار.

ومن الحيوانات التى انقرضت ، أو التى فى طريقها إلى الانقراض من بعض أجزاء الوطن العربى، الأسد والفهد الأسيوى والقط الوحشى والضويحى العربى والأيل الأحمر والأيل العراقى والغزال العربى والنعامة العربية والحبارى وبعض الطيور الجارحة كالعقاب المبقع وملك العقبان، هذا فى الشرق العربى.

أما فى المغرب العربى فانقرض دب جبال الأطلس والأيل الأحمر البربرى والكبش الروى، وفى الصومال يهدد بالانقراض الآن كل من الضبع المخطط والضبع المبقع والأسد والفهد وأنواع الغزلان، وذلك بسبب استنزاف المراعى من قبل الحيوانات الأليفة التى تربى هناك.

والكثير من الحيوانات فى بقاع من العالم قد انقرضت أو مهددة بالانقراض كالجواميس الأمريكية والغزلان، وبعض أنواع الحيتان - الحوت الأزرق - فى طريقها للانقراض نتيجة للمبالغة فى اصطياد أفرادها.

ولحسن الحظ قد تنبه الإنسان إلى الخطر المحدق بالحياة الحيوانية، فسن القوانين الصارمة لحمايتها وخصصت مناطق واسعة من الأرض وحولت إلى محميات تجد فيها الحيوانات فرصتها للتكاثر بالشكل الطبيعى.

وتعتبر محميات (كينيا) من أكبر المحميات فى العالم، كما عقدت اتفاقيات بين بعض الدول من أجل التعاون لحماية أحياء البر والماء.

والتربة مورد متجدد من موارد البيئة يستثمره الإنسان فى إنتاج محاصيل زراعية متنوعة، إلا أنها لم تنج من محاولات الإنسان لاستدرارها كزراعة نوع واحد من المحاصيل باستمرار ولمواسم متتالية، أو عدم اتباع دورات زراعية، أو عدم تنظيم المخصبات ومياه الرى، هذه الممارسات وغيرها تؤدى إنهاك التربة وجدبها.

المبحث الرابع

مشكلة التصحر:

التصحر يعنى : تدهور القدرة الإنتاجية للأرض فتصبح غير صالحة للزراعة. وهو مشكلة عالمية تلقى بظلها على سكان العالم كافة على صورة نقص فى الغذاء وتغيير فى المناخ العالمى[1].

والتصحر كارثة طبيعية تمتد آثارها لتصبح كارثة اجتماعية تهدد المجتمعات البشرية.

ولم يعد الجفاف هو العامل المسئول عن مشكلة التصحر، ولكن السبب الرئيسى للتصحر هو سوء إدارة الأراضى واستنزافها ، فقد تدهور الغطاء النباتى نتيجة للرعى والاحتطاب ودخول وسائل النقل الميكانيكية إلى الأراضى الصالحة للزراعة والرعى[2] حيث فقدت البيئة كثيراً من النباتات التى تغطى سطحها بسبب الرعى والاحتطاب.

وكذلك بسبب شق طرق لوسائل النقل المختلفة داخل الأراضى الزراعية مما يقضى على الغطاء النباتى للأرض التى عليها هذه الوسائل. كما أن انتشار التصحر يرجع فى أساسه إلى سوء استغلال الإنسان لبيئته واستخدام الموارد المائية والنباتية بصورة غير علمية.

وتقدر مساحة الأراضى الزراعية التى يفقدها العالم نتيجة لتصحرها، أوتحويلها إلى أغراض غير زراعية بسبب التوسع العمرانى أو الصناعى ما يعادل ١١ مليون هيكتار سنوياً، حيث يدل هذا الرقم على أن التصحر أصبح مشكلة

---

(١) محمد سعيد صبارينى - مرجع سابق - ص ٢٣١.
(٢) عبدالحكيم بدران - مرجع سابق - ص ٤١.

عالمية يفقد على إثرها العالم مساحات هائلة من أرضه الصالحة للزراعة، مما ينعكس سلباً على البيئة.

وتشير الإحصائيات إلى أن مساحة الأراضى الصحراوية والمناطق شبه القاحلة الآن ١٨ مليون ميل مربع من أصل مساحة اليابس للكرة الأرضية والتى تبلغ حوالى ٥٤ مليون ميل مربع أى ما يعادل ٣٣٪ من مساحتها[١] وتقدر الخسائر الاقتصادية بنحو ٢٦ بليون سنوياً بسبب التصحر.

ومكافحة التصحر تتم بتحسين تقنيات الزراعة لكى تسهم هذه التقنية فى زيادة رقعة الزراعة بصورة ميسورة ومنتجة ، وضبط الرعى بتحديد أماكن وأزمنة له وحتى لا يكون عشوائياً، ووقف زحف الرمال، والاستعمال المثمر للمياه باستغلال الأمثل والمنظم الذى يزيد من مساحات الأراضى، والمحافظة على الغابات[٢].

---

(١) أحمد إبراهيم شلبى – البيئة والمناهج المدرسية – الرياض – مؤسسة الخليج العربى – ١٩٨٤ – ص ٣٩.
(٢) سعد هاشم محمد العليانى – نحو منظور إسلامى للتربية البيئية – رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية التربية- جامعة أم القرى – ١٤١٧هـ – ص٧٨.

المبحث الخامس
مشكلة انقراض العديد من الأنواع الحيوانية والنباتية

يعرف الانقراض على أنه حالة انتهاء حياة نوع معين من الكائنات الحية، وذلك عندما يتم موت آخر فرد من هذا النوع[1] ، والأسباب التى تؤدى إلى انقراض أو انخفاض أعداد الكثير من الحيوانات البرية والبحرية كثيرة. منها استعمال المبيدات لأغراض مختلفة، مما يؤدى إلى تسمم بعض الحيوانات بهذه المبيدات وبالتالى موتها، والصيد الجائر، وحركة النقل التى تقضى وسائلها على كثير من الحيوانات. واستخراج المواد من باطن الأرض أو قاع البحر، والتى يتطلب استخراجها استخدام آلات متنوعة تقتل بعض الأحياء أثناء استخراج هذه المواد ، وكذلك فإن تغيير معالم الأنظمة البيئية عن طريق الإنشاءات المتنوعة يؤدى إلى القضاء على بعض الحيوانات، وتشريد بعضها الآخر من مسكنها.

فقد أصبح حوالى ٢٥ ألف من النباتات مهدد بالانقراض، وأيضاً حوالى ٢٠٠ نوع من الثديات و ٣٥٠ نوعاً من الطيور أصبحت معرضة للانقراض.

هذا خلاف الأنواع الكثيرة التى انقرضت ، وتواجه أسماك البحار وحيواناتها موتاً مروعاً بسبب الصرف الصحى والنفط الذى ينسكب فى البحار.

والتغلب على هذه المشكلة ليس بدعاً مما قلناه فى الفصل الثانى بضرورة حماية عناصر البيئة بما فى ذلك الحيوان والنبات، وقتل هذه الحيوانات واقتلاع النباتات هو إفساد فى الأرض على نحو ما سيرد توضيحه فى الفصل الرابع.

---

(١) إحسان على محاسنة - البيئة والصحة العامة - عمان - دار الشروق - ١٩٩٢م - ص٤٥.

المبحث السادس
قضية طبقة الأوزون بين إفساد البشر وتوازن الكون

خلق الله - عز وجل - كل شيء في هذا الوجود بقدر محدد، بحيث لا يطغى عنصر من عناصر الطبيعة على آخر، وبحيث لا تتعرض النظم الكونية إلى أي اضطراب أو خلل يتسبب في انهيارها أو قصورها عن أداء مهامها التي أرادها لها الباري جل وعلا وصدق الحق حين يقول في محكم كتابه الكريم﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر] .

غير أن تدخل الإنسان في النظم الكونية - سواء عن قصد أو دون قصد منه- أدى إلى التأثير في وظائف بعض هذه النظم، وهو أمر جد خطير لأن المخاطر الناتجة عن هذا التدخل ستنعكس سلبياً على الإنسان نفسه، بل وعلى كافة المخلوقات التي أوجدها الله في الأرض .

هذا التدخل يعد ضرباً من الفساد الذى أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿٤١﴾ ﴾[الروم] .

الغلاف الجوى للأرض :

يحيط بكوكب الأرض غلاف جوى سميك ، يشارك الأرض في دورانها الدائم، وهو يتكون بشكل رئيسى من ثلاثة غازات هى: النيتروجين (٧٨,٠٩٪) والأكسجين (٢٠,٩٥٪) والأرجون (٠,٩٣٪) ، والنسبة القليلة الباقية التي تبلغ ٠,٠٣٪ فقط تمثل ثاني أكسيد الكربون وآثاراً من غازات الهيليوم والهيدروچين والكريبتون والميثان والنيون والزينون والأوزون ، ويتجمع نحو ٨٠٪ من الغازات السابقة في طبقة تعرف باسم التروبوسفير Troposphere أي الطبقة اللصيقة بسطح الأرض .

وتعيش فى هذه الطبقة جميع الأحياء الأرضية، وتحدث فيها أغلب الظواهر الجوية مثل تكون السحب، والضباب، والعواصف، والرياح، والثلوج، والمطر، ويصل ارتفاع طبقة التروبوسفير من ١٠ إلى ١٥ كيلو متراً فوق سطح الأرض، إلا أن هذا الارتفاع ليس متساوياً فوق كل أجزاء الكرة الأرضية، حيث يقل ارتفاعها فوق القطبين الشمالى والجنوبى، ويزداد فوق خط الاستواء ويوجد فى هذه الطبقة غاز الأوزون عند مستوى سطح الأرض بنسبة ضئيلة جداً تتراوح بين ١٠-٣٠ جزءاً فى كل بليون جزء من الهواء ويتغير تركيز الأوزون تغيراً كبيراً كلما ارتفعنا عن سطح البحر، كما تتفاوت كمياته وفقاً لمواسم الطقس ومدى البعد، أو القرب من خط الاستواء، ويتركز معظم الأوزون الموجود فى الغلاف الجوى فى طبقة تعرف باسم الأستراتوسفير Stratosphere، وتعلو هذه الطبقة طبقة التروبوسفير، وهى تمتد إلى ارتفاع ثمانين كيلو متراً فوق سطح الأرض.

ورغم أن سمك طبقة الاستراتوسفير يصل إلى عشرات الكيلو مترات فإن عدد ما بها من جزيئات الأوزون لا يتجاوز عدد جزيئات الهواء الموجودة فى طبقة سمكها ثلاثة مليمترات من الهواء الذى نتنفسه على سطح الأرض، وذلك نظراً للانخفاض الشديد للضغط فى طبقات الجو العليا، ونستطيع أن نتخيل طبقة الأوزون كبالونة هائلة تحيط بالكرة الأرضية على ارتفاع ٣٠ كيلو متراً[١].

ما المقصود بغاز الأوزون ؟

الأوزون غاز عديم اللون نفاذ الرائحة، وهو يتكون من اتحاد ثلاث ذرات من الأكسجين ، وهذا الغاز سام للإنسان والحيوان والنبات على السواء، وهو أكثر سمية من مركبات السيانيد والاستركينين وأول أكسيد الكربون.

ومن لطف الله بعباده أنه لا يوجد عادة عند سطح الأرض بتركيزات مسببة للضرر، بيد أن التلوث الناجم عن حركة مرور السيارات فى المدن المزدحمة

(١) محمد عبد القادر الفقى - مرجع سابق - ص ١٦٧.

يؤدى إلى زيادة تركيزه وتتراوح نسبته فى المناطق الخالية بين ٠٢, ٠، ٠٣, ٠ جزء فى المليون، فى حين تزداد نسبته إلى ٥, ٠ جزء فى المليون فى المدن الصناعية المزدحمة بالآليات والسيارات.

والأوزون ذو فعالية فى إبادة الجراثيم وقتل البكتريا والفيروسات والطفيليات. ولهذا السبب فإن عدة دول تفضل استخدامه فى معالجة مياه الشرب والمياه الصناعية ومياه المجارى، وفى تعليب الأسماك وتعقيم المأكولات وهو بالكميات التى قدرها الله له وقد لا يخفى أن طبقة التربوسفير تعد عاملاً منظفاً للبيئة، ولكن زيادة نسبة هذا الغاز عن الحد المقرر لها تحوله إلى عامل ضار ومتلف ، حيث يتسبب أنئذ فى تدمير الحياة بشتى صورها.

ويتولد الأوزون فى الغلاف الجوى بطريقتين:

الأولى : بوساطة عمليات التخلل الكيميائى الجزيئى لغاز الأكسچين الموجود فى طبقة الاستروواتوسفير.

والأخرى : عن طريق تأثير الشحنات الكهربائية الموجودة فى السحب أثناء حدوث البرق.

وفى الوقت الذى يتولد فيه غاز الأوزون فى الغلاف الجوى فإنه يتعرض أيضاً لعملية تدمير طبيعية نتيجة لامتصاصه للأشعة فوق البنفسجية التى ترد إلينا من الفضاء وتحدث عمليات التوليد والتدمير باستمرار.

لكن شاءت حكمة الخالق - عز وجل - أن تكون كلتا العمليتين متساويتين فى المقدار، وبذلك تظل كمية الأوزون فى الغلاف الجوى ثابتة - صنع الله ومن أحسن من الله صنعاً - وصدق الحق حين يقول فى كتابه الكريم: ﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ** ﴿١٩﴾ ﴾[**الحجر**].

إن هناك تعادلاً وتوازناً بين عمليات تدمير الأوزون فى طبقة الأستراتوسفير وبين عمليات تكونه طبيعياً، وهو بذلك يكون فى حالة استقرار دينامكى، حيث تساوى سرعة تكوينه سرعة زواله.

ومثل هذا التوازن الديناميكى يعتبر ناموساً كونياً ، ومن شأن النواميس الكونية أن تحافظ على الوجود، وعلى استقرار العلم واستمرارية الحياة، غير أن الملوثات البيئية التى تسبب فيها الإنسان أدت إلى تغيير هذا التوازن ، وهو أمر أدى إلى نشوء مشكلة الثقب الأوزونى فوق منطقة القارة القطبية الجنوبية.

مخاطر الثقب الأوزونى :

لقد خلق البارى - عز وجل - طبقة الأوزون بقدر محكم دون تفاوت، كى يدوم فعلها ما دامت السماوات والأرض، وهذه الطبقة هى بمثابة السقف المحفوظ الذى تشير إليه الآية الكريمة التالية: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنبياء].

ولو أن هذا الدرع الواقى ضعف لأى سبب من الأسباب فإن عواقب ذلك ستكون سيئة على الأحياء التى تدب على سطح الأرض، أو تسبح فى مياه المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار، أو تطير فى الجو.

ويرى العلماء أن النتائج التى يمكن أن تتمحض عن الثقب الأوزونى ستكون رهيبة ومؤلمة ، وبخاصة إذا استمر الثقب الحالى فى الاتساع، إذ سوف يتسرب قدر كبير من الأشعة فوق البنفسجية إلى سطح الأرض.

إن الخطر الذى يهدد البشر هو أنه عندما تكون طبقة الأوزون الإستراتوسفيرية رقيقة فإن نفاذ الأشعة فوق البنفسجية ووصولها إلى سطح الأرض سوف يزداد ، وهو أمر سيؤدى إلى تزايد انتشار الأمراض السرطانية وبخاصة سرطان الجلد.

ولو حدث أن نقص سمك طبقة الأوزون بمعدل١٪ فقط فإن الأشعة فوق البنفسجية ستزيد كمياتها التى تصل إلى سطح الأرض بمعدل ٢٪، وسوف يزداد، نتيجة لذلك معدل الإصابة بسرطان الجلد بمقدار٤٪.

وتقدر الوكالة الأمريكية لحماية البيئة أن الزيادة فى عدد حالات سرطان الجلد نتيجة الثقب الأوزونى الناجم عن تأثير مركبات الكلورفلوروكربون

وحدها سوف تبلغ ٤٠ مليون حالة فى الولايات المتحدة الأمريكية فقط قبل انقضاء أربعين عاماً.

كما أن زيادة تسرب الأشعة فوق البنفسجية - بسبب الثقب الأوزونى - ستؤدى أيضاً إلى الإصابة بالحروق الشمسية والعمى الجليدى Snow Blindness والشيخوخة المبكرة وتجعد الجلد وأمراض العيون ، وبخاصة مرض السد العينى Cateract (وهو عبارة عن عتمة تصيب عدسة العين البلورية وستودى أيضاً إلى تشوه الأجنة وإضعاف جهاز المناعة فى جسم الإنسان).

ومن ناحية أخرى فإن الأشعة فوق البنفسجية التى تصل إلى سطح الأرض من الثقب الأوزونى تكون ذات طاقة عالية تكفى لتحطيم جزيئات بيولوچية مهمة فى جسم الإنسان، بما فيها حامض (د.ن.أ) D.N.A المسئول عن نقل الصفات الوراثية وتحطيم مثل هذه الجزئيات سيؤدى إلى هلاك مجموعات كبيرة من البشرية.

وبالإضافة إلى تأثير الأشعة فوق البنفسجية على الإنسان فإنها ستؤثر تأثيراً مميتاً على العضويات البسيطة مثل الطحالب، والبكتريا، والأوليات (البروتوزوا) Protozoans التى تتغذى عليها الإسماك ، والتى تقوم عليها نظم الغذاء البحرية، وتتسبب أيضاً فى تدمير يرقات الأسماك التى تعيش قريباً من سطح المحيط، وتتلف الخلايا السطحية للحيوانات الراقية.

ويعتقد العلماء استناداً إلى أبحاث معملية وإحصاءات علمية: أن ازدياد الأشعة فوق البنفسجية المارة من الثقب الأوزونى من شأنه أن يزيد من خسائر الحاصلات الزراعية.

فقد أجريت اختبارات على ٢٠٠ نوع من النبات لقياس حساسيتها تجاه هذه الأشعة وتبين أن ثلثى هذا العدد تأثر بها حيث تباطأ معدل النمو فشلت حبوب اللقاح فى إحدى الإنبات ويعتقد أن الأشجار والأعشاب - بشكل

خاص- سوف تضر بشدة من جراء ارتفاع مستويات الأشعة فوق البنفسجية التى تتسرب من ثقب الأوزون.

وبالإضافة إلى ذلك فإن زيادة تدفق الأشعة فوق البنفسجية صوب سطح الأرض ستكون لها أضرار اقتصادية كبيرة. فهذه الأشعة تتسبب فى تقشر الطلاء وتغير ألوانه، فتصبح دهانات أسقف السيارات سهلة التقشر كما لو أنها كانت طباشيرية، أما زجاج النوافذ فإن لونه يميل إلى الإصفرار. كما أن زيادة تسرب الأشعة فوق البنفسجية تؤدى إلى حدوث (الضباب الدخان) Smog والأمضار الحمضية.

وسوف يؤدى الثقب الأوزونى إلى حدوث تغيرات كبيرة فى مناخ الأرض وارتفاع درجة الحرارة فى العالم، وكذلك ارتفاع منسوب مياه المحيطات وهو أمر يهدد بغرق عدة مدن ومناطق ساحلية فى بقاع شتى بالعالم، وإن كانت الدراسات حول ذلك غير مؤكدة.

المبحث السابع

قضية سوء استخدام التقنية الحديثة :

مما لا شك فيه أن للتقدم الحضارى والصناعى والتقنى أثره الواضح فى رفاهية الإنسان وتسهيل سبل حياته، إلا أن الإنسان قد بدأ يدفع ضريبة باهظة لكل ذلك التقدم. . فأخذ يلوث البيئة ويساعد فى إفساد عناصرها وعدم اتزانها، فالتقدم والتقنية الهائلة التى توصل إليها كان لها آثار بالغة الخطورة على البيئة الطبيعية.

فانطلاق الأبخرة والغازات الضارة إلى جانب إلقاء النفايات المعلبة والسائلة، كل ذلك أدى إلى اضطراب فى السلاسل الغذائية لجميع الكائنات الحية، وأخذ الإنسان للأسف فى أكثر الأحيان يستخدم كثيراً من المخترعات فى إفناء البشرية. ففجر القنابل الذرية فى الحرب العالمية الثانية، ولا زال الكثير من البشر يعانون من تلك الآثار، ولا زال الإنسان فى عملية الاختراع لهذه الأسلحة الفتاكة يطورها يوماً بعد يوم، ودائماً ما يقوم بإجراء التجارب لهذه الأسلحة، فاخترع القنبلة الهيدروچينية، إلى جانب استخدامه للطاقة النووية فى توليد القوى الكهربائية، حيث يواجه مشكلة التخلى عن الفضلات النووية الخطرة على صحة الإنسان وجميع الكائنات الحية.

وكذلك احتمالات حدوث تسرب المواد الإشعاعية من المفاعلات النووية، وهذا بدوره يؤدى إلى إصابة البيئة بأخطر أنواع التلوث.

هذا إلى جانب استمرار الإنسان فى بناء مصانعه الصغيرة دائماً والكبيرة أحياناً بالقرب من المدن ، دون مراعاة لوسائل السلامة الضرورية ، ودون تخطيط لما ستكون عليه المدن مستقبلاً من امتداد وزيادة فى العمران.

وعلاج ذلك يكون باستخدام وسائل التقنية الحديثة استخداماً رشيداً من منطلق أن عناصر البيئة إحدى نعم الله تعالى علينا، التى لا ينبغى الإفراط والتفريط فى التعامل معها، لأن كلا الأمرين يحدث خللاً فى هذه العناصر التى أشرنا إليها فى الفصل الأول.

المبحث الثامن

قضية نقصان الموارد الحالية من منظور إسلامى :

تقول الدراسات الإحصائية إن الإنسان اليوم على أبواب مجاعة عالمية، وقد بدأت تتفشى بالفعل فى بعض بلدان العالم الثالث. . فموارد الأرض لن تكفى لإطعام الإنسانية فى القرن الواحد والعشرين حيث من المتوقع أن يصل تعداد البشرية إلى ثمانية مليارات نسمة، وقد تجاوزت حتى الآن خمسة مليارات فرد.

ومن موقع إيمانى واستناداً إلى معطيات العلم والواقع وما يقوله العقلاء من علماء البيئة نقول : إذا احترم الإنسان نواميس الخالق فى خلقه فلم يفسد فى البيئة براً وجواً وبحراً، ولم يسرف فى استهلاك مواردها وطاقاتها ، وإذا سخر مئات المليارات من الدولارات التى ينفقها سنوياً على صناعة الأسلحة والتدمير وعمل فى سبيل تحسين مكامن الطاقة التى وضعها المولى فى الشمس والأرض والمياه والهواء والمخلوقات واستغلالها، وصل إلى خير ما قدر للإنسانية، ففى أرضنا ما يكفى لإطعام كل فرد من أفراد البشرية بالغاً ما بلغ تعدادها من أفراد[1].

حاشا للحى القيوم القائم على تدبير شئون الخلق، والذى قدر أقوات الأرض لجميع مخلوقاته، أن لا يجعل فى الأرض ما يكفى لإطعام خلقه. . وكيف لا وهـــو القائل فى محكم كتابــه ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا. . ﴿٦﴾ ﴾[هود].

﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود]. وإنما جشع الإنسان وعدم التزامه بالقوانين الإلهية التى وضعها الخالق لحفظ

---

(١) عدنان الشريف - من علوم الأرض القرآنية والثوابت العلمية فى القرآن الكريم - بيروت - دار العلم للملايين - ب. ت - ص ١٣٨.

البيئة وسلامتها هو الذى أوصل الإنسان إلى ما هو عليه اليوم من فساد فى بيئة الأرض وتدمير لمواردها وتناقص خيراتها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا.. ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

والمعيشة الضنكى أى الشديدة، سواء كانت مادية أم نفسية، إلا الذين اهتدوا وعقلوا والتزموا المنهج الإسلامى-وفيه سعادة الإنسانية التى يتخبط معظم أفرادها فى دياجير الجهل والفقر والقلق والتعاسة ﴿جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ].

المبحث التاسع

قضية صحة المجتمع فى المنظور الإسلامى :

المجتمع وصحة البيئة فرع من فروع العلم الحديثة ينمو كل يوم بما يضاف إليه من المعارف.

ويجدر بالمسلم أن يتذكر: أن كل ما هو ضار بصحة الإنسان ينبغى اجتنابه وهذا المفهوم قابل للتطبيق بالنسبة لأى فعل من الأفعال المؤذية التى لم ترد فى القرآن أو السنة.

والوصول بصحة المجتمع والبيئة إلى مستوى عال، يعتمد على طبيعة التفاعلات بين المصادر الطبيعية واتجاه الأفراد وتصرفاتهم فى بيئة معينة وعلى كفاءة السياسة البيئية . . وصحة الإنسان وصالحه يجب أن يكونا محور الهدف، ونتائج كل الأنشطة الإنسانية المتعلقة بالبيئة.

والأرض هى أثمن المصادر الطبيعية قاطبة (غابات، مزارع، محيطات، بحار، بحيرات، أنهار، جبال ، باطن الأرض) وهذه المصادر الطبيعية هى دعائم الحياة للإنسان.

وإذا ما أصبح الإنسان والبيئة وحده، ووجد التفاعل الحركى بينهما، فإنه يتعين إجراء المزيد من الدراسات حول نشاطه المرتبط ببيئته وبقوانين الطبيعة.

والتلوث بأى صورة يؤثر فى صالح الإنسان بصورة كلية، وأغلب مشاكل التلوث التى يعانى منها الإنسان هى من صنع يده. وإذا لم تتخذ القرارات الحكيمة بالنسبة للموضوعات المتعلقة بالبيئة ، فإنه من المتوقع أن تفشل البيئة فى دعمها للإنسان.

ويعتبر السد العالى بأسوان مثالاً على سوء التخطيط ، وربما تحقق الغرض الرئيسى للمشروع، ولكن السلبيات التى نتجت عنه تشكك فى الإنجازات التى

حققها، والذى يعنينا فى دراستنا الوقوف على تأثير السد العالى على إنتاج السردين كمصدر بروتين، وزيادة انتشار مرض البلهارسيا كمشكلة صحية.

وقبل بناء السد العالى كان السردين متاحاً كوجبة رخيصة جداً فى متناول العائلات دون المتوسطة والفقيرة، وبعد بناء السد العالى ارتفع ثمن السردين محطماً كل أسعار السلع بعد التضخم، وأصبح بمثابة سلعة ترفيهية، ورغم أن البحيرات التى تكونت خلف السد تعد مصدراً غنياً بالأسماك إلا أن مستوى استثمار البحيرة كمصدر للبروتين لم يزل غير كاف لتغطية حاجات البلاد حتى الآن[1].

ومن ناحية ثانية.. أثر تحول نظام رى الأراضى من رى الحياض إلى الرى الدائم فى دورة حياة طفيل (البهارسيا). والبلهارسيا مرض وبائى مستوطن فى مصر يسبب خسائر اقتصادية جسيمة، وما يعنينا هو التأثير السيىء للإنسان على البيئة، والذى من شأنه أن يقلل من موارد المجتمع، ومن مستوى الصحة البيئية.

إن استخدام هذا الماء فى الاغتسال .. يعد مرحلة حيوية بالنسبة لدورة حياة البلدان الإسلامية مثل السعودية واليمن .. إلخ.

وربما اتبع المسلمون ما جاء فى حديث الرسول ﷺ الذى يتضمن النهى عن التبول فى الماء الراكد عند تلمس الماء للوضوء، أو الاغتسال فقط.

ولكننا نرى أنه من الواجب أن يفهم الحديث على أنه تعميم أوسع فى مجال غير ذلك. فطالما أن حديث الرسول ﷺ ضمن نهياً صريحاً، وأن العلم يؤكد الآثار الضارة الناجمة عن فعل ذلك فإنه يتعين أن يحاط الناس علماً بالحقائق.

(١) عائدة عبدالعظيم البنا - الإسلام والتربية الصحية - الرياض - مكتبة التربية العربى لدول الخليج - ١٩٨٣م - ص١٥١.

وفضلاً عن ذلك فإن العلم لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية التى تحث المسلمين على اجتناب كل ماله تأثير ضار على صحتهم وحياتهم.

ولقد ثبت أن جسم الإنسان يحتوى على المعادن والماء، بنسبة مئوية موازية لنسبة تواجد هاتين المادتين فى التربة. وبدفن الموتى فإن بكتريا التحلل تجد المجال لإعادة المكونات الطبيعية إلى سيرتها الأولى.

وتحقيق العلاقة المتوازنة بين الإنسان ونظم البيئة يعد إنجازاً صعب المنال ويجب أن تبنى الدراسات التى تجرى فى مجال الإنسان، وصحة البيئة على أن الصحة تعتمد على تفاعل ، وتداخل عدد كبير من المتغيرات، التى ينبغى فهمها كنظام متكامل وليست كأجزاء متفرقة. وكل كائن حى عدا الإنسان له دور فى البيئة المحيطة به، ويحاول الإنسان جاهداً أن يكتشف تلك الأدوار.

ويحث الإسلام المسلمين على اكتشاف ما خفى عن علمهم كما جاء فى الآية الكريمة: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾**﴾[الرحمن].

وتأسيساً على هذا المفهوم يمكننا أن نفسر اهتمام الإنسان باكتشاف الكون ودراسته، ومن أجل هذا فقد تم تخصيص أجهزة أكثر تطوراً وتعقيداً لتحقيق اهتمامات الإنسان وإرضاء شغفه بالمعرفة. فبالاستعانة بالميكروسكوبات والكاميرات المزودة بعدسات صوتية، وغير ذلك استطاع الإنسان أن يلم بصورة أفضل بحياة الكائنات الأخرى، أو الظواهر التى يمكن أن تؤثر على صحته وصالحه.

وعلى الإنسان أن يحسن معاملة كل المخلوقات طالما أنها لم تسبب له أى أذى، وهذا يعنى معاملة باقى المخلوقات بالرفق. ومن بين هذه الكائنات الكلب وقد حدد الإسلام علاقة الإنسان بالكلب فى حديث الرسول. فقد نهى صلوات الله وسلامه عليه المسلمين عن أن يحتفظوا بالكلاب داخل بيوتهم، وأكد على ضرورة غسل الأوانى إذا لعقها الكلب سبع مرات أولها بالتراب.

والكلاب والقطط مثلها مثل كل الحيوانات المنزلية الأليفة لها ميل شديد إلى مشاركة مربيها فى كل شيء.. والطريقة التى تنظف بها أجسامها تجعل منطقة الفم والأنف لديهما مكاناً تكثر فيه الطفيليات.. والكلاب أو القطط تعد عاملاً أساسياً للعديد من الطفيليات. وتظهر الكلاب إحساسها بالحب عن طريق اللعق وهنا يكمن الخطر.

والدودة الشريطية (Echincocccus grnlosus) نوع من الطفيليات يمكن أن تنقله الكلاب إلى الإنسان وحسب شرح (Lapage) فإنه عندما يبتلع الإنسان بيض دودة (Hydatid) يتحول ثانية إلى يرقات، والتى يطلق عليها أكياس (Hydarid) المليئة بسائل يحتوى ليس فقط على رأس واحدة للدودة الشريطية بل على العديد من الرؤوس. وعندما تكون هذه الأكياس كبيرة فإنها تحتوى على ما يقرب من مليونين منها، ومكمن الخطورة على الصحة يتمثل فى حقيقة أن أكياس (Hydarid) قد توجد فى أى عضو من أعضاء الجسم.

ولكن الكبد هو أكثر أعضاء الجسد تعرضاً للإصابة بها .. ولقد عدد (Lapage) تلك الأعضاء والمناطق، مثل الرئتين وتجويف البطن وتحت الجلد والطحال والعظم والمخ، وتكبر هذه الأكياس خلال مدة عشرين عاماً مسببة تلفاً فى الأنسجة أو العظم أو تمنع إمداد الدم عن العضو التى تتواجد فيه وتضغط على الأنسجة التى توجد بها، ولقد ذكر (Lapage) أنه من المحتمل أن يظل مع لعاب الكلاب بعض البيض فإن الأطباق التى نأكل فيها، وإذا ما استخدم الإنسان هذه الأطباق قبل أن يحسن غسلها فإن الشخص قد يتناول مع طعامه بيض الدودة الشريطية العالق بها[1].

(١) عائدة عبدالعظيم البنا - المرجع السابق - ص ١٥٢.

والغسل الصحيح هو سبع مرات أولها بالتراب كما ذكر الرسول ﷺ وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يسعى لتعليم أتباعه احتياطات الأمان بصفة عامة، وكما آمن بمشيئة الله فقد آمن بضرورة أن يسعى الفرد قدر طاقته لتحمل مسئوليات تجاه تحقيق السلامة والأمان.

وفى الواقع فإن معظم الحوادث تقع نتيجة إهمال الأفراد. . وحتى نقلل من وقوع الحوادث يجب أن يزيد الإنسان من الحذر.

الخطأ البشرى :

والحذر والعلم بالحقائق وفهم الأساليب الصحيحة لمنع وقوع الحوادث، والتى تنمى عادات الاحتياط للأمان، تعتبر أموراً أسياسية فى مجال منع الحوادث. والإلمام بالظروف التى قد تؤدى إلى وقوع الحادثة يعد أمراً رئيسياً فى بناء المعرفة التى تقودنا إلى الأحكام المنطقية. والحقائق والعوامل التى تسهم فى وقوع الحوادث هما أساس أى برنامج تربوى يستهدف منع وقوع الحوادث وفوق ذلك كله تأتى تنمية عادات السلامة.

ولقد حث الرسول ﷺ على إماطة الأذى من الطريق ، ومنذ أربعة عشر قرناً كانت حوادث الطريق ترجع إلى العوائق الطبيعية أو السطو، ولهذا فقد حث الرسول ﷺ قومه على إزالة الأذى عن الطريق.

واليوم أصبحت حوادث الطرق ذات طبيعة مختلفة، ونظراً للتقدم الهائل فى وسائل المواصلات وزيادة السكان فقد أصبحت الكوارث أكثر حدوثاً والخسائر أكثر توقعاً.

من أجل هذا فإننا فى حاجة إلى إدراك أكبر لبناء الوعى الكامل بمثل هذه الظروف التى تؤدى إلى وقع الحوادث.

وهناك حاجة ماسة لتقلين الناس إجراءات تأمين المرور فى الكثير من الدول النامية، حيث تتزايد احتمالات التعقيدات التى تلى وقوع الحادث بسبب البطء فى نقل المصابين، وضعف إمكانيات نظم الإسعافات الطارئة، وعدم كفاية المستشفيات.

والنار قد تضر الإنسان، وخسائر تصل إلى درجة هائلة، وقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين الأوائل باطفاء النيران والأنوار قبل الخلود إلى النوم، ويمكن أن يفسر هذا الأمر بأن القصد منه هو عدم ترك أى نار موقدة دون إشراف. وينطبق هذا الأمر إلى حد كبير على المجتمعات الريفية حيث تنتشر حوادث النيران التى تأتى على كل ما يمتلكه الفلاحون نظراً للطريقة التى تبنى بها البيوت، ولضآلة الإمكانيات التى يمكن أن تسهم فى حصر منطقة الحريق.

وفى الحقيقة، فإنه من الشائع فى الدول النامية أنه إذا شب حريق فى أحد منازل القرية فإن حرق كثير من المنازل احتمال كبير للغاية.

ومن بين إجراءات الأمان التى أمر بها الرسول ﷺ قومه بتغطية الآوانى حماية للطعام من التسمم، والتلوث، اللذان قد يحدثان نتيجة التخزين، الأمر الذى يمكن كائنات أخرى من الوصول إلى الطعام.

وغلق أبواب المنازل لا يهدف فقط إلى تحقيق الخصوصية، ولكنه يحول أيضاً دون وقوع الجريمة.

ويرى خبراء احتياطات الأمن، أن السعى لمنع الحوادث ليس كافياً لتلافى الخسائر فى الممتلكات والأرواح وأن ما ينبغى عمله عقب وقوع الحوادث مهم جداً للوصول إلى هذا الهدف.

لقد وضع الإسلام الخطوط العامة لمجتمع صحى وبيئة صحية. ولم يكن من المستطاع آنذاك تفصيل الأمر أكثر من ذلك.

إن الناس كانوا يحيون فى ذلك الزمان حياة بسيطة لا تعقيد فيها، وبعد أربعة عشر قرناً من الزمان تغير شكل الحياة وتزايدت المخاطر.

ويقدر الإسلام قيمة الصالح العام للإنسان، ولذا فإن التوسع فى الخطوط الإسلامية المرتبطة بصحة المجتمع والبيئة لا يعد خرقاً للمفاهيم الإسلامية، بل يعد فى الحقيقة عملاً حسناً إذ من شأنه أن يمد الإنسان بالحماية، ويبقى على صحته وأمنه داخل البيئة التى يعيش فيها.

صحة المجتمع وتجنب العدوى البيئية :

لقد ورد فى سنة النبى ﷺ - التى صحت عنه - أحاديث يبدو فى ظاهرها التعارض؛ مما حدا بأعداء السنة إلى إنكار ذلك قديماً وحديثاً:

وأهم هذه الأحاديث التى وردت فى باب العدوى قوله ﷺ:

١ - «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**» فقال أعرابى يارسول الله : فما بال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيجىء البعير الأجرب، فيدخل ، فيجربها كلها. قال«**فمن أعدى الأول**»؟ رواه الشيخان واللفظ لمسلم[١].

٢ - «**لا يورد ممرض على مصح**» أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم[٢].

٣ - «**لا عدوى ولا طير ولا هامة ولا صفر .. وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**»[٣].

٤ - عن عمرو بن الشريد قال: كان فى وفد ثقيب رجل مجذوم ، فأرسل إليه النبى«**إنا قد بايعناك فارجع**»رواه مسلم[٤].

٥ - عن جابر رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ أخذ بيده فأدخله معه فى القصعة ثم قال: «**قل باسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه**»[٥].

ومن ظاهر هذه الأحاديث يتوهم التعارض بين قوله ﷺ :« **ولا عدوى**» وقوله «**لا يورد ممرض على مصح**».

وسوف نناقش هنا هذا التعارض المدعى، لنبين أن هذه الأحاديث تحمل بذاتها أدلة على إعجاز السنة المطهرة.

(١) فتح البارى ١٠ ، ٢٤١ - صحيح مسلم ٤، ١٧٤٢ - ص١٠١.

(٢) فتح البارى ١٠ ، ٢٤١ - صحيح مسلم ٤، ١٧٤٣ - ورواه أبو داود.

(٣) رواه البخارى فى الطب عن أبى هريرة رضى الله عنه - انظر فتح البارى ١٠، ١٥٨.

(٤) صحيح مسلم ٤ ، ١٧٥٢ - ص١٢٦.

(٥) رواه الترمذى فى كتاب الأطعمة - ٤، ٢٦٦ - ص ١٨١٧ - وقد رواه أبو داود وابن ماجه أيضاً فى الطب . .

أسباب العدوى والمرض (أقسام وأسباب المرض فى الإنسان) :

تنقسم الأمراض التى تصيب الإنسان إلى قسمين:

١ - الأمراض المعدية.

٢ - الأمراض غير المعدية، وتنقسم إلى:

أ - وراثية مثل أمراض الدم ، كالناعور (الهموفيليا).

ب- غذائية نتيجة نقص البروتينات، أو الفيتامينات، مثل مرض (البربرى) الناتج عن نقص (فيتامين الثيامين ب١).

جـ- هورمونية : نتيجة زيادة أو قلة إفراز إحدى الغدد الصماء، مثل الغدة النخامية أو الغدة الكظرية، أو الغدة الدرقية، أو الغدة التناسلية، أو البنكرياس.

د - أورام تصيب الإنسان سواء كانت هذه الأورام خبيثة ، أم حميدة. وكثيراً ما تتفاعل عوامل البيئة، والوراثة، والغذاء، لتسبب مرضاً معيناً مثل ضغط الدم (التوتر الشريانى) وأمراض (شرايين القلب) أو (شرايين الدماغ).

وأما الأمراض المعدية :

فهى التى تنتقل من مريض إلى آخر بإحدى طرق نقل الجراثيم العديدة، وهى:

١ - التنفس : كما فى أمراض الجهاز التنفسى مثل (الإنفلونزا) و(السل الرئوى).

٢ - الفم : كما فى أمراض الجهاز الهضمى مثل (الزحار الأميبى) و(الباسيلى Dusentry) و(الكوليرا والتيفود).

٣ - الجهاز التناسلى : (كالزهرى) و(السيلان) ومرض فقدان المناعة المكتسب (الإيدز).

٤ - الملامسة : مثل (الجذام) و(الجدرى) و (الجديرى).

٥ – آلات الحقن فى الوريد ، وغيره مثل (التهاب الكبد الفيروسى) و(مرض فقدان المناعة المكتسب «الإيدز»).

٦ – وخز الحشرات: كالبعوضة ، التى تنقل الملايا، وداء الفيل ، والحمى الصفراء.

٧ – ذبابة التسى تسى التى تنقل مرض النوم.

٨ – القمل: الذى ينقل (حمى التيفوس).

٩ – البرغوث : الذى ينقل (مرض الطاعون).

وأهم أسباب الأمراض المعدية : مخلوقات متناهية فى الصغر والدقة، بحيث لا تراها العين المجردة، وإنما نحتاج لتكبيرها عشرات الآلاف من المرات؛ لرؤيتها، كما فى (الفيروسات) ، وآلاف المرات كما فى (البكتريا) ومئات المرات كما فى (الطفيليات) من (ذوات الخلية الواحدة) والفطريات.

الفيروسات :

وأشهر الأمراض التى تسببها الفيروسات هى (الإنفلونزا) أو (نزلات البرد) و(شلل الأطفال) و (الحصبة) (والجدرى) و(التهاب الكبد الفيروسى) و(الحمى الصفراء) والحمى النكفية (النكاف) و(الهربس) و(مرض فقدان المناعة المكتسب «الإيدز»).

ورغم أن هذه الأمراض معدية بل شديدة العدوى، فإن دخول هذه الفيروسات إلى الجسم لا يعنى المرض حتماً.

(فالجدرى) رغم أنه مرض معد إلا أنه قد يصيب شخصاً فيميته، ويصيب آخر فتبدو عليه أعراض مرض خفيف، وكأنه نزلة برد، ويصيب ثالثاً فلا تبدو عليه أعراض أى مرض.

وكذلك فيروس (شلل الأطفال) فإنه كان يصيب الأطفال، قبل تعميم التطعيم، فيدخل إلى جسم طفل فيصيبه بالشلل.

ويدخل تارة إلى جسم طفل آخر فتظهر عليه أعراض إنفلونزا خفيفة، ويصيب آخرين فلا تبدو عليهم أى أعراض.

وكانت النسبة بصورة عامة هكذا: من كل مائة طفل، يدخل إلى أجسامهم فيروس شلل الأطفال لا يعانى ٩٠ منهم أى مرض، بينما يعانى ٩ من مرض مثل الإنفلونزا، أو نزلات البرد، ويعانى واحد فقط من شلل الأطفال.

وفى حالات الوباء كانت نسبة الإصابة بالمرض تتراوح ما بين واحد من كل خمسين فى حالات الأوبئة الشديدة (VIRULENT STRAINS) وواحد من كل خمسمائة فى الأوبئة الأقل شدة.

وكانت الإصابة فى الصبيان اليافعين والبالغين، أشد وأعتى من الأطفال الصغار على عكس ما هو متوقع . لأن الإصابة تكون فى الأطفال الصغار، أشد وأعتى من الكبار فى كثير من الأمراض.

والتهاب الكبد الفيروسى : من نوع (A) شديد الانتشار، وخاصة فى دول العالم الثالث، ولكن نسبة ضئيلة من الذين دخل الميكروب إلى أجسامهم ، يصابون بمرض خفيف مثل الأنفلونزا ونسبة أقل من هؤلاء تبدو عليهم أعراض اليرقان، ويشفى (٩٥) بالمائة من المصابين باليرقان، دون أن يسبب لهم أى أعراض جانبية.

وأما التهاب الكبد الفيروسى من نوع (B) فهو أشد خطورة، ومع ذلك فإن أغلبية الأشخاص الذين دخل الفيروس إلى أجسامهم لا يبدو عليهم أى مرض، وإن كان ينبغى أن يمنعوا من التبرع بدمائهم.

ويبدو على نسبة محدودة منهم مرض خفيف مثل الإنفلونزا ، وفى عدد أقل يبدو مرض التهاب الكبد بأعراضه المختلفة، ودرجاته المتباينة فى الشدة، والتى تنتهى لدى بعضهم بتليف الكبد وسرطان الكبد بينما يبقى آخرون دون زيادة فى المرض، مهما طال الزمن.

وبصورة عامة: فإن ما يحدث فى شلل الأطفال، وهو ما يحدث بالنسبة للفيروسات بحيث أن ٩٥٪ يشكون من مرض خفيف، مثل أعراض الإنفلونزا أن ٥, ٠ إلى ١ بالمائة فقط، هم الذين يعانون من الإصابة الكاملة بالمرض مثل شلل الأطفال ويستثنى من هذه القاعدة العامة الفيروسات التى تسبب الأمراض الجنسية.

ففى مرض الهربس التناسلى مثلاً نجد أن (٥٠٪) ممن دخل الفيروس إلى أجسامهم يصابون بأعراض المرض، وأن المرض لا يزول من الجسم بعد ذلك، بل يبقى فى فترات كمون وظهور لعشرات السنين، حتى يحطم حياة المريض ويبلغ نسبة تكرار هجوم الهربس (٧٠٪) ممن ظهرت عليهم الأعراض[١].

وفى مرض فقدان المناعة المكتسب (الإيدز) يذكر (وينج ستادوجالو) أن (٨-١٠) بالمائة ممن دخل فيروس الإيدز HIV إلى أجسامهم، ستظهر عليهم أعراض مرض الإيدز خلال عام.

ونسبة أكبر ستظهر عليهم الأعراض المرتبطة بالإيدز ، وآخرون ستظهر عليهم أعراض مرض الغدد اللمفاوية المنتشر المستمر.

وقد ذكرت منظمة الصحة العالمية فى اجتماعها المنعقد فى باريس فى ١٤٠٦ هـ ، يونيه ١٩٨٦م : أن عدد حالات الإيدز الموجودة تقدر بمائة ألف حالة، وأن حاملى فيروس الإيدز يقدرون ما بين خمسة إلى عشرة ملايين وأن عدد حالات الإيدز يصل إلى أكثر من مليون حالة فى غضون خمس سنوات.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الميكروبات إذا دخلت جسم الإنسان وتغلب عليها الجسم بعد ظهور أعراض المرض تتكون لديه فى الغالب مناعة ضد الإصابة بهذا الميكروب. ولكن القاعدة مستثناة بصورة خاصة فى حالات الأمراض الجنسية، فإن الشخص إذا شفى من المرض الجنسى، فإنه يمكن أن

(١) محمد على البار - الأمراض الجنسية (أسبابها وعلاجها) - جدة - دار المنارة - ١٩٨٧م - ص ٢٤٢ - ص٢٥٢.

يعود إليه مرة أخرى بنفس الضراوة والقوة إذا توفرت أسباب الإصابة به مرة أخرى، ويحدث ذلك فى مرض الهربس، والسيلان، ومرض الزهرى وغيرها من الأمراض الجنسية.

وباختصار لا تتكون لدى الإنسان مناعة ضد الأمراض الجنسية، وليس هناك حتى الآن تطعيم أو تلقيح ضد تلك الأمراض، سواء كانت فيروسية أم بكتيرية ، أم طفيلية أم فطرية.

مراحل الميكروب فى الجسم :

إن ميكروب أى مرض عندما يدخل جسم الإنسان يمر بالمراحل التالية:

١ - قلة كمية الميكروب :

إذا كانت كمية الميكروب (الفيروسى أو البكتريا) أو التطفلى أو الفطرى قليلة العدد فإن الجسم يقضى عليها بسهولة، ما عدا الحالات التى يكون فيها جهاز المناعة ضعيفاً جداً.

٢ - مرحلة الحضانة :

أن تكون الكمية من الميكروب كبيرة نسبياً، ويختفى الميكروب فى الجسم لفترة معينة، تسمى فترة الحضانة ففى هذه الفترة يتكاثر الميكروب فى الجسم بدرجة كبيرة دون أن تظهر على الشخص المصاب أى آثار المرض، وتعتبر هذه الفترة عادة من أكثر الفترات التى يمكن أن تعدى الآخرين.

وتختلف فترة الحضانة من مرض لآخر: فهى بعضة أيام فى الإنفلونزا ونزلات البرد والحمى الشوكية، وتصل إلى ستة أشهر فى فيروس الكبد من نوع (B) ، وتبلغ المدة بضع سنوات فى فيروس الإيدز وعصويات الجذام والسل (الدرن) ، وقد تصل فى الجذام إلى (٣٠) سنة.

٣ - مرحلة نهاية الحضانة :

عند انتهاء فترة الحضانة تظهر آثار المرض ، ويسمى الشخص فى هذه الحالة مريضاً، ويصبح معرضاً للاحتمالات الآتية :

أ - قد يتغلب الميكروب على الجسم، وينتشر انتشاراً كبيراً جداً بحيث يقضى على حياة المريض.

ب- قد يتغلب الجسم على الميكروب ، ويشفى المريض، ويزول الميكروب من جسمه وتزداد لديه المناعة ضد هذا الميكروب، فيما عدا ميكروبات الأمراض الجنسية.

جـ- قد يشفى المريض فى بعض الحالات من المرض الذى أصابه، وتظل الميكروبات مختفية فى جسمه، وتفرز هذه الميكروبات مع بعض إفرازات هذا الشخص.

ومثال ذلك مرض (التيفود) حيث يختفى الميكروب فى مرارة الشخص المصاب، ويفرز فى الصفراء، ويخرج من البراز، ويكون بذلك معدياً للآخرين، رغم عدم وجود أى أعراض مرضية على المصاب، ويسمى مثل هذا الشخص حاملاً للميكروب.

د - قد يدخل الميكروب إلى الجسم فى بعض الحالات ويتكاثر فيه دون أن يحدث مرضاً لأن وسائل المقاومة تدافعه وتمانعه ، ولا ينتصر عليها، ولا تنتصر عليه، وإنما تبقى الحرب سجالاً بينهما، ويبقى الشخص فى هذه الحالة سنوات طويلة حاملاً للميكروب، معدياً لغيره، دون أن تظهر عليه أى أعراض مرضية.

ويمر فيروس الإيدز بمعظم هذه المراحل، ولابد من دخول ما يقارب مائة ميكرومتر (١) من الدم الملوث بفيروس الإيدز لحدوث العدوى، ويحتوى كل مليلتر من دم مريض الإيدز على كمية الفيروس ، تتراوح ما بين (١٠,٠٠٠، ١٠٠,٠٠٠) وحدة فيروس فعالة. وهذا يعنى أن ما بين ألف وعشرة آلاف وحدة فيروس فعالة تكفى لحدوث العدوى البكتريا.

تعتبر البكتريا مملكة كاملة، وهى مخلوقات لا يمكن أن يقال عنها وحيدة الخلية، ولكنها تملك مقومات الحياة، فهى تنمو، وتتغذى، وتتنفس، وتتكاثر، وتحتوى كل واحدة منها على الحامضين النووين DNA, RNA (الحامض النووى الريبى، والحامض النووى المنزوع الريبى) مثلما تتكون كل خلية حية.

والبكتريا أنواع عديدة، وتقسم إلى فصائل ومجموعات، حسب خصائصها، وعاداتها، وطرق تكوينها.

ومنها ما هو نافع للإنسان مثل البكتريا التى تحول اللبن (الحليب) إلى لبن رائب بتحويل سكر اللاكتوز (اللبن) إلى حامض اللبنيك (LACICACID).

ومنها البكتريا التى تثبت النتروچين الجوى فى التربة، فتزيدها غنى، وتمتصها النباتات البقولية ، فتخرج لنا ما بها من بروتين.

ومنها ما يعيش فى أمعاء الإنسان ويساعد على تكوين فيتامين (ب) المركب، كما يساعد على هضم بعض المواد، ويتعايش كثير منها مع الإنسان فيفيد ويستفيد.

وتعيش البلايين من هذه البكتريا فى فم الإنسان وأنفه على سطح جلده، وفى أمعائه دون أن تحدث له أى ضرر ؛ بل إن كثيراً منها ذو نفع وفائدة كما أسلفنا.

ولكن العجيب حقاً : أن هذه البكتريا المفيدة، والتى تعيش معنا فى وئام وسلام قد تتحول فجأة وبدون إنذار إلى طبيعة عدوانية وحشية ماكرة ، فتهجم علينا ، وتستغل ضعفنا، وتجعلنا فريسة لها ما بين عشية وضحاها.

ويوجد منها البلايين على سطح الجلد. فتأكل هذه القشور (الخلايا الميتة) وتدع المجال مفتوحاً للخلايا الجديدة الحية، لتحل محل هذه القشور الميتة، وكل ذلك يعتمد على درجة المقاومة والمناعة فى جسم الإنسان.

وعوامل المناعة التى وهبها الله تعالى للإنسان كثيرة يمكن تقسيمها إلى نوعين بارزين هما:

النوع الأول :

المناعة الطبيعية : من خلال وسائل الدفاع الطبيعية التى وهبها الله تعالى للجسم ، لمقاومة الأمراض المعدية ، وتشمل الجلد ، والأغشية المخاطية ، والإفرازات الخاصة فى الجهاز البولى، والهضمى (المعدة) ، والجهاز التنفسى، والجهاز التناسلى وخاصة المهبل.

وهناك جهاز خاص لمقاومة الأجسام الغريبة، والأمراض المعدية فى الدم والجسم، يتكون من الخلايا البالغة الكبيرة، والخلايا البيضاء ذات الأنوية المتعددة الأشكال، والخلايا ذات النواة الواحدة وجميعها تعرف باسم الخلايا الآكلة PHAGOCYTES ، وهناك الخلايا الليمفاوية، وهى الجهاز المناعى المتخصص، وتنقسم إلى نوعين من الخلايا.

والنوع الثانى :

المناعة المكتسبة : وهى وسائل الدفاع التى تكتسب صفة المقاومة لنوع معين من العناصر الغريبة.

وهى على نوعين أيضاً، هما : المناعة المكتسبة الطبيعية، والمناعة المكتسبة السالبة نتيجة إدخال ميكروب ميت أو ضعيف ، أو جزء من غلاف.

عوامل إضعاف المناعة فى جسم الإنسان :

إن عوامل إضعاف جهاز المناعة فى الإنسان كثيرة جداً، وتكتنفها الجهالة ويمكن إجمالها فيما يلى:

١ - العوامل الوراثية :

وخاصة تلك المرتبطة بنقص فى تكوين الخلايا اللمفاوية من نوع B أو نوعT.

٢- العوامل الطبيعية :

مثل الطفولة والشيخوخة والحمل .. فالبداية ضعف، والنهاية ضعف، والحمل وهن على وهن.

٣ - عوامل التغذية :

وخاصة نقص البروتينات، والفيتامينات الذى يؤدى إلى إضعاف جهاز المناعة.

٤ - أمراض غير معدية أو معدية تضعف المقاومة :

وهناك أمراض عديدة تضعف جهاز المقاومة من أهمها:

البول السكرى، وأنواع السرطان، والأمراض الخبيثة.

ومن الأمراض المعدية التى تضعف جهاز المقاومة : فقدان المناعة المكتسب (الإيدز) ، وهو يمثل الإضعاف التام لجهاز المناعة.

وهناك أمراض أخرى تضعف جهاز المناعة بصورة أقل منها: مرض السل (الدرن).

٥ - عوامل خارجية :

وهى عوامل كثيرة نذكر منها ما يلى:

أ - التدخين : يضعف المقاومة، خاصة فى الجهاز التنفسى.

ب- الخمور : تضعف المناعة بصورة عامة، وفى الجهاز التنفسى بصورة خاصة.

جـ- اللواط والزنا : تكرر الزنا، يضعف المقاومة، وخاصة فى الجهاز التناسلى.

د - الجماع أثناء الحيض : يضعف المقاومة فى الجهاز التناسلى.

هـ- استخدام العقاقير : وأهمها الكورتيزون ومشتقاته Cortizone ، والمضـــادات الحيوية وأدويــة خفض المنـــاعــة مثل الإزاثيوبرين (الايميوران Emuran) والسليكلوسبورين Cyclosprin.

و - الإجهاد الشديد.

ز - ارتفاع درجة الحرارة، أو انخفاضها الشديد يضعف المقاومــة بصـــورة عامة.

حـ- تلوث البيئة، وعادم السيارات والمصانع: يضعف المقاومة، وخاصة فى الجهاز التنفسى ، ومع هذا فهناك عوامل كثيرة لا تزال مجهولة.

وقد يصاب الرجل القوى الموفور الصحة بالميكروب ، فيصرعه، ويصاب به شخص آخر هزيل ، يعانى من نقص التغذية فلا يسبب له أى أذى.

وهناك عوامل كثيرة متشابكة متداخلة . . ولا نعلم منها سوى النزر اليسير.

تفاعل الميكروبات (عوامل العدوى) مع عوامل المناعة :

تتفاعل عوامل الميكروبات المؤدية إلى المرض، مع عوامل المناعة فى جسم الإنسان، مؤدية إلى النتائج التالية:

١ - تغلب الجسم على الميكروب، وسلامة الجسم من المرض، وعدم ظهور المرض وبقاء الجسم سليماً لا يحمل الميكروب.

٢ - تغلب الميكروب على الجسم، وظهور المرض، وفى هذه الحالة يكون المصاب فى الغالب معدياً لمن حوله بطريقة من طرق العدوى المختلفة، وتكون النهاية إما لصالح الجسم (بمساعدة العقاقير أو بدونها) ، أو لصالح الميكروب، حيث يقضى على حياة المريض.

٣ - التعايش بين الجسم والميكروب، وعدم تغلب أحدهما على الآخر، ويكون الشخص سليماً معافى فى ظاهره، معدياً لغيره، وهو فى هذا حامل للمرض وحامل المرض أو حامل الميكروب، يمكن الميكروب من البقاء فى المجتمع ، رغم عدم حدوث أى مرض ظاهر فيه.

ظهور الإعجاز فى أحاديث العدوى :

تذكر الأحاديث النبوية الشريفة التى ذكرناها فيما قبل: أنه «لاعدوى» وفى نفس الوقت تقول :«فر من المجذوم كما تفر من الأسد» ، «ولا يورد ممرض على مصح».

وقد التبس ظاهر هذه الأحاديث النبوية الشريفة، على طائفة من الناس قديماً وحديثاً ﷺ وخاصة فى مجال الطب، مما جعل بعضهم يردها.

ومما سبق أن شرحناه فى موضوع الأمراض المعدية يتبين لنا إعجاز أحاديث المصطفى ﷺ فالأحاديث النبوية الشريفة توضح بجلاء ما توصل إليه العلم الحديث من : أن دخول الميكروب بذاته إلى جسم الإنسان ليس كافياً لحدوث المرض، وأن هناك عوامل أخرى غير ظاهرة لنا هى المسئول - فى النهاية - عن حدوث المرض.

وعلى هذا نستطيع أن نقول بكل ثقة أن الميكروب، أو الطفيلى أو الفطر ليست وحدها المسئولة عن ظهور المرض المعدى، وإنما هناك عوامل عديدة، بعضها معلوم، وأكثرها مجهول، تؤدى إلى ظهور المرض أو تغلب الجسم عليه.

والميكروبات الطبيعية التى تقطن فى أجسامنا، وتمدنا بكثير مما نحتاج إليه، ونتعايش معنا فى وئام وسلام، قد تتحول طبيعتها المسالمة الوادعة، فجأة وبدون سابق إنذار إلى طبيعة عدوانية ماكرة، فتهاجم أجسامنا وتعيث فيها فساداً.

فالميكروب - وحده - إذاً لا يسبب المرض، والعدوى -وحدها- لاتساوى العلة والسقم ، وإنما هناك أسباب أخرى ليست بيد الإنسان، ولا فى مقدوره أن يتحكم فيها، بل ولا يعلم كثيراً عنها، وهى التى تهىء جسمه للصحة أو المرض، للعدوى أو المقاومة.

وهذه الأحاديث الشريفة ترد إلى كمال التوحيد، وتردهم إلى بارئهم الذى ترجع إلى إرادته الأسباب.. فهو الذى إن شاء جعل هذا الميكروب سبباً

للمرض، وإن شاء جعله وقاية من الأمراض، وهو الذى إن شاء جعل ميكروب الحمى الشوكية داءً وبيلاً يقتل المصاب به، وإن شاء جعله حملاً وديعاً، يعيش فى حلق الشخص وبلعومه، دون أن يسبب له أى أذى.

وهو الذى إن شاء جعل فيروس شلل الأطفال مرضاً وبيلاً ويشل الأطراف، فى مستقبل الأيام.

وهو سبحانه الذى جعل البكتريا المسالمة المودعة التى تعيش فى أجسامنا، تتحول فجأة إعصار مدمر يهدم كل بنيان ، وهو الذى خلق الداء والدواء، وكم من داء إذا أصاب شخصاً انقلب بالنسبة له إلى دواء (حسى أو معنوى).

ومنذ أن عرف الأتراك تليقح الأبقار بالجدرى، وتتبعهم بعد ذلك الطبيب الإنجليزى (جينير) ،ظهرت فائدة التلقيح ضد مختلف الميكروبات.

وفكرة التطعيم والتلقيح تتلخص فى : أن يدخل الطبيب ميكروباً ميتاً أو مضاعفاً إلى الجسم السليم، فتتعرف عليه أجهزة المناعة، وتصنع المضادات ضده حتى إذا دخل الميكروب القوى هذا الجسم وجد أجهزة الدفاع على أتم استعداد لمقاومته.

وقد استطاع التطعيم والتلقيح بتوفيق الله : أن ينقذ ملايين البشر من الجدرى، وحتى إنه اندثر أو كاد يزول من العالم أجمع.

كما استطاع أن يحمى ملايين الأطفال من (شلل الأطفال) والسعال الديكى والكزاز (التيتنوس) وغيرها من الأمراض، ولكن التطعيم والتلقيح نفسه، قد يسبب مرضاً خطيراً وبيلاً.

وهكذا يتحول الدواء إلى داء، وكم من مشلول مصاب بالتهاب الدماغ بسبب التلقيح والتطعيم؛ والعقاقير التى نستخدمها لمحاربة الميكروبات والتى تنقذ الملايين من البشر كل عام بإذن الله تتحول أحياناً إلى داء وبيل لا إبلال منه، وكم قتلت هذه العقاقير من البشر!!.

فسبحان من بيده تصريف الأمور كلها، وهو وحده الذى أنزل الداء والدواء، وهو الذى أن شاء جعل الداء. . دواء والدواء داء ، وكم من الأمراض سببها الأدوية التى نتعاطاها.

ومع هذا كله نحن لاننفى الأسباب فالأسباب موجودة بقدر الله وقدرته، ونحن مطالبون بمعرفة الأسباب واتخاذها وذلك لا ينافى التوحيد.

وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى أدوية فى أحاديث عديدة كما فى العسل والحبة السوداء وغير ذلك.

والميكروبات ليست بذاتها سبباً للمرض والعدوى بل هى جزء سبب، تعارضه أسباب أخرى، وليست بذاتها سبباً تاماً كاملاً. وهى كما يقول ابن القيم:

(إن هى إلا خلق مسخر مربوب، لا تتحرك إلا بإذن خالقها ومشيئته، وغايتها: من جزء سبب وليست سبباً تاماً فسببيتها من جنس سببية وطء الوالد فى حصول الولد، فإنه جزء واحد من أجزاء كثيرة من الأسباب التى خلق الله بها الجنين، وكسببية شق الأرض وإلقاء البذرة فإنه جزء يسير من جملة الأسباب التى يكون الله بها النبات).

وقال أيضاً : (والمنحرفون طرفان مذمومان: إما قادح فى التوحيد بالأسباب، وإما منكر للأسباب بالتوحيد، والحق غير ذلك وهو إثبات التوحيد والأسباب وربط أحدهما بالآخر)[1].

وهكذا تتضح الرؤية ويعلم أن الميكروب وحده ليس سبباً للمرض. وبالتالى لا عدوى بذاتها، وإنما العدوى ناتجة بقدر الله وقدرته. . ونحن مع

(١) ابن القيم – مفتاح دار السعادة – جـ٢ – ص ٢٦٤ – ٢٧٠ مرجع رقم ٦.

ذلك لا ننفى الأسباب بل نأخذ بالأسباب فى عالم الأسباب مع الاعتقاد التام بأنها لا تضر ولا تنفع بذاتها، وإنما الأمر كله بيد خالق الأسباب الذى بيده الضر والنفع، والذى لا ينبغى للمؤمن أن يعتمد أو يثق أو يتوكل إلا عليه وحده. ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) ﴾ [التوبة].

وهكذا تتحقق صحة البيئة فى الإسلام من خلال تجنب مصادر العدوى التى أشرنا إليها، وتتحقق كذلك بالالتزام بنظافة البيئة وفق أحكام الشريعة الإسلامية كما نفصله فيما يلى.

المبحث العاشر
نظافة البيئة فى الشريعة الإسلامية

أولاً : مفهوم نظافة البيئة فى الإسلام :

عُنى الإسلام بالبيئة أرضاً، وهواءً، ومناخاً، وماءً، فوضع من الأسس والقواعد ما يجعل الإنسان - إذا تمسك بتوجيهات السنة - سعيداً فى دنياه صحيحاً، معافى فى بدنه إن شاء الله تعالى.

وأهم ما جاءت به الشريعة فى نظافة البيئة وطهارتها ما يلى:

١ - تجنب تلويث مجارى المياه.

٢ - تطهير الأفنية والمساجد.

٣ - إماطة الأذى عن الطرق والأسواق والنوادى وغيرها.

٤ - تجنب المعاصى.

١ - تجنب تلوث مجارى المياه :

١ - عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه**»[١].

٢ - وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب**» فقال أى الرواى: كيف يفعل يا أبا هريرة، قال: يتناوله تناولاً[٢]، والبول فى الماء الراكد منهى عنه سواء أراد الاغتسال فيه ، أو منه أم لا.

---

(١) أخرجه البخارى فى الوضوء باب البول فى الماء الدائم (١/ ٤١٢) (٢٣٩).

(٢) أخرجه مسلم فى الطهارة باب النهى عن الاغتسال فى الماء الراكد (١/ ٢٣٦)(٩٨) (٢٨٣).

وإن كان الماء كثيراً جارياً لم يحرم البول فيه ولكن الأولى اجتنابه، وإن كان قليلاً لأنه يقذره، والتغوط فى الماء: كالبول فيه وأقبح ، وكذلك إذا بال فى إناء ثم صبه فى الماء، وكذا إذا بال بقرب النهر بحيث يجرى إليه البول، فكله مذموم قبيح منهى عنه.

ويكره البول والتغوط بقرب الماء وإن لم يصل إليه، لعموم نهى النبىﷺ عن البراز فى الموارد، ولما فيه من إيذاء المارين بالماء، والخوف من وصوله إلى الماء ليستنجى فيه، فإن كان قليلا بحيث ينجس بوقوع النجاسة فيه، فهو حرام، لما فيه من تلطخه بالنجاسة، وتنجيس الماء، وإن كان كثيراً لا ينجس بوقوع النجاسة فيه، فإن كان جارياً فلابأس، وإن كان راكداً فليس بحرام، ولاتظهر كراهته لأنه ليس فى معنى البول ولا يقاربه، ولو اجتنب الإنسان هذا كله كان أحسن[1].

٣ - عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ : أنه نهى أن يبال فى الماء الراكد[2].

- وفى هذا وقاية من أمراض كثيرة، وما ذلك إلا حفاظاً على صحة الإنسان بنعمة الماء نقية طاهرة من الدنس والأوساخ حتى تستعمل فى حاجات الإنسان من شرب وغسل وطبخ وغيره.

٣ - تطهير الأفنية والمساجد:

١ - عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « **طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها**»[3] والأفنية : الساحات على أبواب الدور[4].

---

(١) النووى فى شرح مسلم (٣/ ١٨٧-١٨٨) بتصريف.
(٢) أخرجه مسلم فى الطهارة باب النهى عن البول فى الماء الراكد (١/ ٢٣٥)(٩٤) (٢٨١).
(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (١١/ ٢).
(٤) لسان العرب (ص ٣٤٧٧).

٢ - وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: بينما نحن مع رسول اللهﷺ إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول اللهﷺ مه مه، قال رسول الله ﷺ: « **لا تزرموه** » ، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: « **إن هذه المساجد لا تصلح لهذا البول، ولا القذر، إنما هى لذكر الله عز وجل ، والصلاة، وقراءة القرآن**» .

قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه[(١)].

وفى الحديث دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما لقوله ﷺ : «دعوه» لمصلحتين:

أحداهما :أنه لو قطع عليه البول تضرر، وأصل التنجيس قد حصل فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به.

والأخرى : أن التنجيس قد حصل فى جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه فى أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد وفيه صيانة المساجد وتنزيهها عن الأقذار والقذى، والبصاق، ورفع الأصوات، والخصومات.

وقال المنذر: أباح كل من يحفظ عنه العلم الوضوء فى المسجد إلا أن يتوضأ فى مكان يبله أو يتأذى الناس به، فإنه مكروه.

ويكره إدخال البهائم والمجانين والصبيان الذين لا يميزون المسجد لغير حاجة مقصوده لأنه لا يؤمن تنجيسهم المسجد، ولا يحرم لأن النبى ﷺ طاف على البعير، ولا ينفى هذا الكراهة لأنه ﷺ فعل ذلك بياناً للجواز، أو ليقتدى بهﷺ ويحرم إدخال النجاسة إلى المسجد، ومن على بدنه نجاسة، فإن خاف تنجيس المسجد لم يجز له الدخول، فإن أمن ذلك جاز.

---

(١) أخرجه مسلم (١/١٣٧)(١٠٠) (٢٨٥) وقوله : لا تزرموه : أى لا تقطعوا عليه بوله ، وقوله: فشنه عليه : صبه عليه.

وأما إذا افتصد فى المسجد، فإن كان فى غير إناء فحرام، وإذا قطر دمه فى إناء فمكروه[1].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ .. وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[البقرة].

والمعنى: (طهره من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض، والخبائث كلها) وقس على ذلك دور العلم، وأماكن اجتماع الناس، ومواضع احتفالاتهم، فعندما يذهب الإنسان طاهراً نظيفاً، ويجد المكان نظيفاً طاهراً، ومن جاوره فى المكان نظيفاً طاهراً متطيباً لا شك أن هذا أدعى إلى بعث السرور فى النفس والانشراح فى الصدر، وأبعث على طرد السأم، والملل، والضجر، والفرار من المكان ومن فيه، وأيضاً فيه الوقاية من الأمراض والأوبئة وفيه حفظ الصحة.

٣ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ «**البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»[2].

٤ - وعنه رضى الله عنه: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**التفل فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»[3].

٥ - وعن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى مساوئ أعمالها: النخاعة تكون فى المسجد لا تدفن**»[4].

٦ - وعن عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ رأى بصاقاً فى جدار القبلة، أو مخاطاً، أو نخامة فحكه»[5].

---

(١) قاله النووى فى شرح مسلم (٣/ ١٩١) ومعنى افتصد: الفصد شق العرق وافتصد فلان عرقه - لسان العرب- ص(٣٤٢٠).

(٢) أخرجه البخارى فى الصلاة (١/ ٦٠٩) (٤١٥).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٣٩٠) (٥٦) (٥٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٩٠) (٥٧) (٥٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٦٠٧) (٤٠٧).

فالجمهور قالوا: المراد دفنها فى تراب المسجد ورمله وحصاته ، إن كان فيه تراب أو رمل وحصاة ونحوها، وإلا فليخرجها، وقيل المراد إخراجها مطلقاً، والله أعلم.

والقبح والذم لا يختص بصاحب النخامة، بل يدخل فيه هو وكل من رآها ولا يزيلها بدفن أو حك ونحوه[1].

٧ - وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: إذا تنخم أحدكم فى المسجد فليغب نخامته أن تصيب جلد مؤمن أو ثوبه فتؤذيه[2].

٨ - وعن أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من تنخع فى المسجد فلم يدفنه فسيئة، وإن دفنه فحسنة»[3].

وعن أبى عبيدة بن الجراح أنه تنخم فى المسجد ليلة فنسى أن يدفنها حتى رجع إلى منزله، فأخذ شعلة من نار ثم جاء فطلبها حتى دفنها، ثم قال: الحمد لله الذى لم يكتب على خطيئة الليلة، وعلة النهى وما ترشد إليه: هى تأذى المؤمن بها.

وقال ابن أبى جمرة: لم يقل يغطيها لأن التغطية يستمر الضرر بها إذ لم يأمن أن يجلس غيره عليها فتؤذيه بخلاف الدفن.

وقال النووى فى الرياض: المراد بدفنها ما إذا كان المسجد ترابياً أو رملياً فأما إذا كان مبلطاً مثلاً فدلكها عليه بشىء فليس ذلك بدفن بل زيادة فى التقذير.

وقال الحافظ ابن حجر: لكن إذا لم يبق لها أثر ألبتة فلا مانع، وعليه يحمل حديث عبدالله بن الشخير (ثم دلكه بنعله) وفى رواية طارق (وبزق تحت رجله ودلك) وقال الحافظ والروايتان عن أبى داود إسنادهما صحيح[4]، وقد نهى رسول الله ﷺ عن تلوث أفنية المساجد.

---

(١) قاله النووى فى شرح مسلم (٥/ ٣٩ - ٤٢) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٩، ٢٠٩ ، ٢٣٤).

(٤) أخرجه أبو داود فى مراسيله عن مكحول مرسلا (٦٨١٣).

٩ - عن مكحول رضى الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يبال بأبواب المساجد.

٣ - إماطة الأذى عن الطريق والأسواق والنوادى وغيرها:

١ - عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ﷺ علمنى شيئاً انتفع به قال: «**إعزل الأذى عن طريق المسلم**»[١].

٢ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة**»[٢].

٣ - وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**على كل ميسم من الإنسان صلاة كل يوم**» فقال رجل من القوم: هذا من أشد ما أنبأتنا به قال: «أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة، وحملك على الضعيف صلاة، وإنحاؤك القذر عن الطريق صلاة»[٣].

٤ - وعن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس**» قيل يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: «**إن أبواب الخير لكثيرة.. وتميط الأذى عن الطريق**»[٤].

وفى رواية: وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن طريق الناس صدقة.

٥ - عن معاوية بن مرة قال: كنت مع معقل بن يسار رضى الله عنه فى بعض الطرقات فمررنا بأذى فأماطه، أو نحاه عن الطريق فرأيت مثله فأخذته

---

(١) أخرجه مسلم فى البر والصلة والآداب باب فضل إزالة الأذى عن الطريق (٤/ ٢٠٢١) (١٣١) (٢٦١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢١) (١٢٨) (١٩١٤).

(٣) أورده المنذرى فى الترغيب.

(٤) أورده المنذرى فى الترغيب (٣/ ٨٦٣).

فنحيته فأخذ بيدى، وقال يا ابن أخى ما حملك على ما صنعت؟ قلت يا عم رأيتك صنعت شيئاً فصنعت مثله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أماط الأذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة»**[1].

وهذه الأحاديث المذكورة ظاهرة فى فضل إزالة الأذى عن الطريق، سواء كان الأذى شجرة تؤذى أم غصن شوك أم حجراً يعثر به، أم قذراً، أم جيفة، أم غير ذلك[2].

وسواء كان هذا فى الطرق أم فى الأسواق، أم فى النوادى وغيرها فى كل بيئة يعيش فيها ويرتادها الناس، وفى الأحاديث التنبيه على فضيلة كل نفع للمسلمين، وإزالة الضرر عنهم.

٦ - يقول ﷺ: **«لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس»**[3].

أى يتنعم فى الجنة بملاذها بسبب قطع الشجرة، ولقد أنكر القرآن الكريم على لسان سيدنا لوط عليه السلام أن يأتى قومه المنكر فى النوادى فينجسونها ويخبثونها، ويلوثونها، ويحدث من جراء ذلك الأضرار والأمراض الكثيرة، فينهد الكيان وتتدهور الصحة ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ... ﴿٢٩﴾** ﴾[العنكبوت].

والفاحشة: الفعلة البالغة فى القبح.

وقوله ﴿ **مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة، كأن قائلاً قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل له لأن أحداً قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها فى طباعهم لإفراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينهم، وقذر طباعهم، قالوا لم ينزل ذكر على ذكر، قبل قوم لوط قط.

---

(١) أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (٣/ ٨٦٣).

(٢) قاله النووى فى شرح مسلم (١٦/ ١٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢١) (١٩١٤).

وقوله ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ يعنى ما كفاكم قبح فعلكم حتى تضمون إليه قبح الإظهار.

وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ، ولذلك جاء : من خرق جلبات الحياء فلا غيبة له، ولا يقال للمجلس ناد، إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً.

ومن هنا يجب تطهير الطرقات من كل قذر مؤذ ، وكذلك الأسواق من كل عفن ومضر بالصحة، وأيضاً النوادى من كل ما يؤدى إلى الأمراض من الفواحش والأقذار، لأن حفظ الصحة واجب وكل ما يؤدى إلى الواجب فهو واجب بدوره.

ونقيس على ما تقدم من أسس وقواعد نظافة البيئة وطهارتها ، فلا بأس بالاستفادة بما يرى مفيداً للصحة عن طريق العلم والتجارب، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها وأهلها[١].

٧ - عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **« إذا كان شىء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به ، وإذا كان شىء من أمر دينكم فإلى»**[٢].

٤ - تجنب المعاصى :

إن المعاصى والذنوب تحدث فى الأرض أنواعاً من الفساد فى المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن، وهذا يؤدى بدوره إلى إتلاف الصحة وهلاكها.

قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم].

---

(١) بدير محمد بدير: منهج السنة النبوية فى رعاية الصحة وقاية وعلاجاً، المنصورة، سلسلة الدلائل الإنسانية فى السنة النبوية، ب-ت ، ص ١٠٢.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٢) ، (٥/ ٢٩٨) ، (٦/ ١٢٣).

١ - عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود، الحجـــر، واستقـــوا من بئرها، واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة[١].

٢ - وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر فأسرع حتى خلفها»**[٢].

فى الحديث كراهة الاستقاء من أبار ثمود ويلتحق بها نظائرها من الآبار والعيون التى كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره.

ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار فكأنه أمرهم بالتفكر فى أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم فى الأرض وإمهالهم مدة طويلة.

ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك. والتفكر أيضاً فى مقابلة أولئك الذين أنعم الله عليهم فأهملوا إعمال عقولهم فيما يجب الإيمان به والطاعة له: **«فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم فقد شابههم فى الإهمال ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه»**.

فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم وبهذا يندفع اعتراض من قال: كيف يصيب عذاب الظالمين من ليس بظالم؟

لأنه بهذا التقرير لا يأمن أن يصير ظالما فيعذب بظلمه.

---

(١) أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٣٦) (٣٣٧٨).
(٢) قاله الحافظ فى الفتح (١/ ٦٣٢).

وفى الحديث: الحث على المراقبة .. والزجر على السكنى فى ديار المعذبين.. والإسراع عند المرور بها.

وقد أشير إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ... ﴿٤٥﴾﴾[إبراهيم][1].

قال مجاهد: إذا ولى الظالم سعى بالظلم والفساد، فيحبس بذلك القطر، فيهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، ثم قرأ الآية، ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر.

وقال عكرمة: ظهر الفساد فى البر والبحر، أما أنى لا أقول لكم بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء.

وقال قتادة : أما البر فأهل العمود، وأما البحر فأهل القرى والريف.

وقال ابن زيد :(ظهر الفساد فى البر والبحر) قال : الذنوب.

والمراد بالفساد: النقص والسر والآلام التى يحدثها الله فى الأرض بمعاصى العباد، فكلما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة.

ويقول ابن القيم: وأخبرنى جماعة من شيوخ الصحراء أنهم كانوا يعهدون الثمار أكبر مما هى الآن، فهذه الآثار فى الأرض من أثار العقوبات، كما أن هذه المعاصى من أثار الجرائيم فتناسب كلمة الله وحكمه الكونى أولاً وآخراً، وكأن العظيم من العقوبة للعظيم من الجناية، والأخف للأخف، وهكذا يحكم ربنا سبحانه بين خلقه فى دار الدنيا، ودار البرزخ ودار الجزاء[2].

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (١/ ٦٣٢).

(٢) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى - بيروت - دار الكتاب اللبنانى - ١٩٩٥م - ص٦٧.

ثانياً : تفصيل القول فى أنواع النظافة البيئية فى الإسلام :

ترتبط نظافة البيئة فى الإسلام ارتباطاً مباشراً بمفهوم الطهارة، كما ورد فى القرآن والسنة، حيث يغطى هذا المفهوم الاحتياجات الخاصة بالنظافة، إضافة إلى جملة اشتراطات ومواصفات أخرى تؤهل البيئة وعناصرها لأداء مهام محددة تتعلق بحياة الإنسان الدينية والدنيوية.

الطهارة : فالطهارة لغة : هى النزاهة عن الأقذار، وشرعاً رفع ما يمنع الصلاة من حدث، أو نجاسة بالماء، أو رفع حكمه بالتراب.

وتكتسب الطهارة أهمية خاصة فى الدين الإسلامى لارتباطها بأهم الواجبات الدينية للمسلم المتمثلة فى الصلاة.

وقد وردت مادة الطهارة واشتقاقاتها المختلفة فى إحدى وثلاثين موضعاً فى القرآن الكريم. وساد مفهوم التطهر من النجاسات والأقذار ما يقرب من نصف تلك المواضع مثل قوله تعالى:

﴿ .. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة].

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾[المدثر].

﴿ ..فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ .. ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة].

﴿ .. وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا .. ﴿٦﴾ ﴾[المائدة].

﴿ .. فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[التوبة].

ويمثل هذا المفهوم قول الرسول الكريم ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان»**(1). أى أن الطهور نصف الإيمان نظراً لاشتراطه صحة الصلاة.

ومثل قوله أيضاً ﷺ : **« طهروا هذه الأجساد طهركم الله»**(2) عن ابن

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الطبرانى.

عمر رضى الله عنهما «**طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهر أفنيتها**»(1). وتلك الطهارة التى هى نصف الإيمان. تعد مبدءاً من المبادئ الأساسية فى الإسلام.

فقد خلق المولى - عز وجل - العالم، وأحاطه بالجمال وعلى البشر أن يعكسوا ذلك الجمال من خلال النظافة والهيئة الحسنة.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(2).

وقد وردت الطهارة فى القرآن الكريم بمعنى الطهارة من عبادة الأوثان وقول الزور، وطهارة القلب، وطهارة المال فلا يدنس بحرام، والطهارة من الفاحشة والزنا.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (41) ﴾[المائدة].

وقال تعالى: ﴿ .. **حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ** .. (53) ﴾[الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿ .. **أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** (56) ﴾

[النمل]

وقال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** .. (103) ﴾

[التوبة:103]

وتشمل الطهارة: نظافة البدن، والثوب، والمكان، والماء.

(1) أخرجه الطبرانى عن سعد مرفوعاً.
(2) أخرجه الترمذى مرفوعاً عن ابن مسعود.

نظافة البدن :

حث الإسلام المسلم على نظافة بدنه فقالﷺ :« **النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه فى الجنة**»[1].

وقال ﷺ أيضاً: «**تنظفوا فإن الإسلام نظيف**»[2]، وهكذا نجد أن النظافة إحدى دعائم الإسلام، وهى تؤدى إلى دخول صاحبها الجنة. وحتى يكون المسلم نظيف البدن، فقد ألزمته الشريعة الإسلامية بضرورة الوضوء للصلاة، والغسل من الجنابة والحيض.

ويطلق الفقهاء على هذا النوع من النظافة اسم : الطهارة من الحدث والخبث، والحدث نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر ما يوجب الغسل كالجنابة والحيض والنفاس.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا** .. ﴿٤٣﴾ ﴾[النساء].

وقال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** .. ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة].

وعن عائشة رضى الله عنها كان النبى ﷺ يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم[3].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت إن امرأة سألت النبى ﷺ عن غسلها من المحيض ، فأمرها كيف تغتسل، قال:«**خذى فرصة من مسك ، فتطهرى بها**».

---

(١) رواه الطبرانى.
(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم.
(٣) رواه البخارى.

قالت: كيف أتطهر؟ قال: «**تطهرى بها**» قالت: كيف؟ قال: «**سبحان الله، تطهرى**» فاجتذبتها[1] إلى، فقلت: تتبعى بها أثر الدم[2].

والحدث الأصغر ما يوجب الوضوء كالبول، والغائط ، وسائر نواقض الوضوء.

وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ : «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**».

أما الخبث فهو النجاسة العالقة بجسم الإنسان، أو فى ثوبه أو فى مصلاه. ولابد من إزالتها بالطهور، وبقاء لونها أو رائحتها يدل على بقاء ذاتها.

وإزالة النجاسة عن جسم الإنسان شرط فى صحة الصلاة عند جمهور العلماء، من وجهة النظر الطبية، فإن الاستنجاء له دور كبير فى النظافة، حيث ان التخلص من بقايا البراز مهم جداً من الناحية الصحية.

وقد ذكر (ج. هل) J.Hill فى كتابه عن علم الباثولوچيا (Pathology) : أن الجرام الواحد من البراز يحتوى على مائة ألف مليون خلية بكتيرية، فضلاً عن جراثيم أخرى لا تعد .. وهناك أمراض جرثومية عديدة تنتقل بتلوث اليد بكمية من البراز، التى رغم قتلها فإنها تحتوى على ملايين الجراثيم.

ويذكر (ج. طومسون) J.Thomson فى كتابه عن الصحة (Hygin) : أن حاملى جرثومة التيفوئيد ربما يكون فى الجرام الواحد من برازهم أكثر من خمسة وأربعين مليوناً من بكتريا التيفوئيد. أما مرضى الدوسنتاريا البكتيريا أو الطفيلية فمن المستحيل إحصاء عدد الخلايا الجرثومية التى تخرج منهم يومياً لكثرتها.

وقد أثبتت دراسة أجريت فى كلية طب جامعة (مانشستر) أن البكتريا تنفذ

(١) اجتبذتها : جررتها بشدة.
(٢) تتبعى بها أثر الدم : أى نظفى بها ما بقى من الدم فى الفرج.

من ثمان طبقات من ورق التواليت إلى اليد، وتلوثها أثناء عملية التخلص من بقايا البراز.

ولذلك يعتبر الماء أفضل وسيلة للنظافة، وعن حكمة التنزه من البول قبل الوضوء، يقول الدكتور عبدالحميد القضاة : فى بحث له عن (تفوق الطب الوقائى فى الإسلام).

إن البول مجموعة من المواد السامة يتخلص منها الجسم عن طريق المجارى البولية، وهو بالإضافة إلى المواد الكميائية التى يحتوى عليها ملوث بالعديد من الجراثيم. فإذا زاد عدد الجراثيم على مائة ألف جرثومة فى السنتيمتر المكعب الواحد من البول، أما إذا قل عن ذلك فلا يعد صاحبه مريضاً، وهكذا يكون البول مملوءاً بالجراثيم فى أحسن الأحوال، وتلوث الجسم أو الملابس به يعنى التلوث بمادة سامة وجراثيم كثيرة.

وقد مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال عن صاحبيهما: « **إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة**»(١).

والوضوء واجب لصحة الصلاة حتى إذا كان الجسد نظيفاً والمرء غير جنب، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ .. (٦)** ﴾[المائدة].

عن حمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه رأى عثمان رضي الله عنه دعا بوضوء فأفرغ يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه فى الوضوء، ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه إلى المرفقين ثلاثاً ثم مسح برأسه، ثم غسل كلتا رجليه ثلاثاً، ثم قال: رأيت النبى ﷺ يتوضأ

---

(١) رواه مسلم.

هكذا، وقال: «**من توضأ وضوئى هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[1].

وقد أوجد الإسلام أنماطاً لسلوك النظافة، فغسل الجسم بأكمله هو أفضل شيء للطهارة، وهو أمر واجب بعد ممارسة الاتصال الجنسى، والاحتلام، والحيض، ولصلاة الجمعة، وشمل الغسل جميع أعضاء الجسم من قمة الرأس إلى أخمص القدمين.

فعن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أن النبى ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة ، بدأ بيديه، ثم يتوضأ كما للصلاة، ثم يدخل أصابعه فى الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله[2].

وقد حث الإسلام على غسل الجمعة ليكون المسلم ذا رائحة طيبة فى المسجد، روى عن سلمان الفارسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«**لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع الطهور ، ويدهن من دهنه، ويمس من طيب نفسه، ثم يخرج ولا يفرق بين اثنين، ثم يصلى ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له بينه وبين الجمعة الأخرى**»[3].

والمتتبع لسنن الإسلام ، وأحكامه فى النظافة يجد أن كل سنة وراءها من المنافع الصحية الكثير.

فمثلاً ، عند الاستنجاء حذر الإسلام من الاستنجاء باليمين، تنزيها لليد اليمنى عن مباشرة الأقذار، وحماية لها من التلوث بالجراثيم أو الفطريات التى تكون فى موضع العانة.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى.
(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه أحمد والبخارى.

عن حفصة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يجعل بيمينه أكله وشربه وأخذه وعطائه، وشماله لما سوى ذلك[1].

وبتكرار الوضوء عدة مرات فى اليوم الواحد فإن الإنسان بذلك ينظف الأجزاء المكشوفة من جسمه، التى تكون الأكثر تلوثاً بالجراثيم. وقد أثبت علماء الجراثيم وجود أعداد هائلة من الجراثيم على السنتيميتر المربع الواحد من الجلد الطبيعى فى المناطق المكشوفة ، تصل إلى زهاء خمسة ملايين جرثومة. ومن المعروف أن الجراثيم تتكاثر بسرعة، وللتخلص منها لابد من غسل الجلد باستمرار.

ويعتبر الأطباء جلد الإنسان أوسع عضو فى جسده. ويبلغ متوسط مساحة الجلد نحو مترين مربعين، ويزيد عدد الجراثيم المختلفة الموجودة على هذا الجلد، وفقاً لما قرره (فايندوف) Vindoff فى كتابه (Skin and venral Diseases) على عدد سكان الأرض قاطبة.

وقد أثبت : أن الاستحمام الواحد يزيل عن جلد الإنسان أكثر من مائتى مليون جرثومة. ولأن هذه الجراثيم لا تقف لحظة عن التكاثر، فلابد من إزالتها بشكل مستمر ودورى لتبقى أعدادها قليلة.

وما أجمل قول الرسول الكريم ﷺ فى ذلك «**حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوماً ويغسل فيه رأسه وجلده**»[2].

وقد أمر الإسلام المسلم بأن يتخلص من فضلات، وآثار الطعام بين أسنانه.

قال ﷺ: «**ليس شىء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى**»[3].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه ابن ماجه.

والمعروف أن المضمضة فى الوضوء تحفظ الفم والبلعوم من الالتهاب، ومن تقيح لثة الإسنان، وتقى الأسنان من التسوس.

ويورد الدكتور محمد سعيد السيوطى فى كتابه (معجزات فى الطب للنبى العربى محمد ﷺ) نصاً للدكتور (غرزوزى) من كتابه (وقاية الأسنان وصحة الأبدان)، جاء فيه:

(إن تسعين فى المائة من الناس الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة فمهم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان، وإن المادة الصديدية والعفونة التى تتكون فى الفم لا يقتصر ضررها على تقيح اللثة، فإنها تدخل المعدة مع اللعاب والطعام فتمتصها المعدة وتسرى إلى الدم، ومنه إلى جميع الأعضاء، وتسبب أمراضا كثيرة)[1].

ويقرر الأطباء أن الفم تستقر فيه أنواع وأعداد هائلة من الجراثيم البكتيرية والفيروسية والطفيلية.

ويزيد عدد أنواعها على المائة نوع ، أما أعدادها فتقدر بالملايين وأحياناً بالبلايين فى المليمتر المكعب الواحد من اللعاب.

وهى تتغذى على بقايا الطعام المترسب على الأسنان وبينها، وينتج عن نموها وتكاثرها أحماض ، وإفرازات كثيرة تؤثر فى الفم ورائحته.

ولذلك سن الإسلام استخدام السواك ، فقال ﷺ: « **تسوكوا ، فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»[2].

وعن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نعم السواك الزيتون من شجرة مباركة، يطيب الفم ويذهب بالحفر، وهو سواكى وسواك الأنبياء قبلى**»[3].

---

(١) محمد عبدالقادر الفقى - مرجع سابق - ص ٢١٦.

(٢) رواه أحمد والنسائى والترمذى.

(٣) أخرجه الطبرانى.

وعن أبى أيوب عن النبى ﷺ أنه قال: «**أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والنكاح، والسواك**»[1].

وقد حث الرسول ﷺ على استعمال السواك فى جميع الأوقات، حتى أثناء الصيام، فعن أنس قال : قال ﷺ «**أكثرت عليكم بالسواك**».

وعن العباس بن عبدالمطلب عن النبى ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتى لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة**»[2] فالسواك يطهر الفم، ويزيل ما يعلق بينها من فضلات الطعام.

وقد أوضح العلم الحديث أن المواد التى بالسواك تقتل الجراثيم فتشفى الأفواه من الأمراض، وبتحلل السواك الذى يحصل عليه من شجرة الأراك (Salvadorapersica) كيميائياً تبين أنه يحتوى على المواد التالية:

١ - مادة (ثلاثى مثيل أمين) وهى عامل مهم لوقف نمو الجراثيم.

٢ - نسبة عالية من الكلوريد والسيلكا، وهى مواد تزيد من بياض الأسنان.

٣ - مادة الفلور التى تمنع التسوس ، وتزيد من قوة اللثة.

٤ - فيتامين (ج) الذى يحمى من الالتهاب.

٥ - مادة الستيوستيرول التى لها أهمية كبرى فى تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة.

٦ - مواد كبريتية تعمل على وقف تكاثر البكتريا العنقودية والسبحية، وغيرها من جراثيم الفم.

٧ - مواد شبه قلوية وعطرية.

---

(١) رواه الترمذى والإمام أحمد.

(٢) متفق عليه.

ولقد دعا الإسلام المسلم إلى نظافة الأماكن التى يصعب تنظيفها بالماء عند الاغتسال ، مثل المواضع الموجودة بين الأصابع التى تكون مرتعا لأنواع مختلفة من البكتيريا والطفيليات.

ولذلك، نجد الرسول الكريم ﷺ يحث على تخليل الأصابع بالمياه.

فعن واثلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من لم يخلل أصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيامة»**[1].

وحث الإسلام على الاستنشاق وجعله بمثابة المضمضة للفم. ويفيد الاستنشاق فى تنظيف الأنف، فدخول الماء الأنف ثم خروجه منه يؤدى إلى التخلص من المادة المخاطية التى تكون مأوى لكثير من الجراثيم، وينظف شعر الأنف منها.

سنن الفطرة ونظافة الجسد :

استكمالاً للنظافة الجسدية، ثمة تعليمات صحية مهمة جاءنا بها المصطفى ﷺ أطلق عليها (سنن الفطرة) ، وأمرنا بمراعاتها.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان والاستحداد ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط، وقص الشارب»** متفق عليه.

وقد كشفت لنا العلوم الطبية الحديثة النقاب عن أهمية هذه السنن، فترك الأظافر دون قص ستتسبب فى تراكم الأوساخ والميكروبات تحتها. وهناك أمراض كثيرة تنقلها الأظافر غير النظيفة مثل : الإسهال، والمغص البطنى، والتهابات العيون، والإصابة بالديدان المعوية، وغيرها.

ويؤدى ختان الذكور إلى عدة فوائد صحية ؛ فقطع القلفة يتسبب فى تخلص المرء من المفرزات الدهنية، ويحول دون نمو العديد من الجراثيم التى تهيىء القلفة لها الوسط الملائم للتكاثر.

وقد تبين أن سرطان عنق الرحم يقل عند نساء المسلمين من غيرهن نتيجة ختان أزواجهن.

أما الاستحداد وهو حلق شعر العانة - فله أهمية صحية كبرى، لأن هناك نوعاً من القمل لا يعيش إلا على شعر العانة، وتصاب به أعداد كبيرة سنوياً فى الغرب من الذكور والإناث.

ولما كان الإبط مكاناً كثير التعرق، فإنه يعد مهداً مناسباً لنمو الفطريات والجراثيم، ناهيك عما يصدر عنه من رائحة مقززة، ولذلك فإن نتف الأبط يقلل فرصة وجود هذه الميكروبات بأعداد كبيرة أما قص الشارب فإنه من سنن الفطرة، لأن الشارب إذا طال تلوث بكل ما يشربه الإنسان، وما ثم ساعد على تلوث الفم.

نظافة الماء :

الماء سبب حياة كل شيء حى فى الأرض، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ .. ﴿٩٩﴾ ﴾[الأنعام].

ولا شك أن التبول فى الماء أمر قبيح يأباه الذوق العام، ويستنكفه كل ذى خلق.

وتجنب التبول فى الماء سوف يكون أمراً أساسياً للتخلص من أكبر مشكلة طبية تعانى منها الدول الإسلامية الواقعة فى المناطق شبه الاستوائية، وهى مشكلة البلهارسيا التى تفتك بصحة الإنسان، وتؤثر تأثيراً سيئاً فى اقتصاديات هذه الدول.

وتشير الدراسات : إلى أن نسبة الإصابة بديدان البلهارسيا فى مصر وحدها تبلغ نحو عشرين مليون نسمة.

ولذلك فاتباع نهى الرسول ﷺ عن التبول فى الماء الراكد أو الجارى فى الحديثين الشريفين السابقين - يقطع دورة البلهارسيا تماماً، ويقضى على فرصة انتقال العدوى إلى الشخص السليم.

ومن أمثلة الطفيليات التى تنتقل إلى الماء نتيجة لقضاء الحاجة فيه: دودة الأنكلستوما، وهى دودة ذات آثار صحية خطرة فى البلدان المختلفة والنامية(1) وإلى جانب ما ذكره، فإن التبول فى الماء الراكد يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التى تساعد على انتشار الأمراض المعدية.

كما أن التبول فى الماء الجارى سوف يؤدى إلى إلحاق الضرر بالآخرين، حيث تصلهم المياه ملوثة، وهو سلوك يتنافى مع حرص الإسلام على ألا تضر نفسك، ولا تضر الآخرين، انطلاقاً من القاعد الفقهية (لا ضرر ولا ضرار).

وفى حديث آخر يقول الرسول ﷺ اتقوا الملاعين الثلاثة **«البراز فى الماء، وفى الظل، وفى طريق الناس»**(2).

وما يهمنا فى هذا المقام هو النهى عن التبرز فى الماء الذى جعله الرسولﷺ أحد الملاعين التى يجب علينا اتقاؤها.

والمعروف أن تصريف مياه المجارى فى الأنهار والترع يؤدى إلى تلوث مياه هذه الموارد المائية بالطفيليات والفيروسات والروائح الكريهة والبكتريا.

وعلاوة على ذلك.. يتسبب وجود البراز، والمواد العضوية المنصرفة مع مياه المجارى فى استهلاك الأكسچين الذائب فى المياه، وذلك أثناء التحلل البيولوچى التى تقوم بها بعض أنواع البكتريا الموجودة فى المياه.

ويؤدى استنزاف الأكسچين من مياه المسطحات المائية إلى التأثير على حياة الكائنات الحية كالأسماك التى تعيش فيها.

كما أن المواد العضوية المكونة للبراز والموجودة فى مياه المجارى تؤدى إلى

---

(1) محمد أحمد محجوب: ملامح الطب الوقائى فى الإسلام - مجلة منار الإسلام - عدد شوال ١٤٠٧هـ - يونيو ١٩٨٧ - صفحة ٧٨ : ٧٩.

(2) رواه أبو داود.

ازدهار أنواع عديدة من البكتريا والكائنات الأولية (البروتوزوا) ، والطفيليات التى تسبب تلوث الماء[1].

ولما كان التلوث المائى يتسبب فى حالات كثيرة وفى قتل الأحياء، فإن درء هذا التلوث واجب واستناداً إلى القاعدة الفقهية التى تقول (ما أدى إلى الحرام فهو حرام)، كما أن منع الضرر قبل حدوثه أولى من معالجته بعد حدوثه.

نظافة الأمكنة :

(أ) المساجد : الأمكنة التى يعيش فيها الناس فى المجتمع الإسلامى لا بد أن تكون نظيفة طاهرة خالية من كل ما يكدر عليهم صفو الحياة.

وأول هذه الأمكنة بيوت العبادة، وأولها بيت الله العتيق ﴿ .. وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[البقرة].

أما بقية المساجد فيوجب الشرع أن تظل نظيفة أنيقة تبعث على الطمأنينة، وتحبب فى المكث والعبادة.

وتحرم الشريعة إدخال أى قذر فى المساجد سواء أكان هذا القذر محمولاً لذاته أو متعلقاً بثياب مصل أو بدنه، ويمكن أن يعلق بالمسجد منه شيء[2].

ويقول المصطفى ﷺ « **جنبوا مساجدكم صبيانكم - غير المميزين - ومجانينكم ، وشراءكم وبيعكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وسل سيوفكم، وإقامة حدودكم، وجمروها فى الجمع، واتخذوا على أبوابها المطاهر**»[3].

كما نهى المصطفى ﷺ عن البصاق فى المسجد حيث يقول فيما يرويه الإمام مسلم «**البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»[4].

---

(١) محمد عبدالقادر الفقى - مرجع سابق - ص ٢٢٣.

(٢) عبدالعزيز محمد عثمان - الصحة الوقائية فى القرآن الكريم والسنة النبوية - المدينة المنورة - ١٩٩٦ - ص٤٣.

(٣) الطبرانى - فى الكبير ٢٢/ ص٤٣.

(٤) صحيح مسلم باب النهى عن البصاق فى المسجد ١/ ٣٩٠ رقم الحديث (١٣٦).

وفى رواية : « **البصاق فى المسجد معصية**» ، وكفارة هذه الخطيئة أن يزيلها صاحبها، فإن لم يفعل فواجب على المسلمين نظافتها، كما أن الذى يفعل ذلك فى بيت الله لابد أن يعلم حكم الله فى ذلك.

فالمسجد هو ملتقى الجماعات ، والبصاق إلى جانب أنه قذر قد يعلق بأثواب الناس، وأبدانهم فيوسخها فيشوش عليهم ويورثهم الضيق - وربما أورثهم النفور من المساجد - فهو مزرعة للأمراض لابد من تجنب الناس خطره على القاعدة المعروفة فى الشريعة «**لا ضرر ولا ضرار**»[1].

وقد دعا رسول الله ﷺ من يفعل ذلك بقوله : «**من سل سخيمة[2] فى طريق المسلمين فعليه لعنة الله**».

وفضل الاعتناء بنظافة المساجد عظيم، ومن يقوم بذلك يستحق التقدير والإكرام، لأنه نزه أحب البقاع إلى الله من الدنس والرجس، ولذلك كرم الرسول الكريم ﷺ من كان يفعل ذلك بمسجده.

فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه ، أن رجلاً أسود كان يقيم بالمسجد فمات، فسأل النبى ﷺ عنه ، فقالوا: مات، قال: «**أفلا كنتم آذنتمونى به؟ دلونى على قبره، أو قال: قبرها فأتى قبره فصلى عليه**»[3].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى عمار المساجد من أهل الإيمان الكامل حين قال : ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾**﴾[التوبة] .

وقد أمر الشارع المؤمنين بالتزين لارتياد المساجد حيث قال:﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ .. ﴿٣١﴾**﴾[الأعراف] .

---

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ٧٨٤ ، رقم الحديث (٢٢٤١).

(٢) السخيمة : الغائط والنجو . النهاية، مادة (سخم).

(٣) البخارى - باب الصلاة على القبر بعدما يدفن - رقم الحديث (١٣٣٦).

ونهى الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أن يرتاد أحد المسجد، وروائح الطعام المزعج تفوح من فمه، كالثوم والبصل وغيرها كما ذكرنا آنفاً.

المنازل والطرقات :

من أصول الشريعة : النظافة ، وقد جعلها رسول الله ﷺ من أصول الإيمان حيث قال: « **الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان**»[1] .

ومن هنا نلمح أن الإيمان لا يكتمل إلا بالعمل الصالح.

وإزالة الأوساخ والقاذورات من طرق الناس من لباب العبادة فى شرعنا الحنيف.

وقد حض الرسول الكريم ﷺ أهل ملته على إماطة الأذى وإزالة كل ما يؤذى من الطرقات بقوله «**فى الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فعليه أن يتصدق عن كل مفصل عن الطريق، فإن لم تجد فركعتى الضحى تجزئك**»[2] .
ألا تلاحظ معى أن ركعتى الضحى لا تغنى عن أجر إزالة الأوساخ إلا إذا لم تكن هناك أوساخ فى أحياء المجتمع؟

ويذهب الرسول الكريم ﷺ أبعد من ذلك فى أجر المؤمن فيرفعه درجات عالية فى جنات النعيم من أجل إزالة غصن شوك عن طريق المارة حين قال: « **نزع رجل لم يعمل خيراً قط غصن شوك عن الطريق إما كان فى شجرة فقطعه وإلقاه، وإما كان موضوعاً فأماطه فشكر الله له به فأدخله الجنة**»[3] .

ونحن نعلم ما يسببه غصن الشوك من الأذى مما يودى بحياة البشر كمرض (التتنوس)، وغيره مما بينه الطب.

---

(١) مسلم - باب بيان عدد شعب الإيمان - رقم الحديث (٥٨).
(٢) سنن أبى داود - كتاب الأدب - رقم الحديث (٥٢٤٢).
(٣) سنن أبى داود كتاب الأدب رقم الحديث (٥٢٤٥).

وإذا كانت الشريعة قد أبرزت أهمية النظافة بالنسبة للأماكن العامة لعلمها بحرص الناس على أماكنهم الخاصة، إلا أنها لم تهمل ذلك حيث يقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأذكى السلام: «**نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**»[1]، وفناء المنزل ما يحيط به من ساحات.

إذاً فالمسلمون مطالبون بإعدام الأوساخ والبقايا التى لا يحتاجونها، أو إبعادها بحيث لا يصل أذاها من الروائح أو ما يتولد فيها من ذباب وغيره إلى ساحاتهم ودورهم ، فليت أهل الإسلام وعوا دروس الإسلام، إذا حدث ذلك لما انبهرنا كلما زرنا البلدان الراقية دنيوياً، ثم تحسرنا على حياتنا المختلفة.

التعامل مع الأوانى :

الهدف من الآنية هو أن يستغلها الإنسان فى مأكله ومشربه، ويستعين بها فى بعض مناحى حياته، لذلك كره الإسلام أن يخرج بها من هذا الهدف إلى هدف الترف والمباهاة، ومن ذلك استعمال آنية الذهب والفضة حتى لا يكون المال جامداً ومدعاة للتعالى والخيلاء.

ولما كان ديدن الإسلام النظافة فى كل شىء فقد أرشد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بإرشادات جمة خاصة بالآنية:

فمن ذلك تخمير الإناء، أى تغطيته إذا كان فيه طعام، وحفظه مصوناً إذا لم يكن فيه طعام، يقول الصحابى أبو سعيد الساعدى رضى الله عنه: «أتيت النبى ﷺ بقدح لبن من النقيع ليس مخمراً - ليس مغطى - فقال: «**ألا خمرته ولو تعرض عليه عوداً**»[2].

ويروى جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قوله : «**غطوا الإناء، وألوا السقاء ، وأغلقوا الباب ، فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح باباً، ولايكشف إناء فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على أنائه عوداً**»[3].

---

(١) سنن الترمذى - كتاب الأدب - رقم الحديث (٥٢٤٥).
(٢) صحيح مسلم - كتاب الأشربة - رقم الحديث (١٠٢٠).
(٣) صحيح مسلم - كتاب الأشربة - رقم الحديث (٢٠١٢).

ونهى أن يشرب الناس من الإناء المكشوف فقال: «**لا تشربوا إلا قيما أوكى عليه**»[1].

وفى رواية أخرى لجابر عن عبدالله رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**غطوا الإناء وأوكوا السقاء، فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء**»[2].

وها نحن نرى أن الرسول الكريم ﷺ يصرح بعلة تغطية الأوانى، وهى الوباء الذى يداهم الأوانى فى غفلة من الناس بواسطة سقوط ما يحمله، وتلك محمدة من محامد الدين فى الطب الوقائى غفلنا عنها - كعادتنا - فلحقت بنا الأمراض التى عطلت المجتمع عن السير فى ركب التقدم.

ومن الإرشادات فى استعمال الآنية عند كل من الأكل والشرب:

- أن يأكل الإنسان مما يليه، ولا يجيل يده فى الإناء لأن ذلك الذوق من سوء الذوق، ومما تعافه النفوس، كما أن يد الآكل قد تلوث الطعام كله إذا جالت فيه، وكانت ملوثة.

يقول الصحابى عمر بن أبى سلمة رضى الله عنه: أكلت يوماً مع رسول الله ﷺ فجعلت آخذ من لحم حول الصفحة، فقال رسول الله ﷺ: «**كل مما يليك**»[3].

- كما نهى الرسول الكريم ﷺ أن ينفخ فى الإناء لأى سبب من الأسباب، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ نهى عن النفخ فى الشراب، فقال رجل: القذاة أراها فى الإناء؟ فقال: «**أهرقها**»، قال: أنى لا أروى من نفس واحد، قال: «**فأبن القدح إذا عن فيك**»[4].

---

(١) مسند الإمام أحمد - ٧٢٦.
(٢) صحيح مسلم - كتاب الأشربة - رقم الحديث (٢٠١٢).
(٣) صحيح مسلم - كتاب الأشربة - رقم الحديث (٢٠١٢).
(٤) سنن أبى داود - ك الأشربة - رقم ب (٢٠).

فوجود شيء صغير فى الشراب سواء أكان ماء أو غيره ليس مبرراً للنفخ فى الإناء، بل على الإنسان أن يزيله إما بآلة كالملاعق أو بإراقة جزء من الشراب.

- ونهى رسول الله ﷺ أن يشرب من الإناء العام رأساً، كالشرب من الأوانى الكبيرة فى أيامنا هذه التى توضع فى البردات (الثلاجات) فالأفضل أن يصب منها فى أكواب مخصصة للشرب، فقد اتفق أصحاب السنن أن النبىﷺ «نهى عن اختناث الأسقية»(١).

ونهى رسول الله ﷺ أن يشرب من فى السقاء(٢) أى من فمها.

ولا يخفى على أحد أن هذا خلاصة ما يصبو إليه الطب الوقائى. وكثيراً ما نشاهد أن الناس يشربون من الإناء العام الذى وضع فيه الماء للشراب، ولم يخصص للاستعمال بالفم.

نظافة الجو:

وكما يحرص الإسلام على نظافة الدور، والأفنية، والطرقات، والأوانى، يحرص كذلك على نظافة الجو، فلا يبيح للناس أن تتثاءب ، أو أن تعطس من غير أن تضع شيئاً على الأفواه والأنوف.

فقد روى لنا الصحابى الجليل أبو هريرة أن النبى ﷺ كان إذا عطس وضع يده على فيه وخفض أو غض بها صوته.

وفى مراسيل أبى داود: إذا تجشأ أحدكم أو عطس فلا يرفع بها صوته، فإن الشيطان يحب أن يرفع بها صوته(٣).

ومن المعلوم بداهة أن كل ما يضر بالبيئة الإنسانية يمنع شرعاً على طريق القياس، لاشتراكه مع الأول فى العلة نفسها.

---

(١) صحيح البخارى - ك الأشربة - رقم (٢٣).
(٢) سنن أبو داود - كتاب الأدب - رقم (٥٠٢٩).
(٣) مسند الفردوس للديلمى - ح (١٢٢٤).

ومن ذلك تلوث البيئة الذى تضج منه الدنيا كلها، والناجم عما استجد من الآلات والمصانع، والسيارات، وغيرها التى ملأت الجو سموماً ، وكدرت حياة الإنسان على ظهر هذا الكوكب.

الناس والكلاب :

الكلاب من الحيوانات التى تخالط الناس فى حياتهم كبقية الحيوانات الداجنة، ولكن الشريعة حذرت من الكلب وما يخرجه من إفرازات ضارة.

فقد أورد أصحاب السنن باتفاق حديث سفيان بن زهير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« **من اقتنى كلباً لا يغنى زرعاً ولا ضرعاً نقص من عمله كلّ يوم قيراط**»[1].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ «**من اتخذ كلباً إلا كلب صيد أو زرع أو ما يشبه انتقص من أجره كل يوم قيراط**»[2].

ويقول الصحابى عبدالله بن المغفل: «قال رسول الله ﷺ «**لولا أن الكلاب أمة من الأمم، لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها الأسود البهيم**»[3].

ومع أن القطط من نفس الفصيلة ألا أنها لا تحمل خواص الكلاب، لذلك لم ينه الشارع عن ملامستها ولم يحذر من إفرازاتها حيث يقول فى الهرة : «**أنها ليست بنجس إنما هى من الطوافين عليكم والطوافات**»[4]، وسبب الحديث أن النبى ﷺ أحضر له ماء للوضوء فأمال الإناء للهرة حتى شربت، فلما سأله الأصحاب عن ذلك أبان لهم عدم ضررها.

أما الكلاب فيختلف حكمها كما قلنا، وما يهمنا فى هذا المقام هو ولوغ الكلب فى الأوانى، فقد روى الإمام مسلم قول رسول الله ﷺ :« **طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولهن بالتراب**»[5].

---

(١) ابن ماجة - ك الأحكام (٢/ ٧٨٤).

(٢) الموطأ : ك الاستئذان - ح (١٢) - البخارى - الحرث والمزارعة - ح (٢٣٢٣).

(٣) الطبرانى الكبير (١١/ ١١٩٧٩).

(٤) أبو داود - ك الطهارة - ح (٧٥) - سبل السلام.

(٥) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - رقم (٢٧٩).

وهذا الحديث له روايات متعددة عند أصحاب السنن، وقد حمل أسلافنا هذا الأمر بالغسل على نجاسة الكلب فقط، إلا أن ما ظهر بعد ذلك من كشوف بينت ما يحمله الكلب من أضرار لبنى الإنسان زادت الحديث إيضاحاً وبياناً وأظهرت الإعجاز النبوى الذى صدر عن إشراق إلهى.

فالكلب قد يصاب بمرض ينقله للإنسان وهو داء الكلب (الذعر من الماء) (ويصاب به إما بالعض من الكلاب المسعورة، أو بلعق جروح، أو خدوش حديثة فى جلد الإنسان بلسان كلاب تحمل الميكروب فى غددها اللعابية).

وهناك ديدان منتشرة فى أمعاء الكلاب تخرج من دبره فيلعقها بفمه فيصاب منها الإنسان إذا لامسه وبخاصة الأطفال الذين يداعبون الكلاب، وتتسبب هذه الديدان فى بعض ألوان الحساسية مثل (الأرتيكاريا) - الربو - تضخم الطحال، كما يتسبب فى بعض الأمراض فى مرض العين الذى يؤدى إلى العمى، وتحمل اليرقة (فيروس) شلل الأطفال.

وهذه لمحة عن خطر الكلب إذا ولغ فى إناء، وما قد ينشأ عن ذلك من مخاطر:

أولاً : الكلب يحك دبره بأنفه ومقدمة فمه (Nozzle) وخاصة عندما تخرج بويضات الدودة الشريطية التى إن وجدت طريقها (البويضات) إلى أمعاء الإنسان يمكن أن تفقس ديداناً صغيرة تصل إلى أعضاء حساسة. كالقلب، والمخ، ثم تتكيس، وتسبب ضغطاً محلياً له من المخاطر ماله.

ثانياً : لعاب الكلب فيه من الخصائص الفيزيائية ما يجعله يعلق بالإناء إن ولغ فيه الكلب.

وأحسن ما يمكن أن يقلل إلى (Surface Tension) هو ذرات الرمال.

وثالثاً : من الجائز أن يكون لعاب الكلب إذا ولغ فى الإناء حاوياً لبويضات مثل هذه الدودة الشريطية، وغيرها مما يمكن أن يؤذى الإنسان عن طريق الكلب، وخير وسيلة لحماية الإنسان من مثل هذا هو أن يزال اللعاب بطريقة مؤكدة، ويزال معه ما يعلق به.

وإزالة لعاب الكلب بالتراب ثم تكرار الغسل كانت خير وسيلة إبان عهد رسول الله ﷺ ولا تزال.

ولكن إذا كان هناك من المنظفات ما يزيل به الناس خطر ما يخافه الكلب مع لعابه فلا بأس باستعماله، وما يهم الشريعة هو حماية الإنسان والوقاية من المرض بأى صورة من الصور.

تجنب الأطعمة المحرمة :

حرم الشارع ألواناً من الأشربة والأطعمة، قد أظهر العلم حكمة الشرع فى ذلك، ونحن نذكر هذه الألوان فى إيجاز، ومن أراد مزيداً فعليه أن يرجع إلى أهل الطب فى ذلك.

١ - الخمر(١) : يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾**﴾[**المائدة**].

والمحافظة على العقل واحدة من الضرورات التى جاءت فى كل الشرائع، فبالعقل ميز الإنسان على سائر المخلوقات على ظهر الأرض، ومن ثم كان مخاطباً بالشرائع، مكلفاً بتنفيذ كلياتها وجزئياتها، منوطاً به عمارة الأرض، فإذا فقد العقل سقط التكليف، وإذا غيب بلون من ألوان المغيبات المحرمة فقد أنهار جزء من الحياة الخيرة، ولذا حرم الشارع كل مسكر، وأول المحرمات الخمر، ثم يتلوها كل ألوان المسكرات مما يتعاطاه الإنسان بواسطة الفم، أو الحقن، أو الشم (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام(٢) وما أسكر كثيره فقليله حرام(٣)).

---

(١) انظر البحث القيم الذى كتبه الدكتور نبيل الطويل عن الكحول فى كتابه القيم (أحاديث فى الصحة).

(٢) أبى داود كتاب الأشربة رقم (٣٦٨١).

(٣) أبو داود كتاب الأشربة رقم (٣٦٧٩).

كما يقول الرسول الكريم ﷺ بل إن الرسول الكريم نهى عن كل ما يورث الجسم الفتور والخدر، ويورث بالتالى العقل الكلال، ويحجبه عن تقدير الأشياء على وجهها الصحيح.

قالت أم المؤمنين أم سلمة :« نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[1].

قال الرازى فى تفسيره : (إن عقل الإنسان أشرف صفاته، والخمر عدو العقل، الأشرف فهو أخس فيلزم أن يكون شرب الخمر أخس الأمور، وتقريره أن العقل سمى عقلاً لأنه يجرى مجرى عقال الناقة، فإن الإنسان إذا دعاه طبعه إلى فعل قبيح ، كان عقله مانعاً له من الإقدام عليه، فإذا شرب الخمر بقى الطبع الداعى إلى فعل القبائح خالياً عن العقل المانع منها)[2].

ولو تتبعنا أسرار التشريع فى آيتى المائدة فيما كتبه علماؤنا لرأينا المنة الكبرى والنعمة الجلى التى حباها الله عباده المؤمنين إذ حرم عليهم - وهم أهل طاعته- المسكرات، فدفع عنهم شروراً يمليها الشيطان على أهل طاعته من السكارى، فتدمر المجتمع وتخلخل توازنه، وتغلغل فى نفوس أهل الإحن والأحقاد، وفى المقام الأول تلهيهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى، وهى ركيزة كل صلاح وإصلاح.

وإلى جانب ذلك فقد أفاضت كتب الطب الحديث - فيما أثبتته البحوث والتجارب - فى ذكر ما تسببه الخمر والمسكرات الأخرى من أمراض قاتلة، وأسقام مزمنة ، تجعل من المدمن حطاماً لا هو فى عالم الأحياء، ولا هو فى عالم الموتى.

والضجة الكبرى التى تكتنف الدول من جراء انتشار المخدرات، والحرب الدائرة فى بقاع الدنيا بين الحكومات، ومروجى المخدرات. إن هى إلا شاهد

(١) أبو داود كتاب الأشربة رقم (٣٦٨٦).
(٢) التفسير الكبير - ٦/ ٤٦.

من شواهد كثيرة على حكمة تشريع الإسلام عندما أحاط العقل بسياج من الأمان، وأوقع العقوبة على كل من يريد أن يغتاله بالمسكرات.

٢ - الـــدم المســـفوح :

وهو الذى يسيل من الحيوان عند ذبحه، إذ أنه عرضة للتحلل والتعفن، وحتى إذا أخذ طازجاً فقد يكون حاملاً للميكروب؛ وخاصة المسببة للأمراض المعدية.

إن الدم به كرات حمراء تحمل الأكسچين من الرئتين إلى خلايا الجسم، وتحمل غاز ثانى أكسيد الكربون الفاسد من خلايا الجسم ليخرج من الرئتين.

والكرات الحمراء تكون ٤٥٪ من حجم الدم، وهذه الكرات طالما أنها فى الجسم الحى فهى أيضاً حية وبعد الوفاة وإذا خرجت من الجسم مثلاً فى نزيف فإنها تموت، وتصبح عرضة للتحلل والتعفن.

لهذا فإن هذا السائل يكون ضاراً إذا تناوله الإنسان، وإن التحلل والتعفن يكون أسرع وأشد فى الجو الحار، ولهذا تكثر الإصابة بالتسمم من الطعام الفاسد فى فصل الصيف.

٣ - الميتة .

٤ - الحيوان الذى فسد بعض أجزائه.

وفى ذلك كله يقول المولى عز وجل: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ** .. ﴿٣﴾ ﴾[المائدة].

يقول الدكتور زكى سويدان : إن الجسم فى حالته الطبيعية له القدرة على مقاومة الجراثيم التى تعيش على سطح جلده والأغشية المخاطية المبطنة للفم والأنف والحلقوم والمسالك الهوائية وفى داخل أمعائه، وفى حالة الوفاة تنعدم هذه القدرة فتتكاثر الجراثيم محدثة فى الميتة التحلل، والتعفن، ورائحته

الكريهة، ولهذا فإن الميتة إذا أكلت تصبح سامة بنتائج التعفن بالجراثيم المتكاثر، وما تولده هذه الجراثيم من سموم»[1].

٥ - الخنزير:

تناولنا آنفاً حرمة لحم الخنزير والتى ذكرت فى آيات متعددة[2]. وما نود أن ننبه عليه هنا أنه ربما يقول بعض الناس: إن كثيراً من الناس فى الأمم الغربية والولايات المتحدة الأمريكية يتناولون لحم الخنزير، ومع ذلك لم يصابوا بالضرر: ونقول لهذا القائل وغيره : إنه ثبت أن الخنزير تنشأ عنه أمراض خطيرة نذكر منها إجمالاً ما ذكره الدكتور سويدان.

(١) الدودة الوحيدة أو الشريطية.

(٢) التكيس بأجنة الدودة الوحيدة فى الأحشاء.

(٣) دوسنتاريا الأهداب.

(٤) ديدان تريكينيلا الحلزونية.

ولا نطيل بشرح هذه الأمراض لأنها موجودة فى كتب الطب الحديث التى تكشف كل يوم داء دفيناً يسببه لحم هذا الحيوان الممقوت.

وما نود أن نرشد إليه هو أن شأن المؤمن الصادق أن يسلم الأمر لله مهما كانت الظروف والملابسات، ومن يعتقد أن وراء كل ممنوع حكمة قد تظهر لنا وقد تخفى علينا بعض جوانبها حتى يماط عنها اللثام فى يوم من الأيام ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴿١٤﴾ ﴾[**الملك**].

العلاقة الجنسية الصحيحة:

جعل الله سبحانه وتعالى العلاقة الجنسية سبباً فى بقاء الأحياء على ظهر هذا الكوكب، وأودع الشهوة الداعية إلى اتصال الذكر والأنثى فى نفوسهم، فكان ذلك آية للمعتبرين، ونعمة ومتعة للناس أجمعين.

---

(١) كتاب الصلاة - صحة ووقاية وعلاج.

(٢) البقرة (١٧٣)، المائدة (٣)، الأنعام (١٤٥)، النحل(١١٥).

واتصال الرجل بالمرأة - فى حدود الشرع - له منافعه الكبيرة الكثيرة، فهو إلى جانب المحافظة على النوع، وصيانة الأعراض، وحماية الأنساب من الشبه، فيه تخفيف أثقال الشهوة التى تسيطر على الإنسان؛ فتولد فيه الكبت الذى يجر إلى الأسقام النفسية والجسدية، وقد وصفه اللطيف الخبير (العنت)[1] عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ..ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ .. (٢٥) ﴾[النساء].

ومن ثم كان هذا الاتصال نعمة فيها المتعة التى تنشر الحب بين الزوجين، وتجعل من الحياة سكناً وطمأنينة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾[الروم].

ولما قضت حكمة الله جلت قدرته ألا يسير الكون على وتيرة واحدة، بل جعله متغيراً، يتجدد فيه نشاط الناس فيستمتعون بما هو حاضر بين أيديهم، ويتشوقون إلى ما هو مقبل عليهم، وجعل لاتصال الرجل والمرأة أوقاتاً، ومنعه وقتاً آخر لا تكون الطبيعة البشرية ملائمة لهذا الاتصال، ومن ذلك أيام المرض - وبخاصة المعدى - وأيام النفاس، وأيام الحيض.

الحيض:

يقول المولى سبحانه فى الآية الجامعة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾[البقرة].

والرجل والمرأة على حد سواء، وينقلب الأمر إلى ضده، فبدلاً من أن يكون الأمر متعة تجلب راحة وسعادة نفسية، أصبح شيئاً ممقوتاً يورث النفرة ويثير الاشمئزاز.

---

(١) العنت: المشقة. قال الراغب: عنت فلان، إذا وقع فى أمر يخاف منه التلف. المفردات - مادة (عنت).

والأذى متحقق فهو أذى للرجل وللمرأة وللولد، فأما أذى الرجل فأوله القذارة، وأيضاً فإن هذا الدم سائل من عضو التناسل للمرأة، وهو يشتمل على بيضات دقيقة يكون منها تخلق الأجنة بعد انتهاء الحيض، وبعد أن تختلط البيضات بماء الرجل، فإذا انغمس فى الدم عضو التناسل فى الرجل يتسرب إلى قضيبه شىء من ذلك الدم بما فيه، فربما احتبس منه جزء فى قناة الذكر فاستحال إلى عفونة تحدث أمراضاً معضلة، فتحدث بثوراً وقروحاً لأنه دم قد فسد وبرد، أى فيه أجزاء حية تفسد فى القضيب فساداً مثل موت الحى فتئول إلى تعفن.

وأما أذى المرأة فلأن عضو التناسل منها حينئذ بصدد التهيؤ إلى إيجاد القوة التناسلية، فإذا أزعج إزعاجاً فى وقت اشتغاله بعمله، فدخل عليه بذلك مرض وضعف.

وأما الولد فإن النطفة التى اختلطت بدم الحيض أخذت البيضات فى التخلق قبل إبان صلاحيتها للتخلق النافع الذى وقته بعد الجفاف.

أما كتب الطب فقد أظهرت : أن الاتصال الجنسى أثناء الحيض له مخاطره (لأن المعاشرة الجنسية أثناء الحيض وخلال الأسابيع الأولى بعد الولادة تؤدى أحياناً إلى إصابة المرأة بأمراض خطرة، بسبب انتشار الجراثيم بسهولة فى المسالك التناسلية مما يسبب لها عقماً أكيداً، وذلك لأن شرايين الرحم مما يسهل دخول الجراثيم بسهولة عن طريقها إلى الرحم وملحقاته».

وقرر الطب بعد أن أفاض فى بيان المحاذير من الاتصال إبان الحيض والنفاس من أن الجنين قد يولد مشوهاً إذا ما حملت المرأة أثناء ذلك .. فسبحان من خلق وقدر، وشرع فرحم، وهو اللطيف الخبير.

الزنـــا :

الإنسان مجموعة من الغرائز التى لا تنفك تدفعه إلى تحقيق شهواته ونزواته، فحب المال، وحب السيادة والتملك، وحب الجنس والأولاد، وحب الفخر والخيلاء، كل ذلك مركوز فى طبع الإنسان.

كما قال جل وعلا: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾[آل عمران].

وأجمل الحياة الدنيا فى قوله: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ .. (٢٠) ﴾[الحديد].

فإذا ما انطلق الإنسان وراء واحدة من هذه الشهوات، أو مجموعة منها فإنه لا يستريح إلى غاية، ولا يركن إلى نهاية، بل تتقاذفه أمواج البحث عن الجديد فى عالم شهواته.

ومن ثم جاءت الشريعة موائمة للفطرة، فلم تمنعه مما هو مركوز فى طبعه، بل أباحت له الطيبات كلها يتقلب فى خيراتها كيف يشاء، ولكنها رسمت له حدوداً، ووضعت له علامات تنتهى إليها مطامعه، حتى لا يقتحم حدود الآخرين فيصبح من المعتدين، فقواعد الشرع مشذبات ومهذبات لغرائز الإنسان.

ولما أباح الخالق تبارك وتعالى استمتاع الزوجين بعضهما ببعض جعل دائرة الحلال كبيرة فى الاختيار، ولم يستثن منها إلا القليل فحرم بعضاً من ذوات النسب، ومثلها من ذوات الرضاعة.

ولقد حرم الزنا على الإطلاق وشدد فى حرمته فى كتابه العزيز فى العهدين المكى والمدنى، حيث قرن تحريمه بتحريم الشرك بالله سبحانه وقتل النفس فى قولـــه: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴾[الفرقان].

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾[الممتحنة].
وسماه فاحشة: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) ﴾[الإسراء].

وحد له العقاب من الجلد والرجم، وشدد فى ثبوته لما يصيب المجتمع كله بفعله من الأذى البالغ، والإزعاج الشديد، فأصبح الإقرار، أو شهادة أربعة عدول من المؤمنين هو الوسيلة لإثبات الزنا. وجعل التلاعن بين الزوجين عند إنكار الولد، أو الاتهام بالزنا، ثم الفرقة الأبدية بينهما.

ومضار الزنا إلى جانب التعدى على حقوق الآخرين ، واختلاط الأنساب، وزلزلة المجتمع بالشكوك والهواجس، ولحوق العار بأهل الزناة، وبخاصة المرأة، كثيرة وخطيرة.

وما يهمنا منها فى هذا المقام هو الوقاية من الأمراض التى تنشأ فى جسم الإنسان بسبب الزنا. والرسول الكريم ﷺ وهو الصادق المصدوق ينبأنا أن الزنا ما ظهر فى قوم إلا سلط الله عليهم الموت وذلك بسبب الأسقام التى تصيبهم، حيث يقول فيما أخرجه الحاكم وصححه :«**ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة فى قوم قط إلا سلط الله عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر**»[1].

وعن عبدالله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال:« **يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا**»[2].

اللـــــواط :

لم تكن البشرية تعرف هذه الجريمة المنكرة المستقذرة قبل قوم لوط عليه السلام الذى كان قريباً ومعاصراً لأبى الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

فقد أخبرنا القرآن على لسانه قوله: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[العنكبوت] .

---

(١) سنن ابن ماجة - كتاب الفتن - رقم (٤٠١٩).

(٢) ابن ماجة - كتاب الفتن - رقم (٢٢).

والفاحشة المقصودة هنا هى إتيان الرجال شهوة دون النساء كما يخبرنا الرب سبحانه وتعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥ ﴾[النمل].

وهؤلاء قوم قد تجردوا من إنسانيتهم ، وسلكوا مسلك البهائم بل انحطوا عن مرتبتها، وقد وصفهم القرآن بذميم الصفات حيث بين أنهم يأتون فى ناديهم المنكر، ومن أجل تحقيق دناءتهم وأنهم لا يعملون إلا للاقذار ولذلك تواصوا بإخراج لوط ومن معه من بلادهم لا لشىء إلا لأنهم يتنزهون عن هذه الفعلة القبيحة: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢ ﴾[الأعراف].

وقد رفضوا دعوة لوط الإيمانية من أجل تحقيق نزواتهم ، فكان عقابهم فى الدنيا أليماً، إذا استؤصلوا بعذاب بئيس، حيث قلب الله بهم الأرض فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة، وقبل أن يفعل بهم ذلك طمس أعينهم ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣ ﴾[هود].

فجعلهم عبرة وعظة لمن يأتى بعدهم، ولكن للشيطان أتباع أبوا إلا أن يحيوا سنن الفاسقين الغابرين، وإلا أن يرثوا أقبح ما خلفه بعض البشر من انحطاط وتدن، فحملوا هذا الداء عبر الحقب إلى أيامنا هذه.

وقد سمى الله جل وعلا ما فعله قوم لوط فاحشة فى مواضع من كتابه العزيز ووجه تسمية هذا الفعل الشنيع فاحشة وإسرافاً أنه يشتمل على مفاسد كثيرة، منها استعمال الشهوة الحيوانية المغروزة فى غير ما غرزت عليه، لأن الله خلق فى الإنسان الشهوة الحيوانية لإرادة بقاء النوع بقانون التناسل، حتى يكون الداعى إليها قهرياً ينساق إليه بطبعه.

فقضاء تلك الشهوة فى غير الغرض الذى وضعها الله لأجله اعتداء على الفطرة، وعلى النوع.

ولأنه يغير خصوصية الرجل بالنسبة إلى المفعول به، إذ يصير فى غير المنزلة التى وضعه الله فيها بخلقته، ولأن فيها امتهاناً محضاً للمفعول به، إذ يجعل آلة لقضاء شهوة غيره على خلاف ما وضع الله فى نظام الذكورة والأنوثة من قضاء الشهوتين معاً.

ولأنه مفض إلى قطع النسل أو تقليله، ولأن ذلك الفعل يجلب أضراراً للفاعل والمفعول بسبب استعمال محلين فى غير ما خلقا له، وقد وصفهم الله سبحانه على لسان نبيه ﷺ أنهم قوم عادون بهذه الفعلة الذميمة ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[الشعراء].

لأن المولى جل وعلا ركب الشهوة فى الإنسان وجعل لها مواضع فمن تعداها فقد اعتدى وتنكب الطريق.

حيث قال: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المؤمنون]

فالزنا والاستمناء وغير ذلك حرام منكر، وأشد منه نكيراً إتيان الرجال والعياذ بالله، ومضار اللواط الخلقية لا تخفى على أحد، إلا أن مضاره الصحية كثيرة، وخطيرة كذلك وآخرها هو مرض (نقص المناعة المكتسبة) الذى يسبب الذعر فى الدنيا كما يفعل الطاعون، والذى ينشأ عن العلاقة الجنسية الآثمة من الزنا واللواط.

وفى كل يوم يظهر من المكتشفات ما يبرهن على أن تعاليم هذا الدين تمكن فيها من الأسرار والمعجزات ما يبهر النفوس ويحير العقول، ويدفع أهل القلوب السليمة للإيمان به.

المحافظة على الصحة:

الصحة نعمة كبرى أنعم الله بها على الإنسان، ولا يتأتى للإنسان أن يقوم بحياة كاملة إلا بها.

لذلك يقول الرسول الكريم ﷺ « **من أصبح آمناً فى سربه، معافى فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[1].

ولذلك كان من دعاء رسول الله ﷺ سؤال ربه العافية، فقد أخبرتنا أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يقول: « **اللهم عافنى فى جسدى، وعافنى فى بصرى، وأجعله الوارث منى، لا إله إلا أنت الحليم الكريم، سبحان رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين**»[2].

وكان ﷺ يتعوذ من الأمراض والأسقام «**اللهم إنى أعوذ بك من البرص، والجنون والجذام، وسىء الأسقام**»[3].

وكان: يتعوذ من الجوع، لأنه مرض نفسى ونقص جسمانى: «**اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع..**»[4].

وكان رسول الله ﷺ يوصى أصحابه بطلب العافية من مفيض النعم على العباد، فعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتى أحد بعد اليقين خيراً من العافية**»[5].

يقول ابن القيم : فجمع بين عافيتى الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد فى الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة ، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا فى قلبه وبدنه. وهذه النعمة لابد من صيانتها ورعايتها والمحافظة عليها ، وذلك يتم بأمور ثلاثة:

(١) العمل على استدامة الصحة.

---

(١) سنن أبى داود كتاب الصلاة رقم (١٥٥٤).
(٢) الترمذى كتاب الدعوات رقم (٣٤٧٦).
(٣) سنن أبى داود كتاب الصلاة رقم (١٥٥٤).
(٤) سنن أبى داود كتاب الصلاة رقم (١٥٤٧).
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٣).

(٢) التحرز من الأمراض.

(٣) التداوى عند المرض[١].

وما يعنينا هو تناول سبل الوقاية والمحافظة، وكيفية تحققهما، وهذا ما نتناوله فيما يلى:

الوقاية خير من العلاج :

عبارة تدل على مدى إدراك الأقدمين لأهمية الوقاية فى تجنب الأمراض والعلل، والمحافظة على نظافة البيئة وسلامتها.

وتولى المجتمعات الحديثة الطب الوقائى جل اهتمامها، وتنفق عليه الكثير من الأموال تجنباً لإصابة مواطنيها بالأمراض، وحتى يظل أفراد هذه المجتمعات أقوياء أصحاء قادرين على العمل والإنتاج والدفاع عن الوطن.

وقد أولى الإسلام - منذ أكثر من أربعة عشر قرناً - النواحى الوقائية الأهمية الكبرى، وأرسى دعائم الطب الوقائى الذى لم يهمل فيه النواحى العلاجية.

ويندرج ما ذكرناه فى الصفحات السابقة عن نظافة البدن والثوب والمكان والماء تحت بند الطب الوقائى. وهناك دعائم أخرى للطب الوقائى أرساها الإسلام، لا تكمل الفائدة إلا بذكرها، وهى:

١ - الرياضة البدنية والروحية التى فى إقامة الصلاة، وأداء فريضة الحج، والرماية ، وركوب الخيل.

٢ - تناول الطيبات وتحريم الخبائث من الطعام والشراب.

٣ - الصيام.

٤ - تحريم الزنا واللواط.

وسوف نتناول هذه الدعائم بالتفصيل.

---

(١) عبدالعزيز محمد عثمان - مرجع سابق - ص ٩٠.

١ - الرياضة البدنية والروحية :

قضت حكمة الله - عز وجل - أن يمارس المسلم عدداً من الرياضات البدنية والروحية أثناء ممارسته لعبادتى الصلاة والحج ، كما حض القرآن الكريم على ممارسة أنواع من الرياضة بشكل صريح كالرماية وركوب الخيل.

وقد ذهب بعض أساتذة الرياضة المسلمين إلى أن الحركات المعروفة بالسويدية أسست على مشاهدة الصلاة الإسلامية.. بما فيها من حركات رياضية، ومن دقة فى نظام أدائها بالقيام ثم الركوع، ثم فى الرفع من الركوع والاستواء بعده للانتقال إلى السجود، ثم الرفع من السجود وإعادة السجود ثانية، ثم فى الاستواء ، وتكرار ذلك فى باقى الركعات. ومما يميز رياضة الصلاة هو توزعها بشكل منتظم على أوقات اليوم ليلاً ونهاراً.

وصدق الحق سبحانه وتعالى حين يقول فى محكم آياته :﴿ .. إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[النساء].

ويمكن حصر الفوائد الصحية لرياضة الصلاة فيما يلى:

١ - تحريك جميع عضلات الجسم القابضة والباسطة، وتحريك جميع المفاصل فى كل ركعة يؤديها المسلم.

٢ - تنشيط القلب والدورة الدموية.

٣ - تحسين وظائف الدماغ بسبب تحسين عملية تزويد الدماغ بالغذاء والأكسچين أثناء عمليتى السجود وارتفاع الرأس بعدها، وهو الأمر الذى يزيد من مرونة الأوعية الدموية.

٤ - ترويض الجسم على التأقلم مع الوضعيات المفاجئة، ومن ثم حمايته من الإصابة بالدوار وغيره.

٥ - الاطمئنان النفسى الذى يحول دون الإصابة بالأمراض الفسيولوچية ذات الأصل النفسى مثل قرحة المعدة وتهيج القولون... إلخ.

والحج رياضة بدنية وروحية تتجلى فى الطواف، والسعى، والوقوف بعرفة، إضافة إلى ما يعانيه الحاج من مشقة فى سفره. . أما الرماية وركوب الخيل فهما من أرفع الرياضات التى تهب ممارسها قوة الجسم ودقة ومهارة فى ملكاته.

وقد حث القرآن الكريم على ممارسة رياضة ركوب الخيل باعتبارها من الدعائم الأساسية للقتال :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ .. ﴿٦٠﴾ ﴾[الأنفال].

كما نبه الرسول ﷺ إلى أهمية الرمى **«ألا إن القوة هى الرمى»**.

٢ - تناول الطيبات وتحريم الخبائث من الطعام والشراب :

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ .. ﴿٣﴾ ﴾[المائدة].

تشتمل هذه الآية الكريمة على معظم الخبائث التى حرمها الإسلام بالنسبة للطعام والحكمة فى تحريم لحم الميتة أن هذا اللحم يتعرض لتغيرات عديدة، فبعد ساعة من الموت يرسب دم الحيوان إلى الأجزاء المنخفضة من جسمه مشكلاً ما يسمى بالزرقة الرمية، وبعد نحو ثلاث ساعات، يحدث التيبس الرمى، وهو عبارة عن تصلب عضلات الجسم وتوترها بسبب تكوين أحماض كحمض الفورميك وحمض اللبنيك وحمض الفوسفوريك.

وبعد ذلك تعود القلوية للعضلات فيزول التيبس وتغزو الجراثيم الجثة فتؤدى إلى تعفنها وانتفاخها، ويؤدى انحباس الدم إلى الإسراع فى حدوث التعفن، كما يتسبب فى زيادة معدل تكاثر الجراثيم، ولذلك حث الإسلام على تذكية الحيوان عند ذبحه، لأن التذكية الشرعية تؤمن استنزاف دم الحيوان على أحسن وجه بقطع أورده الرقبة، وشرايينها الكبيرة.

والميتة التى حرمها الإسلام تشمل ما يلى:

١ - المنخنقة : وهى التى تموت اختناقا بأن يلف عليها حبل أو شبهه.

٢ - الموقوذة : وهى التى تضرب بعصا أو حجر حتى تموت.

٣ - المتردية : وهى التى تموت عندما تتردى أو تسقط من مكان عال مثل الجبل ، أو مثل التى تسقط فى بئر فتموت.

٤ - النطيحة : وهى التى نطحتها بهيمة أخرى فماتت بالنطح.

٥ - أما أكل السبع : وهى التى أكل منها حيوان مفترس جزءاً فماتت، وكذلك حرم الله أكل الذبيحة التى كان الجاهليون يذبحونها على الأحجار المنصوبة حول الكعبة، وعلة التحريم فى هذه الذبائح دينية محضة، لحماية التوحيد وتطهير العقائد، ومحاربة الشرك ومظاهر الوثنية فى كل مجال من مجالاتها.

وقد سبق تناول المحرمات الأخرى كالميتة والدم ولحم الخنزير فى أماكن أخرى.

وفى مقابل الخبائث السابقة : أحل للمسلمين الطيبات من الأغذية التى تنفع أبدانهم وتحفظ صحتهم وتقيم من الأمراض.

قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ .. ﴿٤﴾ ﴾[المائدة].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف].

ومن الطيبات التى ذكرها القرآن الكريم : لحوم الأنعام التى قال فيها الحق عز وجل: ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[النحل].

ومنها أيضاً صيد البحر : قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا .. ﴿١٤﴾ ﴾[النحل].

وكذلك اللبن قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[النحل].

وأيضاً : التمر والتين والزيتون والعنب، وغير ذلك مما لم يرد فى تحريمه نص ومن خبائث الشراب التى حرمها الإسلام تحريماً قاطعاً: الخمر.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[المائدة].

ويتضح جانب الطب الوقائى فى قوله تعالى (فاجتنبوه) أى ابتعدوا عنه، ولا تقتربوا منه.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن للخمر تأثيرات ضارة على مراكز المخ الحيوية، وعلى الدورة الدموية، وعضلة القلب، والجهاز التنفسى، وهى تتسبب فى ارتكاب من يعاقرها عدداً من الحوادث والجرائم.

كما أنها تؤدى إلى الإصابة بتليف الكبد، ومرض السكرى الكاذب، وحدوث مرض انفصام الشخصية (الشيزوفرنيا) والجنون الكحولى حيث يتخيل المريض وجود أشخاص وحصول حوادث لا أساس لها من الصحة والوجود، مما يؤدى إلى فقدان الذاكرة ؛ وإلى ارتكاب جرائم بوحى من تصور عقله المريض.

٣ - الصيام :

للصيام آثار إيجابية فى الوقاية من الأمراض، وقد أظهرت دراسات علمية: أن الصيام يزيد من كفاءة جهاز المناعة فى جسم الإنسان حيث يتحسن المؤشر الوظيفى للخلايا الليمفاوية بنحو عشرة أضعاف، كما تزداد نسبة (الخلايا التائية) T-cells المسئولة عن مقاومة الأمراض.

وبالإضافة إلى ذلك يحدث ارتفاع محدود فى إحدى فصائل الزلال فى الدم (IGE) التى تعد من مجموعة الزلاليات المكونة للأجسام المضادة فى الدم، ويذكر الدكتور البريطانى الحائز على درجة الدكتوراة فى التغذية - فى كتاب علمى طبى (الصيام : الغذاء الأمثل) عدة مميزات للصيام ، نذكر منها:

- أن الصوم يباعد بين المرء وبين العادات غير المستحبة، وهو يقلل البدانة.

- ويشعر المرء بأنه أكفأ ذهنياً وجسدياً.

- كما أنه يريح أجهزة الجسم من عناء الطعام ومشاكل هضمه فى غير أوقات الصيام.

- ويخفف التوتر ، ويدعو إلى الهدوء والطمأنينة.

- ويساعد الجسم على مداواة نفسه بنفسه.

- ويجعل المرء ينام فى هدوء.

- ويشحذ الحواس، ويقوى الإرادة ، ويمنح الصائم صفاءً روحياً.

- ويداوى بعض الأمراض(منها مثلا: ارتفاع ضغط الدم).

- وينظم عمليات الهضم.

أما الدكتور (بول براج) مؤلف كتاب (معجزة الصيام).

فيتحدث عن خبرته الشخصية عن المكاسب العظيمة التى استفادها من الصوم يوماً كل أسبوع، فيقول: إننى أشعر بحدة فى البصر، وبنافورة من الحيوية ، وبتوقد الذهن ثم إن الصيام - فى رأيى الشخصى - هو الوسيلة الفعالة لتخليص الجسم من أعبائه وسمومه.

أما تحريم الزنا واللواط فقد تحدثنا عنه فى مواضع عدة من هذه الدراسة.

الفصل الرابع

قضايا قيمية فى التعامل مع البيئة من منظور إسلامى

المبحث الأول : أمن البيئة فى الإسلام ، والنهى عن الفساد والإفساد.

المبحث الثانى : الاعتدال ونبذ الإسراف (من القيم البيئية فى الإسلام).

المبحث الأول

أمن البيئة فى الإسلام، والنهى عن الفساد والإفساد

تتمتع البيئة فى الإسلام بالأمن الشامل الذى يحفظ فطرتها، ونقاءها، ووجودها، ونموها، ويمكن الانتفاع بها دون إضرار، أو إفساد، لمظاهرها وخصائصها وتنوعها ويجعلها فى عصمة تقيها من الجور والعبث والاستنزاف.

وتستمد هذه العصمة من النصوص الشرعية التى يتعين العمل بها ومراعاتها أثناء حركة عمارة الأرض التى استخلف الإنسان فيها ليكون مهتدياً بأوامر الله تعالى، سائرا على منهجه الذى ارتضاه له مؤتمناً على ما استخلف فيه، ابتداء من آدم عليه الصلاة والسلام الذى قال الله تعالى فى شأنه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة].

فقد أشارت الآية وفق علم الملائكة إلى أن جنس الإنسان اعتماداً على هواه ونزعاته الشخصية من غير ديانة تهذب نفسه، وتبصره بمصالحه، وتضبط تصرفاته، حيث يفسد فى الأرض، ويسفك دماء ما حوله من أحياء، طمعاً وأثرة، أو جهلاً بأمانة الاستخلاف قال تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[محمد].

تحريم الشرائع للإفساد فى الأرض والإسراف:

تداركت حكمة الله تعالى ورحمته الإنسان فشملته بالهداية التى توالى على الدعوة إليها رسل مصطفون يسعون إلى إصلاح الإنسان وتهذيبه، وحماية ما حوله من مفاسده وشروره، وكان فيما دعا إليه هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام النهى عن الإفساد فى الأرض، منهم صالح عليه الصلاة والسلام الذى

ذكر قومه بما أنعم الله عليهم من عناصر طبيعية مسخرة لراحتهم استخلفوا فيها، ونهاهم عن إفسادها.

قـال تعالـى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف].

ومنهم شعيب عليه الصلاة والسلام الذى نهى قومه عن الإفساد فى الأرض بعد أن أصبحت مهيأة لمصالحهم.

ذكر القرطبى فى تفسيره قولا لابن عباس رضى الله عنهما عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف]، قال: (كانت الأرض قبل أن يبعث الله شعيباً رسولاً يعمل فيها بالمعاصى، وتستحل فيها المحارم، وتسفك فيها الدماء. قال: فذاك فسادها فلما بعث الله شعيباً، ودعاهم إلى الله صلحت الأرض، وكل نبى بعث إلى قومه فهو صلاحهم)[1].

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف].

ومنهم موسى عليه الصلاة والسلام الذى طلب الانتفاع من البيئة بالاستسقاء والأكل والشرب مع المحافظة عليها.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة].

لقد اتفقت الشرائع على تحريم الإفساد فى الأرض، ولفظ الإفساد عام يشمل كل ما يصدق عليه هذا المعنى من الجليل كالأمور الاعتقادية المعنوية،

---

(١) الإمام القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - ٧/ ٢٤٨.

مثل: الشرك؛ ومن الدقيق كالأمور العملية الحسية، مثل: قطع شجرة غير مضرة، أو قتل عصفور عبثاً، واجتمع نوعا الإفساد فى شخصية تحدث عنها القرآن الكريم مبرزاً جرمها المعنوى والحسى، وهى شخصية الأخنس بن شريق الذى جاء إلى رسول الله ﷺ مظهراً الإسلام، وهو يبطن النفاق، ويسعى بالفساد، أو فى شخصية المنافق عموماً الذى يقول الله تعالى عنه : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)** ﴾[البقرة].

قال ابن كثير فى تفسيره لهاتين الآيتين:

(هذا المنافق ليس همه إلا الفساد فى الأرض، وإهلاك الحرث، وهو محل نماء الزرع والثمار، والنسل هو نتاج الحيوانات الذين لاقوام للناس إلا بهما)(١).

واتفقت الشرائع كذلك على تحريم الإسراف الذى هو الوجه الآخر للإفساد.

قال تعالى: ﴿ .. **وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)** ﴾[المائدة].

والإسراف فى الآية وإن كان يتجه إلى القتل إلا أنه يتقيد به، كما ذكر ذلك أبو حيان فى تفسيره، ومعناه تجاوز الحد فى كل فعل يفعله الإنسان.

قال تعالى: ﴿ .. **وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)** ﴾[غافر].

أى المتجاوزين الحد فى أمورهم ، وهو مأخوذ من السرفة وهى دويبة تأكل الورق، وسمى بذلك لتصور معنى الإسراف منه وقيل أيضاً أقوالاً أخرى فى الإسراف مثل قول الكلبى: يجاوزون حد الحق بالشرك ، وقيل ما هو أعم من الإسراف بالقتل والشرك.

---

(١) الإمام ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٤٦.

تحريم الشريعة الإسلامية للإفساد في الأرض :

يحرم الإسلام كل أسباب الفساد الحسى، ومنه تلويث البيئة حماية لها وصيانة لحق الإنسان من الضرر الذى يلحق عناصر البيئة التى يستمد منها هواءه الذى يتنفسه، وطعامه الذى يقتاته، وشرابه الذى تقوم حياته عليه، والتلويث هو عبارة عن تعكير يؤثر على نقاء عناصر البيئة نتيجة مخالط غريب، وقد عانى الإنسان فى العصر الحاضر من مشكلة التلوث المتمثلة فى كثرة العوادم الملوثة لنقاء الهواء التى تفرزها الآلات، وكثرة المخلفات الصناعية التى حارت الدول الصناعية فى كيفية التخلص منها، وزيادة مياه المجارى التى تصرف فى بعض الدول فى الأنهار والبحيرات، وتسرب البترول ومشتقاته السائلة من البواخر والناقلات العملاقة إلى البحار والمحيطات الذى غطى مساحات كبيرة منها ، وغيرها من الملوثات.

وتتسبب مشكلة التلوث فى إفساد توازن تركيبة العناصر التى يعيش عليها الإنسان من الهواء والغذاء كلياً أو جزئياً، مما يهدد أمنه على حياته ومستقبله واستقراره، وتزداد هذه المشكلة خطراً كلما ارتفعت نسبتها، وتعددت مصادرها.

إن إلقاء النفايات السامة فى المياه الإقليمية وغير الإقليمية ، ودفن المخلفات الخطيرة فى مواقع من أراضى الدول الفقيرة أو النامية. عمل لا يتفق مع دين، أو قانون، أو عقل، ونموذج من نماذج الفساد الممنوع دولياً يحرمه الإسلام لما فيه من إلحاق الضرر بحياة الإنسان والكائنات الأخرى، وهذا النوع من الإفساد إبادة جماعية لجنس الإنسان أو لبعض الكائنات الحية أو لعنصر من العناصر التى يعيش عليها.

قال تعالى: ﴿ .. مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا .. ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة].

وصدق القاضى أبو يوسف إذ قال: (وليس يبقى مع الفساد شىء، ولن يقل مع الصلاح شىء) فالفساد مثل النار تحرق كل ما عرض لها من ثمين وتافه[1].

تحريم الإسلام للإسراف :

ويحرم الإسلام الإسراف بكل أنواعه، منه الإسراف فى الأكل والشرب، قال تعالى: ﴿ ... **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴿٣١﴾ ﴾

[الأعراف]

والإسراف فى الإنفاق، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴿٦٧﴾ ﴾ **[الفرقان]**.

بل والإسراف فى كيفية التعامل مع عناصر البيئة حتى فيما يتصل بالعبادة، فنهى عن الإسراف فى الوضوء، فى الحديث أن النبى ﷺ مر بسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وهو يتوضأ.

فقال: «**ما هذا السرف**» فقال: أفى الوضوء لإسراف؟. قال: «**نعم .. وإن كنت على نهر جار**»[2].

وكان النبى ﷺ يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد[3] ويشمل معنى الإسراف الاحتطاب والصيد الجائرين اللذين لا يبقيان ، ولايذران، فقد حرم الرسول ﷺ الاحتطاب من أشجار المدينة وما حولها استبقاء للحياة النباتية التى يعتمد عليها فى الرعى.

روى أبو يوسف عن مالك أنه بلغه عن النبى ﷺ أنه حرم عضاة المدينة (أى شجرها العظيم) وما حولها اثنى عشر ميلاً (أى جنبها) وحرم الصيد فيها أربعة أميال حولها.

---

(١) محمد الفقى - البيئة، مشاكلها وقضاياها وحماياتها من التلوث - القاهرة - مكتبة ابن سينا - د.ت - ص١٨٩.

(٢) رواه ابن ماجه - رقم ٢٤٥ فى الطهارة.

(٣) رواه مسلم رقم ٣٢٥ فى الحيض.

وقال أبو يوسف : قال بعض العلماء: إن تفسير هذا إنما هو لاستبقاء العضاة لأنها رعى المواشى من الإبل والبقر والغنم، وإنما كان قوت القوت اللبن، وكانت حاجتهم إلى القوت أفضل من حاجتهم إلى الحطب.

ويعد تحريم الإسلام للإفساد بكل مظاهره والإسراف بكل أنواعه قاعدة الأمن البيئى التى ينطلق منها فى المحافظة على فطرة البيئة التى خلقها الله فى أحسن تقويم، وأجمل صورة، وأحكم نظام، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.. ﴿٧﴾ ﴾[السجدة].

وقال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى].

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ .. ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر]

وقال تعالى: ﴿ .. فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[المؤمنين].

وما يظهر فى البيئة مكدرا لفطرتها من مظاهر الفساد التى قد تتعاظم وتؤثر فى حياة الناس - طارئ من كسب.

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم].

مصدر حرمة البيئة :

وتستمد البيئة حرمتها من هذه القاعدة، قاعدة التحليل والتحريم، وما تقتضيه من الامتثال والطاعة التى تنشأ عن الإيمان الخالص بأن الله سبحانه الإله الذى يحرم ويحلل، ويحظر ويبيح، وينهى ويأمر، وأن شئون الحياة بجملتها يجب أن ترد إلى هذه القاعدة دون سواها[1] فهو سبحانه الخالق وله وحده والأمر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف].

يقول الشوكانى فى تفسيره لهذه الآيات، هذا نوع من بديع صنع الله وجليل قدرته وتفرده بالإيجاد الذى يوجب على العباد، توحيده، ويوجب عبادته، ومنها ما نهاهم عنه من الفساد فى الأرض بوجه من الوجوه قليلاً كان أو أكثر، ومنه قتل الناس وتخريب منازلهم ، وقطع أشجارهم، وتغوير أنهارهم.

ويتبين من هذا أن التعامل مع البيئة فى جميع وجوه الانتفاع مسألة تكليفية لم تترك للأعراف، بل تتحدد عن طريق الشرع الذى يسعى إلى جلب المصلحة ودفع المفسدة.

ومن صور النهى عن الفساد والإفساد فى الأرض، والحفاظ على حياة الإنسان المسلم وحقوقه.

أ - حماية الإنسان (حياته وحقوقه) :

الإنسان هو أهم عناصر البيئة ، ولذلك حرصت الشريعة الإسلامية على حمايته، فنصت على أن المسلم لا يعتمد قتل إنسان ظلماً وعدواناً.

قال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[الأنعام].

ومن يقترف مثل هذه الجريمة يعد فى نظر الإسلام من أكبر المنتهكين لحرمات الله الخارجين على حدوده، وجزاؤه نار جهنم خالداً فيها.

---

(١) سيد قطب - فى ظلال القرآن - ٢/ ٩٦٩.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[النساء].

ولعل من أعظم الجرائم بشاعة وإثماً جريمة الاعتداء على النفس بغير حق.

يقول تعالى: ﴿ .. مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا .. ﴿٣٢﴾ ﴾[المائدة].

ويأتى القتل فى المرتبة التالية لجريمة الشرك بالله، فليس هناك أعظم ولا أكبر من إزهاق حياة الناس، ذلك أن القتل اعتداء على الإنسانية التى كرمها الله، وجعلها مصونة من الأيدى الشريرة ولم يبحها إلا بحقها، وجعل من يتعمد قتل نفس واحدة فكأنما تعمد قتل الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿ .. مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .. ﴿٣٢﴾ ﴾[المائدة].

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية (إن من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد فى الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها أى حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار، وإحياؤها أن لا يقتل نفساً حرمها الله فلذلك الذى أحيا الناس يعنى أنه من حرم قتلها إلا بالحق)[1].

والسنة الشريفة فيها نصوص كثيرة تدل على عظم أمر قتل الإنسان، فعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: **«لا يحل دم إمرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، إلا أحد ثلاثة نفر: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**[2].

هذا الحديث فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها.

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٨.
(٢) رواه مسلم ٣/١٣٠٢ رقم الحديث ١٦٧٦.

وعن الأحنف بن قيس قال: خرجت وأنا أريد - يعنى القتال - فلقينى أبو بكر فقال: ارجع فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول« **إذا تواجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار**»[1].

وعن سالم بن أبى الجعد قال : سئل ابن عباس عمن قتل مؤمناً متعمداً ثم تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال : ويحه! وأنى له الهدى؟ سمعت نبيكم ﷺ يقول : «**يجىء القاتل والمقتول يوم القيامة متعلق برأس صاحبه، يقول: رب! سل هذا لم قتلنى؟**»[2].

وقال ﷺ :« **من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه**»[3].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ «**الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار، والذى يطعنها يطعنها فى النار**»[4].

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لايزال المؤمن فى فسحه من دينه ما لم يصبه دماً حراماً**»[5].

يقول العسقلانى فى شرحه لهذا الحديث: إن الفسخة فى الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت، أى يضيق عليه دينه، وهذا فيه إشعار بالوعيد على من قتل مؤمناً متعمداً، أى أن يصير فى ضيق بسبب ذنبه.

ومن هنا لم يهمل الإسلام قضية القصاص من أجل الحياة، ففى القصاص من القاتل حياة لسائر الناس: لمن يقتل ولمن يقتل.

أما الحياة لمن يقتل فإنه عندما يعرف أن مصيره إلى القتل إذا قتل فإنه يمتنع عن ارتكاب الجريمة، وبالتالى نحفظ حياة الذى يراد قتله.

---

(١) رواه ابن ماجه ٢/ ٩٢ رقم الحديث ٢٦١٥ .

(٢) حديث صحيح (صحيح سنن النسائى - محمد نصر الدين الألبانى ، ١٤٠٩ هـ - جـ٣ - ص ١٠٠٥).

(٣) حديث صحيح (صحيح سنن أبى داود - محمد نصر الدين الألبانى - ١٤٠٩هـ- جـ٣ - ص ٨٠٤).

(٤) حديث صحيح (صحيح سنن ابن ماجه - محمد نصر الدين الألبانى - ١٤٠٩هـ- جـ٢ - ص ٩٣).

(٥) رواه البخارى - ج٢ - ص ٢٠١.

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾
[البقرة]

يقول ابن كثير فى شرح الآية (إن فى شرع القصاص وهو قتل القاتل حكمة عظيمة، وهى بقاء المهج وصونها - أى النفوس- أنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان فى ذلك حياة للنفوس، وجعل الله القصاص حياة، فكم من رجل يريد أن يقتل فتمنعه مخافة أن يُقتل)[1].

فعندما تصبح حياة فرد خطراً يهدد حياة المجتمع بأسره، أو أفراد منه، ففى قتله حياة لبقية الناس، وتطهير لبيئة المجتمع من خطر كبير.

ويندرج تحت حماية الإنسان تحريم وأد الأنثى لاعتبار إنسانيتها أولاً، ولأهميتها فى استمرار الحياة ثانياً، فلولا وجود الأنثى لما استمرت الحياة على ظهر هذه الأرض، ويشنع القرآن الكريم بمن يمارس قتل الأنثى تشنيعاً بالغاً ويرسم له صورة مخزية.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾[التكوير].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[النحل].

وقد ظهر فى عصرنا الحاضر سلوك آخر غير الوأد مثل بيع البنات فى بعض بلدان آسيا وأفريقيا، وكذلك استخدامهن فى العروض الترفيهية، أو فيما هو أسوأ من ذلك.

وإذا كان الخوف من الفقر سبباً فى وأد الأنثى، أو التخلص من الأطفال عموماً، فإن القرآن الكريم ينهى عن ذلك، فيقرر أن الله هو وحده الكفيل بالرزق.

---

(١) رواه البخارى - ج٩ - ص ٢.

قال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾[الإسراء].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[الأنعام].

ويؤكد الله عز وجل أن فى بيئة الأرض أقواتاً تكفى البشرية.

قال تعالى﴿ .. وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا .. ﴿١٠﴾﴾[فصلت].

ومن حماية الإنسان تحريم الربا لما فيه من استغلال لحاجة الفقير إلى الرزق، وإعطائه حاجته مقابل سدادها أضعافاً مضاعفة، وكان يجب أن تقضى حاجة الفقير بالصدقة أو الزكاة.

فالربا له أضرار متعددة على الإنسان لذا فقد حرمه الإسلام حماية لذلك الإنسان قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ..﴿٣٩﴾ ﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [آل عمران].

ومن حكم تحريم الربا حماية الفقراء والمحتاجين من تسلط الأغنياء ذوى النفوس الضعيفة التى لا تعرف فى هذه الدنيا إلا عبودية المادة.

كذلك جعل الإسلام عقاب الاعتداء على أموال الآخرين شديداً، يفوق قيمة أى مال، كى يعيش الناس فى أمان نفسى على أموالهم.

والإسلام يحفظ للإنسان عرضه وسمعته، ووضع حدوداً حازمة للذين يحاولون الإساءة إلى سمعة الغير، فالذين تسول لهم أنفسهم تشويه سمعة امرأة ما فعقابهم الجلد والحرمان من بعض الحقوق.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾[النور].

والقذف كبيرة من الكبائر التى نهى الإسلام عنها، وحذر منها تحذيراً شديداً يتجلى هذا التحذير وذلك التهديد فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[النور].

فالذين يخوضون فى أعراض الناس يدخلون فى هذا التهديد الشديد، لعنة الله لهم فى الدنيا والآخرة، ثم عذاب عظيم يوم القيامة، ثم تشهد عليهم ألسنتهم بين يدى الله فى الآخرة.

كما نهى الله عن أكل حقوق الناس بالباطل سواء كان باستعمال القوة، أو بالرشوة وأكل مال اليتيم، أو بالاحتيال كالسرقة، وتطفيف الكيل، والميزان.

قال تعالى: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ .. ﴿١٨٨﴾ ﴾[البقرة].

أى لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، ونهى عن شهادة الزور والغيبة والنميمة ونشر الشائعات بين الناس.

وحماية للإنسان قنن الإسلام نظام الحجر الصحى، فإذا ظهر مرض معد فى بلد ما منع الدخول فيه والخروج منه، حتى تنحصر رقعة الداء فى أضيق نطاق.

ومن أمثلة ذلك مرض الطاعون الذى قال الرسول ﷺ **«الطاعون[1] رجز[2] أو عذاب أرسل على بنى إسرائيل، أو على من كان قبلكم. فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه. وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه».**

كل الجوانب السابقة توضح أن الإسلام حمى الإنسان الحماية الكاملة التى تجعله يعيش فالنصوص السابقة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة. توضح بجلاء واجب حماية الأرض، والتربة والمحافظة عليها من كل ما يؤثر عليها، وهذا ما يجب أن يلتزم به كل مسلم، وحتى تكون سلوكيات المجتمع تجاه أرضه

---

(١) الطاعون : هو قروح تخرج فى الجسد ويكون معها ورم وألم شديد.

(٢) رجز : الرجز هو العذاب (صحيح مسلم - جـ٤ - ص ١٧٣٧).

إيجابية حسنة، ولعل التربية عليها مسئولية توجيه سلوك الأفراد إلى ذلك الجانب الهام.

ب- حماية الزمن :

الزمن عنصر مهم من عناصر البيئة، لأنه يمثل عمر الإنسان الذى يبدأ بمولده وينتهى بوفاته، فبقدر ما يحسن استخدام عنصر الزمن بقدر ما ينتج فى دنياه وآخرته، فالزمن فى الإسلام عنصر بيئى مهم، فكان يحتاج الإنسان إلى مكان يأوى إليه، فهو بحاجة إلى الزمن أيضاً الذى يشمل الأيام، والليالى، والشهور، والأعوام.

وبما أن حياة الإنسان على الأرض محددة سلفاً، فإن عليه أن يتدبر أمره، ويستفيد من كل لحظة من عمره. بالعمل الصالح المفيد، سواء لذاته أو لمجتمعه أو للموجودات جميعاً، لأنه بذلك سيجنى ثمار عمله. سواء فى هذه الحياة الدنيا، أو فى حياته الآخرة. قال عز وجل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴿٣٠﴾ ﴾[**الكهف**].

والقرآن الكريم يلفت الأنظار ويوجه العقول إلى أهمية الزمن والوقت، فيقسم الله بالزمن كله أو بأجزاء منه.

فيقول الله تعالى﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴿١٨﴾ ﴾[**التكوير**].

وقال سبحانه ﴿ **وَالْفَجْرِ** ﴿١﴾ **وَلَيَالٍ عَشْرٍ** ﴿٢﴾ ﴾[**الفجر**].

وقال عز وجل ﴿ **وَالضُّحَىٰ** ﴿١﴾ **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ** ﴿٢﴾ ﴾[**الضحى**].

وقال تعالى ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ** ﴿١﴾ **وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ** ﴿٢﴾ ﴾[**الليل**].

قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَالْعَصْرِ** ﴿١﴾ **إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴿٢﴾ ﴾[**العصر**].

وعلى الإنسان أن يتخذ من الوقت أو الزمن عبرة ينتفع بها فى دنياه وآخرته.

يقول الله تعالى:

﴿ .. وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾[إبراهيم].

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الفرقان].

وفى آيات أخرى يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾[الإسراء].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾[النبأ].

وفى السنة الشريفة وردت بعض النصوص التى توضح أهمية عنصر الزمن، وأن الإنسان محاسب عليه، حيث قال الرسول ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم**»[1].

وقال ﷺ «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**»[2].

وقال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - (إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما).

لقد عنى الإسلام بالزمن، ودعا إلى احترامه، وعدم العبث به، لأن الإنسان محاسب عليه، ولا ينبغى أن تضيع الأوقات فيما يسبب الهلاك له وللبشرية من حوله فى الدنيا بل ينبغى على الإنسان السعى والجد والعمل لما فيه خير نفسه، وخير غيره، لأن عمره نعمة سيسأل عنها ويحاسب عليها.. فقيمة الوقت تكمن فى استغلاله بالصورة الحسنة.

---

(١) رواه الترمذى - جـ٤ - ص ٦١٢ - رقم الحديث ٢٤١٦.

(٢) رواه البخارى جـ٨ - كتاب الرقائق - ص ١٥٨.

ومن صور عناية الإسلام بالوقت جعله نعمة كما جاء فى الحديث الشريف، فالنعمة ما يتنعم به الإنسان ويستلذه ، فمن صح بدنه، وتفرغ من الأشغال العائقة، ولم يسع لإصلاح آخرته، فهو كالمغبون فى البيع، وذلك لأن الصحة يأتى بعدها المرض، والفراغ يأتى بعده الشغل، والمغبون من فرط فيهما ولم يستغلهما فى طاعة الله قبل ذهابهما[1].

وأول واجب على الإنسان المسلم نحو وقته، أن يحافظ عليه، كما يحافظ على ماله، بل أكثر منه، وأن يحرص على الاستفادة من وقته كله. . وقد كان السلف رضى الله عنهم أحرص ما يكونون على أوقاتهم؛ لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها.

يقول الحسن البصرى : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً عل دراهمكم ودينانيركم.

وكانوا يقولون: من علامة المقت إضاعة الوقت، وكانوا يحرصون كل الحرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم، أو برهة من الزمن وإن قصرت، دون أن يتزودوا منها بعلم نافع، أو عمل صالح، أو مجاهدة للنفس، أو إسداء نفع إلى الغير، حتى لا تتسرب الأعمال سدى، وتضيع هباء، وتذهب جفاء وهم لايشعرون.

وكانوا يعتبرون من كفران النعمة، ومن العقوق للزمن أن يمضى يوم لايستفيدون منه لأنفسهم، ولا للحياة من حولهم؛ نموا فى المعرفة، ونمواً فى الإيمان، ونموا فى عمل الصالحات[2].

لذا يقول ابن مسعود رضى الله عنه مؤكدا هذا المنهج ما ندمت على شىء ندمى على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلى، ولم يزد فيه عمرى!.

---

(١) شعبان جبريل عبدالعال - الوقت أغلى من كنوز الأرض - الرياض - دار ابن خزيمة - ١٤١٨ هـ - ص١٠.
(٢) يوسف القرضاوى - الوقت فى حياة المسلم - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط٧ - ١٩٩٧م - ص١٣.

وقال الثعالبى : من أمضى يوماً من عمره فى غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثكه، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه، وظلم نفسه[1].

ولأن الواجبات فى حياة المسلم أكثر من الأوقات إذ أن الأوقات لا تفى بكل الطاعات ، ولا بجل الواجبات، فقد وجب على المسلم اغتنام وقته، لأنه لايوجد فراغ من وجهة نظرنا لدى المسلم صحيح الاستقامة، فالفراغ لا يبقى فراغاً أبداً، فلابد أن يملأ بخير أو شر، ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته نفسه بالباطل.

وهكذا تكون حماية الزمن فى الإسلام، والذى يمثل إقدار قيمته - أى الوقت- اعتدال وتوسط دون إفراط أو تفريط، وعندئذ يأتى الاعتدال ونبذ الإسراف من القيم البيئية التى سنتناولها فيما يلى.

(١) الإمام منصور أبو اسماعيل الثعالبى - الفرائد والقلائد - تحت الطبع .

المبحث الثانى
الاعتدال ونبذ الإسراف من القيم البيئية فى الإسلام

هذا الكون الذى نعيش فيه خلقه الله جل شأنه. مما نعلم ومما لا نعلم، ومما ندرك، ومما لا ندرك، ومما نستطيع تصوره، ومما لا نستطيع تصوره.

قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام].

فهو الذى خلق السماوات والأرض وما فيها من مخلوقات، وما بينهما من أجرام، لا يحيط بها العلم، ولا يدركها الوصف، ولا يحصيها العد، وهو القادر على أن يخلق غيرها إن شاء.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[المائدة].

والله الذى خلق هذا الكون قد سخره لخدمة البشر، وجعل للبشر ما يمكنهم من الاستفادة بما وهبهم من أبصار، وسماع، وعقول تساعدهم على استخدام ما فى الكون من خبرات، واكتشاف ما فيه من قوى، واستغلال ذلك كله فى سبيل نفعهم، وإسعاد أنفسهم.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان].

وإذا كان الله قد سخر الكون للبشر. فإنه قد سخر بعض البشر لبعض؛ ليستطيعوا أن يعيشوا فى جماعة منظمة متعاونة.

وليكونوا أقدر على استغلال الكون المسخر لهم، والانتفاع بخيراته والمساهمة فى بقاء حياة إنسانية طيبة.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾[الأنعام].

وإذا كان الله خالق كل شيء - كما بينا - فهو مالكه.

قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[المائدة].

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يستمر البشر فى الأرض، ويجعلهم خلفاء فيها فسخر لهم كل ما خلق فى السماوات والأرض.

فملك الله مسخر لمنفعة البشر، ولهم جميعاً أن ينتفعوا به ويستغلوه ويستثمروه ، ويعملوا فيه[1].

فما فى أيدى البشر من ملك الله وثمراته إنما هو عارية ينتفع بها الناس وإذا كان الله مالك كل شيء فهو وحده الذى يمنح كل فرد من البشر ما فى يده من هذا الملك.

وهذا المنح - أيا كانت - لا تغير صفة الممنوحين ، فما هم إلا بعض أفراد من البشر يقومون على ملك الله، وما هذا الملك إلا عارية فى أيديهم.

قال تعالى: ﴿ .. وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ .. ﴿٧﴾ ﴾[الحديد].

وإذا كان المال مال الله هو عارية فى يد البشر الذين استخلفهم عليه، فليس لهم أن يتأخروا عن إنفاذ أمر الله فى هذا المال، فإذا أمرهم أن يؤتوا فئات من الناس شيئاً من هذا المال فعليهم أن يبادروا بذلك.

فما يؤتونهم إلا من مال الله. قال تعالى:

﴿ .. وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ .. ﴿٣٣﴾ ﴾[النور].

---

(١) انظر : دكتور أحمد السايح - هذا هو الإسلام - ص ٢٠٩ - ط دار الثقافة - قطر - ١٩٩١م.

وللبشر حق الانتفاع بما فى أيديهم من مال الله، وهو الحق الوحيد الذى لهم فى هذا المال والانتفاع بالمال قد يكون باستغلاله أو استثماره كما هو الحال فى الطعام والشراب، واللباس.

وقد يكون بالتصرف فى المال تصرفاً شرعياً كالبيع، والهبة، أو الصدقة وللبشر أن ينتفعوا بمال الله فى هذه الوجوه كلها.

وحق البشر فى الانتفاع بمال الله وما خلقه الله ليس حقاً مطلقاً وإنما هو حق مقيد بقيود فليس لهم أن ينتفعوا بهذا المال كما يشاءون وإنما لهم أن ينتفعوا به فقط:

١ - فى حدود المباح.

٢ - وحسب حاجتهم لهذا المال.

٣ - وبالقدر الذى يكف عنهم الحاجة ويدفعها بشرط أن يكون ذلك مع الاعتدال دون سرف.

فليس لهم أن يسرفوا فى طعامهم، وشرابهم ، ولباسهم، وأمور معيشتهم[1] ولا يجوز لهم أن يفتروا على أنفسهم.

قال تعالى: ﴿ **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ** ﴿٨١﴾ ﴾[طه].

وعن خولة الأنصارية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بغير حق .. فلهم النار يوم القيامة**»[2].

ولعلنا ندرك : أن معنى يتخوضون فى مال الله بغير حق. أى يتصرفون تصرفا يؤدى إلى السرف، ويسىء إلى البيئة والمجتمع والاقتصاد.

---

(١) المصدر السابق - ص ٢١٠.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى - كتاب فرض الخمس باب قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ جـ٦ - ص ٢١٧ ، ورواه أحمد فى مسنده - جـ٦ - ص ٤١٠.

والسرف مجاوزة الحد فى النفقة وغيرها والسرف تارة يقال اعتباراً بالقدر وتارة بالكيف. ولهذا قال سيفان : ما أنفقت فى غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلاً.

وقوله تعالى: ﴿ .. وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾[غافر].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ معتدلاً فى الإنفاق.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر][١] أى جاوزا القصد والاعتدال فى أمور كثيرة.

وقال تعالى: ﴿ ..وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا .. ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف].

قال القاضى أبو محمد: يريد: فى الحلال القصد، واللفظ يقتضى النهى عن السرف مطلقا[٢]. وهذا يدلك على أن الإسلام دين الاعتدال والتوسط.

وفى مجال السرف والإسراف نجد أن الإسلام طلب من المسلمين الاعتدال والتوسط من خلال المواقف التالية:

أولاً : موقف الإسلام من التبذير :

التبذير : تبذير المال بإسراف فيما لا ينبغى[٣] والمتأمل فى الآيات التى جاءت فى التبذير يجد أن هذه الآيات اهتمت اهتماماً واسعاً بموضوع التبذير لماله من آثار غير مرضية على البيئة.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء].

---

(١) إبراهيم أحمد عبدالفتاح – القاموس القويم للقرآن الكريم – جـ١ – ص٣١١ – ط الأزهر.
(٢) ابن عطية – المحرر الوجيز – جـ١ – ص٤٨٢ ، أوقاف قطر – ١٤٠٣هـ.
(٣) إبراهيم أحمد عبدالفتاح – القاموس القويم للقرآن العظيم – جـ١ – ص ٦٠ – ط الأزهر.

وليس عجباً أذن أن يكون للمال فى النظام الإسلامى قيمة كبيرة. إن كل ما تتوقف عليه الحياة فى أصلها وكمالها ، وسعادتها وعزها. من علم وصحة وقوة واتساع عمران وسلطان لا سبيل إليه إلا بالمال وقد نظر الإسلام إلى الأموال نظرة واقعية .. فوصفها بأنها زينة الحياة الدنيا، ووصفها بأنها قوام للناس، وقوام الشيء ما به يحفظ ويستقيم.

وهى كما نعرف قوام المعاش والمصالح الخاصة والعامة ولما كان الإسلام ديناً عملياً، ينظم بأحكامه على أساس من الواقع مقتضيات الحياة، ويزاوج فى الوقت نفسه بين مطالب الروح والجسم بميزان من العدل والاستقامة .. وقد رسم للروح طريق سعادتها. كان من الضرورى أن يرسم أيضاً للمادة طريق سعادتها، ويأذن بتحصيل ما فيه خيرها ونفعها.

وبعد أن صور القرآن الكريم التبذير ، وذكر سوء عاقبته على الإنسانية أرشد إلى الطريق السوى فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الإسراء].

ثانياً : قرر الإسلام أن الترف منبع شر:

فهو يملأ القلوب حقدا وضغينة ويقضى على حياة الأمن والاستقرار ، ويصل إلى جحود الحق وقد يكون معروفاً لدى أهل العلم: أنه ما وقف فى وجه الرسالات السماوية سوى المترفين.

وفى شأن المترفين ووقوفهم فى وجه الحق. يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[سبأ].

وصور المترفين فى القرآن الكريم يمكن إجمالها فى النقاط التالية:

- المترفون فئة ظالمة قد تعترف بظلمها وتحس به.. ولكن بعد فوات الأوان بعد أن تستنفد طاقاتها الشريرة كلها حيث لا يبقى إلا غضب الله ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ .. ﴿١٣﴾ ﴾[الأنبياء].

وليس عجباً إذن أن يكون للمال فى النظام الإسلامى قيمة كبيرة. . إن كل ما تتوقف عليه الحياة فى أصلها وكمالها، وسعادتها وعزها من علم وصحة وقوة واتساع عمران وسلطان لا سبيل إليه إلا بالمال.

وقد نظر الإسلام إلى الأموال نظرة واقعية.

فوصفها بأنها زينة الحياة الدنيا، ووصفها بأنها قوام للناس، وقوام الشىء ما به يحفظ ويستقيم. وهى كما نعرف قوام المعاش والمصالح الخاصة والعامة.

ولما كان الإسلام ديناً عملياً ينظم بأحكامه على أساس من الواقع مقتضيات الحياة، ويزاوج فى الوقت نفسه بين مطالب الروح والجسم بميزان من العدل والاستقامة. . وقد رسم للروح طريق سعادتها.

كان من الضرورى أن يرسم أيضاً للمادة طريق سعادتها، ويأذن بتحصيل ما فيه خيرها ونفعها.

- المترفون موغون بالإجرام إضافة إلا أنهم إلى كونهم ظالمين قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[هود].

المترفون قوم مصرون على الضلالة موسومون بالمكابرة والعناد فى الباطل.

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الواقعة].

المترفون قوم مصرون على الضلالة موسومون بالمكابرة والعناد فى الباطل.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[سبأ].

المترفون طغمة جهولة غبية مستعلية متغطرسة وهو سبب كل بلاء يحل فى أمة من الأمم[١].

---

(١) راجع ابن الزمان - المترفون فى القرآن الكريم - مجلة حضارة الإسلام - ع٦ - ص ٧٣ - السنة التاسعة - ١٩٦٨ دمشق.

وقد يكون مؤكداً أن الترف منبع شر يملأ القلوب حقداً وضغينة ، ويقضى على حياة الأمن والاستقرار، ويصل بالناس إلى جحود الحق وإنكار الشرائع ويغرس فى نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقات.

وما وقف فى وجه الرسالات السماوية سوى المترفين ونستطيع أن نصل بعد هذا إلى أن الإسراف اعتداء فظيع على الإنسان وعلى الأخلاق وعلى الصحة وعلى البيئة.

وللإسراف والتبذير أسباب وبواعث توقع فيه، وتؤدى إليه.

ومن أهم هذه الأسباب :

١ - جهل المسرف بتعاليم الإسلام لأن تعاليم الإسلام تنهى عن الإسراف والتبذير والترف وتدعو إلى الاعتدال. ومن نتيجة جهل المسرف بتعاليم الدين مجاوزة الحد فى تناول المباحات.

وهذا يؤدى إلى الإسراف جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (إياكم والبطنة فى الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسد، ومورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما فإنه أصلح للجسد، وأبعد عن السرف)[(١)].

٢ - الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغى أن تكون عليه حيث أن طبيعة الحياة الدنيا أنها لا تثبت ولا تستقر على حال واحدة والمؤمن فى كل الحالات لابد أن يكون مقتصداً.

٣ - الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف ذلك أن للإسراف آثار[(٢)].

ومجمل القول هنا أن علاقة الإنسان بالبيئة فى الرؤية الإسلامية ترفض الاستنزاف والإسراف، لأن البيئة لم تخلق لجيل دون جيل بل هى حق للبشرية كلها فى كل زمان وكل مكان حيث نهى الإسلام عن الإسراف لما فيه من

---

(١) انظر ابن مفلح - الآداب الشرعية - جـ٣ - ص٢٠١ - ط مكتبة الرياض الحديث - ١٣٩١ - ص٧.
(٢) انظر زين محمدالرمانى - الواقع الاستهلاكى للعالم الإسلامى - ص ٦٣، ٦٦ - ط رابطة العالم الإسلامى سلسلة دعوة الحق - مكة المكرمة - ١٤١٥هـ.

الضرر، فمن مبادئ الشريعة الإسلامية سلك الطريق الوسط فى التكليف، فالإسلام دين الاعتدال والوسطية.

قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا .. (١٤٣)﴾[البقرة]، أما الإسراف فهو ضد الاعتدال والاتزان.

ومن هنا تبرز أهمية المطالبة بالتوسط والاعتدال فى استخدام موارد البيئة وغير ذلك، هى مطالبة لها مبرراتها مؤيداتها الشرعية.

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ .. وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾[الأنعام].

وقال تعالى: ﴿ .. وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)﴾[الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)﴾[الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾[الشعراء].

وقال تعالى: ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)﴾[غافر].

وقوله سبحانه: ﴿ .. كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤)﴾[غافر].

والإسراف هو السلوك الذى يتعدى الحدود المعقولة والمقبولة فى أى أمر من الأمور، وعندما نطبق هذا المفهوم على البيئة فإنه يعنى الاستخدام المفرط والجائر لموارد البيئة الطبيعية، مما يؤدى إلى الإضرار والاستنزاف لهذه الموارد. وبالتالى حرمان الأجيال القادمة من الاستفادة منها، لأن استخدام موارد البيئة بشكل جائر غير مسئول ستكون له نتائج سيئة للجيل الحاضر وسوف ترث الأجيال القادمة الخسائر والأضرار الكثيرة.

ودعوة الإسلام قبل أربعة عشر قرناً إلى الترشيد والاعتدال وعدم الإسراف عند استخدام موارد البيئة، بدأت تدركها المجتمعات غير الإسلامية فبدأوا ينادون بالاستخدام العاقل والمتزن ونبذ الاستخدام الجائر والمسرف، وربط التفاعل ما بين الظروف الاقتصادية والبيئية كى لا يؤدى إلى كوارث تجاه موارد البيئة وانعكاساتها الضارة على البشرية، فعدم الإسراف هو ضابط من ضوابط استخلاف الله للإنسان فى الأرض، فقد دعا الإسلام إلى الاعتدال لما فيه من خير للناس ونهى عن الإسراف لما فيه من أضرار كثيرة.

ودعوة الإسلام إلى الاعتدال ونبذ الإسراف تشمل كل سلوك يمارسه الإنسان سواء فى تعامله مع البيئة أو غيرها وبالتالى الاعتدال هو الذى يجب أن يلتزم به الإنسان فى سلوكياته البيئية وغيرها.

فالاعتدال سلوك بيئى إسلامى مرغوب فيه لأنه مدعاة لاستدامة النعم، بينما الإسراف سلوك غير إسلامى لأن فيه ضرراً وخطورة على موارد البيئة، ولأنه مدعاة لاستنزاف النعم وتدميرها، ولذلك يحذر الإسلام ويتوعد المسرفين بالعذاب فى الدنيا والآخرة.



الخاتمة

خاتمة

قد لا يخفى أن هذه الدراسة تناولت قضايا البيئة من منظور إسلامى. . وتناول البيئة من منظور إسلامى يكشف فى وضوح للناس جميعاً أن الإسلام الحنيف دين الإنسانية.

جاء به الخالق سبحانه وتعالى لإصلاح حال الخلق، ولما كانت البيئة هى الإطار الذى يمارس فيه الإنسان نشاطه من خلال الظروف، والأصول، والمواد، والأحياء. التى يتفاعل الإنسان معها.

لما كانت البيئة كذلك . . جاء الإسلام الحنيف بكثير من القيم والآداب والتعاليم التى تتصل بالبيئة.

لأن الله سبحانه وتعالى هيأها لتناسب حياة الإنسان طالما حافظ عليها كما خلقها الله له.

وإن الباحث والمفكر. . يجد أن الله عز وجل . . وضع للبيئة موازينها الدقيقة وقوانينها المحكمة ، ليستمر فيها عطاء الإنسان.

لأن الإسلام بكماله وشموله لم يدع صغيرة، ولا كبيرة فى حياة الإنسان إلا ووضع لها المعايير الدقيقة والتشريعات الواضحة التى تؤدى إلى سعادة الإنسانية ورقيها.

قد يدرك الباحثون : أن إجراءات حماية البيئة قد تأخرت كثيراً عما كان ينبغى أن يتخذ كما تخلفت التشريعات والقوانين الوضعية الخاصة بحماية البيئة.

ومع زيادة التقدم العلمى والصناعى - كما يقول العلماء - بدأ الإنسان يشعر بخطر التلوث. فصدرت التشريعات ، وتكونت المنظمات، وعقدت المؤتمرات العديدة لبحث الإجراءات اللازمة للتصالح مع البيئة . . ويبدو لكثير

من الباحثين المسلمين : أن إهمال الجوانب الروحية والدينية هو أهم أسباب التدهور الدينى.

ومن المؤكد .. أن الرقابة الوحيدة التى يمكن أن تلازم الإنسان فى كل زمان ومكان هى رقابة الضمير.

والقانون الوحيد الذى نضمن له الاحترام والتطبيق هو القانون الإلهى.

ولقد تعرض القرآن الكريم للبيئة فى كثير من الآيات فوضع الضوابط للإنسان كى يتعامل الإنسان وفق هذه المعايير فى مكونات البيئة هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نجد: أن الإسلام عمل على ضبط المسلم فنهاه عن الفساد فى الأرض، والإسراف والترف، والتبذير، وذلك ليستمر التوازن البيئى فى نفع الإنسان، وعطائه للحياة والإنسانية.

إن عالمية الإسلام واستمراريته عملتا على الاهتمام بالبيئة اهتماماً بالغاً دل ذلك على أن الإسلام جاء ليأخذ بالإنسانية إلى طريق الرشاد.

ويبدو لنا من خلال هذه الدراسة أن الإسلام الحنيف قد دعا إلى مخطط وقائى يحفظ الإنسان فى هذه الحياة، وهذا المخطط الوقائى يتحقق من خلال المعايير التالية:

أولاً : الحصانة الصحية بواسطة النظافة :

والنظافة فى الإسلام عامة وشاملة : نظافة الجسم، ونظافة ما يحيط بالجسم من ملبس، ومأكل، ومشرب، وهواء، ومكان.

وقد جعل الشارع النظافة شطراً من الإيمان، وشرطاً فى أغلب أداء الشعائر، وقد توحى الممارسة اليومية التى يقوم بها الإنسان المسلم أن النظافة فى الإسلام لا تقتصر على جانب دون جانب.

ثانياً : الحصانة فى العناصر الأساسية :

الطعام والماء، والهواء، وقد اتخذ الإسلام فى علاقة المسلم وارتباطه بهذه العناصر الثلاثة مواقف:

١ - موقف التحريم.

٢ - موقف تحذير.

٣ - موقف إرشاد وتوجيه.

أما موقف التحريم فقد جاء لأن الإسلام يحرص على سلامة جسم الإنسان، ولذلك حرم على الإنسان ما حرم من خمر، ودم، وخنزير، وميتة، وما أكل السبع.

وأما موقف التحذير فقد جاء لمصلحة الإنسان وسعيه فى الأرض، ولهذا نجد آيات تنهى عن الشراهة، والسرف، والتبذير.

ونجد نهى الرسول ﷺ عن ترك الأطعمة والأشربة عرضة للتعفن والفساد ونقل الأمراض.

وأما موقف الإرشاد والتوجيه : فقد كان ليستمر الاعتدال والتوسط. والاعتدال والتوسط ميزان ضابط يجعل المنضبط به فى منأى عن الخلل والدمار.

ثالثاً : الحصانة من الأمراض الجنسية :

وقد لا يخفى على أهل الفكر. أن الإسلام أحاط الحياة الجنسية بسياج من الوقاية لتستمر الحياة، ويستمر التناسل فى صحة.. بعيداً عما يؤدى إلى الأمراض القاتلة.

والآداب والتشريعات التى وضعها الإسلام للزواج، والأزواج كفيلة بأن تنشىء أجيالاً بعيدة عن كل ما يعكر صفو الحياة.

وهناك حصانة من أمراض الحيوانات المنزلية، وحصانة بواسطة الحجر الصحى، مما يدلك على اهتمام الإسلام وعنايته بالإنسان والإنسانية.

وإذا أدركنا أن هناك معالم إسلامية جاءت لتكون علامات مضيئة فى الطريق. فإن ذلك يعنى أن الأمة الإسلامية تملك رصيداً ضخماً من القيم البيئية. يمكن استثماره فيما يعالج شئون البيئة. ويحافظ عليها.

وإذا كانت الأمة الإسلامية تملك رصيداً ضخماً فى هذا المجال، فإنه يصبح فى إمكان الأمة أن تساهم مساهمة فعالة فى إنقاذ البيئة الإنسانية، بما تقدمه من فاعليات بانية ونحن ندرك أن العوامل المؤثرة فى سلوك الإنسان هى مجموعة المبادئ والقيم، والمفاهيم الحياتية التى يحملها الإنسان ويؤمن بها.

لأن المحيط الفكرى ، والحضارى بما فيه من عقيدة وقوانين وأنظمة وسلطة وتربية، وفن، وآداب، وعادات، وأخلاق، وتقاليد، وأعراف، يؤثر تأثيراً بالغاً فى تكوين الشخصية وتحديد نوعيتها السلوكية.

والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بما توفر لهم من قيم يخضعون لانضباط محسوب، ومتقن، يوازن بين شتى المواقف والغايات والمصالح الإنسانية.

وعلى ضوء هذا تتحرك الإرادة وتتجه النية والمقاصد للمحافظة على البيئة من منطلق رغبات، وأشواق، ومقاصد وغايات.

ولقد اتضح لنا فى هذه الدراسة. . أن الإسلام قادر بتشريعاته - إن طبقت على إنقاذ البيئة من طيش الإنسان وجشعه، وإنقاذ الإنسانية. وقد لا يخفى أن إنقاذ البيئة والحفاظ عليها مسئولية مشتركة بين المجتمعات الإنسانية وقد تهتم المجتمعات الإسلامية ببيئاتها عناية ونظافة. ولا يخفى أن فى ذلك دعوة للآخرين ومساهمة حية فيما ينبغى.

وإن نشر وتعاليم الإسلام البيئية يجعل الآخرين يدركون ما للإسلام من قيم هادفة جاءت من عند الله تعالى.

قال تعالى فى سورة الأعراف ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ..** ﴿٥٦﴾ ﴾.

وتعد قضية حماية البيئة من التلوث من أبرز التحديات الحضارية والصحية والاجتماعية لأى مجتمع إنسانى.

ويتفق العلماء على أنه لا مستقبل لمجتمع من المجتمعات بدون بيئة نظيفة خالية من التلوث.

فالبيئة - كما عرفنا خلال دراستنا - هى الإطار الذى يعيش فيه الإنسان، ويمارس فيه نشاطه الاجتماعى والإنتاجى.

ونستطيع فى هذه الخاتمة أن نصل إلى النقاط التالية.

أولاً : ينبغى إفساح المجال والإكثار من الدراسات البيئية.. التى تؤهل الإنسان العاقل للعطاء، وتنمى فيه القدرة على المحافظة على البيئة التى أنعم الله بها على الإنسان. كما تنمى فيه القدرة على الإبداع بما يفتح له فى بيئته من آفاق التفكير، والممارسة.

ثانياً : العمل على نشر الفكر البيئى فى الإسلام وترجمته إلى لغات الأمم؛ ليدرك الناس ما للإسلام من قيم هادفة، تستطيع أن تقدم للمجتمعات الإنسانية ما يأخذ بها إلى الإرشاد.

ثالثاً : العمل على تربية الضمير، وتنمية الحس الوجدانى فى الإنسان، لأن الضمير الحى، والحس الوجدانى المرهف هو الطريق إلى تفاعل الإنسان مع بيئته، وترابطه مع الآخرين.

رابعاً : العمل على نشر الوعى والمعرفة البيئية.. ولا شك أن المؤسسات الإعلامية والثقافية والتعليمية مدعوة لأن تقوم بدورها فى هذا المجال، ومن

شأنها أن تتبنى برامج تعليمية تهدف إلى زيادة الوعى والمعرفة بما ينبغى أن يكون للبيئة.

ولا نعدو الصواب إذا أدركنا أن عرض هذه الموضوعات مساهمة فعالة لبناء الشخصية الإسلامية.

وأن الأمة الإسلامية تتطلع إلى غد مشرق، والتطلع يحتاج إلى علم وعمل وجهود بناءة تكون علامات مضيئة فى الطريق.



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ - ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن حنبل - المسند شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر - القاهرة - دار المعارف - ١٣٧٥هـ.

٢ - ابن خلدون، عبدالرحمن - المقدمة - القاهرة - كتاب التحرير - ١٩٦٦م.

٣ - ابن خلدون، عبدالرحمن : المقدمة ،القاهرة، كتاب التحرير، ١٩٦٦م.

٤ - ابن خلدون ، عبدالرحمن: - العبر وديوان المبتدأ والخبر - الجزء الرابع - بيروت - ١٩٤١ .

٥ - ابن الزمان: المترفون فى القرآن الكريم - مجلة حضارة الإسلام - دمشق- العدد السادس - السنة التاسعة - ١٩٦٨ .

٦ - ابن القيم، شمس الدين بن أبى بكر - مفتاح دار السعادة - جـ٢ - بيروت - دار الكتاب العربى - د.ت.

٧ - ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبى بكر - الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى - بيروت - دار الكتاب اللبنانى - ١٩٩٥ .

٨ - ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل - تفسير القرآن العظيم - القاهرة - المكتبة التوفيقية - د.ت.

٩ - ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد - السنن - بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٦٨م.

١٠- ابن مفلح - الآداب الشرعية - جـ٣ - الرياض- مكتبة الرياض الحديثة - ١٣٩١هـ.

١٢- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم - لسان العرب - بيروت - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٣٨٨هـ

١١- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستانى - سنن أبى داود - بيروت - دار الجيل - ١٤٠٨هـ.

١٢- أبو زريق : على راضى - الإنسان والبيئة - مكة المكرمة - رابطة العالم الإسلامى - سلسلة دعوة الحق - العدد ١٥٩ - ١٤١٦هـ.

١٣- أبو زيد، عاطف - إحياء الأرض الموات فى الإسلام - مكة المكرمة - رابطة العالم الإسلامى - عدد ١٦٤ - شعبان ١٤١٦هـ.

١٤- أحمد، شوقى - التنمية والبيئة دراسة مقارنة - مكة المكرمة - رابطة العالم الإسلامى - العدد ١٣٧ - ١٤١٤هـ.

١٥- الألبانى، محمد ناصر الدين - صحيح الجامع الصغير - بيروت - المكتب الإسلامى - ١٤٠٦هـ.

١٦- أمزبان، محمد محمد - منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية- المعهد العالمى للفكر الإسلامى - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية - ١٤١٣هـ.

١٧- البار، محمد على - الأمراض الجنسية - أسبابها وعلاجها - جدة - دار المنارة - ١٩٨٧.

١٨- باقادر، أبو بكر أحمد وآخرون - حماية البيئة فى الإسلام - الرياض - مصلحة الأرصاد وحماية البيئة - ١٤٠٩هـ.

١٩- بدران، عبدالحكيم - أضواء على البيئة - الرياض - مكتبة التربية العربى لدول الخليج - ١٤١٣هـ.

٢٠- بدير، محمد بدير - منهج السنة النبوية فى رعاية الصحة وقاية وعلاجا- المنصورة - سلسلة الدلائل الإنسانية فى السنة النبوية - ب.ت.

٢١- البخارى، محمد بن إسماعيل - الأدب المفرد - بيروت - مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٢- البخارى، أبو عبدالله بن إسماعيل - صحيح البخارى - بيروت - دار الفكر - ١٤١١هـ.

٢٣- بكرة، عبدالرحيم الرفاعى - أسس التربية البيئية فى الإسلام - الرياض- إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١٣هـ.

٢٤- البنا، عائدة عبدالعظيم - الإسلام والتربية الصحية - الرياض - مكتبة التربية العربى لدول الخليج - ١٩٨٣م.

٢٥- البيهقى، أبو بكر أحمد بن الحسين - السنن الكبرى - بيروت - دار صادر- ١٣٥٤هـ.

٢٦- الترمذى ، محمد بن عيسى بن سودة - سنن الترمذى - تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر - القاهرة - دار الحديث - د.ت.

٢٧- تيماشب، نقولا : نظرية علم الاجتماع - طبيعتها وتطورها - ترجمة - محمد عودة - مصر - دار المعارف - ١٩٨٣م.

٢٨- الجوهرى، إسماعيل بن حماد - تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا - بيروت - دار العلم للملايين - ١٣٧٦هـ.

٢٩- الحمد، صبارينى ، رشيد، محمد سعيد - البيئة ومشكلاتها - عالم المعرفة - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٧٩م.

٣٠- حميد، لطيف - التلوث الصناعى - العراق - جامعة أم الموصل - ١٩٨٣م.

٣١- حوى، سعيد - الأصول الثلاثة (الله جل جلاله) - الجزء الرابع - القاهرة - دار الأوقاف - د.ت.

٣٢- الخطابى، أبو سليمان - معالم السنن - القاهرة - مكتبة السنة المحمدية- ب.ت.

٣٣- خلف الله، أحمد ربيع - التربية البيئية - دراسة لمعالجة بعض قضايا البيئة من منظور إسلامى - القاهرة - مجلة كلية التربية بجامعة الأزهر- العدد ٢٠ - ١٩٩١م.

٣٤- الخولى، البهى - الثروة فى ظل الإسلام - القاهرة - طبعة دار العلم - ب.ت.

٣٥- الدمرداش، صبرى - التربية البيئية النموذج والتحقيق والتقويم - بيروت- مكتبة الفلاح - ١٤١٤هـ.

٣٦- الدنشاوى، طه ، عز الدين صادق أحمد - سموم البيئة (أخطار تلوث الهواء والماء والغذاء) الرياض - دار المريخ - ب.ت.

٣٧- الدمشقى، شمس الدين محمد بن أبى طالب - نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر - دار نهضة مصر - ب.ت.

٣٨- الرازى، زين الدين محمد بن أبى بكر - مختار الصحــاح - دمشق - دار البصائر - ١٤٠٧هـ.

٣٩- الراوى ، جابر إبراهيم - المسئولية الدولية عن أضرار البيئة - القاهرة - المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة - ١٩٨٣م.

٤٠- رشوان، محمد أحمد - تلوث البيئة وكيف عالجه الإسلام - الرياض - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١٤هـ.

٤١- الرمانى، زين محمد - الواقع الاستهلاكى للعالم الإسلامى - مكة المكرمة - سلسلة دعوة الحق - رابطة العالم الإسلامى - ١٤١٤هـ.

٤٢- الروندة ، الصديق - الوقاية الصحية فى الإسلام - مجلد الإحياء - رابطة علماء المغرب - المجلد الثانى - ١٩٨١م.

٤٣- السايح، أحمد عبدالرحيم - هذا هو الإسلام - قطر - دار الثقافة - ١٩٩١م.

٤٤- سليم، محمد صابر - المفاهيم الرئيسية للتربية البيئية - مرجع فى التعليم البيئى - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٦.

٤٥- السمرة ، جمال حسنى - تلوث الهواء ، ضمن مرجع فى التعليم البيئى- القاهرة - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ١٩٧٦.

٤٦- الشاطبى ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى - الموافقات فى أصول الأحكام- تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد - مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده - القاهرة - د.ت.

٤٧- الشريف ، عدنان - من علوم الأرض القرآنية والثوابت العلمية فى القرآن الكريم - بيروت - دار العلم للملايين - ب.ت.

٤٨- شلبى ، أحمد إبراهيم - البيئة والمناهج المدرسية - الرياض- مؤسسة الخليج العربى - ١٩٨٤م.

٤٩- صابرينى ، محمد سعيد وآخرون - التربية البيئية طبيعتها وأهدافها - ندوة الإنسان والبيئة - مكتب التربية العربى لدول الخليج - ١٤١١هـ.

٥٠- صابرينى ، محمد سعيد - البيئة إطارها ومعناها - سلسلة قضايا بيئية - جمعية حماية البيئة الكويتية - الكويت - ١٩٨٣م.

٥١ - صفر ، محمود عزو - البيئة المناخية - سلسلة قضايا بيئية - جمعية حماية البيئة الكويتية - الكويت - أغسطس - ١٩٨٥.

٥٢ - الطبرانى، أبو قاسم سليمان بن أحمد - المعجم الكبير - بيروت - دار الفكر - د.ت.

٥٣- الطيب ، نورى بن طاهر - تلوث المياه المشكلة والأبعاد - كتاب الرياض - مؤسسة اليمامة الصحفية - العدد ٢٠ ، ١٩٩٥م.

٥٤ - عبدالعال، شعبان جبريل - الوقت أغلى من كنوز الأرض - الرياض - دار ابن خزيمة - ١٤١٨هـ.

٥٥- عبدالفتاح، إبراهيم أحمد - القاموس القويم للقرآن الكريم - جـ١ - ط الأزهر - ب.ت.

٥٦- عبدالمقصود، زين الدين : البيئة والإنسان - علاقات ومشكلات - عمان- دار الشروق - ١٩٨١م.

٥٧- عبداللطيف، خالد محمود - البيئة والتلوث من منظور إسلامى - القاهرة - دار الصحوة للنشر - ١٩٩٣م.

٥٨- عبده، فايز محمد - الموجهات الإسلامية للتربية البيئية - القاهرة - مجلة دراسات تربوية - رابطة التربية الحديثة - القاهرة - ١٩٨٨م.

٥٩- عثمان، محمد عبدالعزيز - الصحة الوقائية فى القرآن والسنة النبوية - المدينة المنورة - ١٩٩٦م.

٦٠- العدوان سلطان أبو عرابى - البيئة المدرسية والتلوث - الأردن - مركز البحث والتطوير التربوى - ١٩٨٨م.

٦١ - عراقى، محمد عبدالسلام وآخرون - تلوث البيئة ، الكويت - الهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب - ١٩٨٥م.

٦٢ - العليانى، سعد هاشم - نحو منظور إسلامى للتربية البيئية - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة أم القرى - ١٤١٧هـ.

٦٣- غانم ، حسين محمد - الإسلام وحماية البيئة من التلوث - مكة المكرمة- جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية - ١٩٧٧م.

٦٤- الغرناطى، أبو حامد - تحفة الألباب - القاهرة - مطبعة محمد على صبيح وأولاده - ب.ت.

٦٥- الفقى، محمد عبدالقادر - البيئة مشاكلها وقضاياها - رؤية إسلامية - القاهرة - مكتبة ابن سينا - ١٩٩٣م.

٦٦- الفقى، محمد عبدالقادر - أدب البيئة البحرية - مجلة البيئة - الكويت - إبريل ١٩٨٨م.

٦٧- الفقى، محمد عبدالقادر - القرآن الكريم وتلوث البيئة - الكويت - مكتبة المنار الإسلام - ١٤٠٦هـ.

٦٨- القرضاوى، يوسف - الوقت فى حياة المسلم - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٩٧م.

٦٩- القرطبى، محمد بن أحمد الأنصارى - الجامع لأحكام القرآن - القاهرة - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - ١٩٦٧م.

٧٠- القصاص، محمد - مؤتمر المعمار والبيئة فى الوطن العربى - الخرطوم - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ١٩٧٥م.

٧١- قطب، سيد - فى ظلال القرآن - القاهرة - دار الشروق - ب.ت.

٧٢- قطب، سيد - مقومات التصور الإسلامى - القاهرة - دار الشروق - ١٩٨٠م- ب.ت.

٧٣- كامل، عدلى - طرق الانتفاع بالمرجع - مرجع فى التعليم البيئى - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٦م.

٧٤ - كشك، محمد عبداللطيف - الأبعاد البيئية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية- من أوراق المؤتمر العلمى السنوى الرابع للاقتصاديين المصريين - القاهرة - ٣-٥ مايو ١٩٧٩م.

٧٥ - كشك، محمد عاطف - المشاكل البيئية المصاحبة لمشروعات وخطط

التنمية الزراعية - المؤتمر العلمى السنوى الخامس للاقتصاديين المصريين - القاهرة - ١٩٨٠م.

٧٦- مالك، أنس - الموطأ - خرج أحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبدالباقى - بيروت - دار إحياء التراث - ١٩٨٥م.

٧٧- محاسنه، إحسان على - البيئة والصحة العامة - عمان - دار الشروق- ١٩٩٢م.

٧٨- محجوب، محمود أحمد - ملامح الطب الوقائى فى الإسلام - مجلة منار الإسلام - عدد شوال ١٤٠٧هـ.

٧٩- المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجوهر - القاهرة - دار المعارف - ب.ت.

٨٠- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج - صحيح مسلم - القاهرة - دار الحديث- ١٤١٢هـ.

٨١- الندوى، على أحمد - القواعد الفقهية التطبيقية ، مفهومها، نشأتها، تطورها - دمشق - دار القلم - ١٤٠٦هـ.

٨٢- النحلاوى، عبدالرحمن : أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع - دمشق - دار الفكر - ١٤٠٢هـ.

٨٣- النسائى، عبدالرحمن أحمد بن شعيب - سنن النسائى - بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٦هـ.

٨٤- هلال، عبدالله : التأصيل الإسلامى للتشريعات البيئية - مجلة منبر الحوار - بيروت - العدد رقم ٢٣، ٢٤ - عام ١٩٩٢م.

٨٥- اليونسكو: مشكلات البيئة الرئيسية المعاصرة - الوثيقة رقم ٨ من وثائق المؤتمر الدولى الحكومى للتربية البيئية - تلبيسى - الاتحاد السوفيتى (سابقا)- أكتوبر ١٩٧٧م.

محتويات الكتاب

تابع محتويات الكتاب

مطابع آمون

٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة - ج م ع
ت : ٧٩٤٤٥١٧ ـ ٧٩٤٤٣٥٦